إسلاميات

الملك عبد العزيز

مجموعة مقالات لجريدة المدينة المنورة

مقتطفة من كتاب عبق الخلفاء الراشدين في سيرة الملك عبد العزيز

تأليف

د. محمد بن رزق بن طرهوني

نشر منها ٦٦ مقالا ثم توقفت الجريدة عن النشر

١٤١٩هـ

كتبت على كتاب عبق الخلفاء الراشدين في سيرة الملك عبد العزيز استدراكا في عام ١٤٣٩ هـ لا أحل نشر هذا المقالات بدونه
هذا رابطه

https://drive.google.com/open?id=1BWgeeVxFFzKCcBosc0crzpjf-Wt8Obas

إسلاميات الملك عبد العزيز (١)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

إن شخصية الملك عبد العزيز من الشخصيات الفريدة التي تجذب إليها كل من يقدر له أن يطلع على شيء من جوانب حياتها ، ولقد كان من الموافقات _ مع انشغالي بالأبحاث الشرعية المتعلقة بالتفسير والسيرة والحديث ونحوها وقلة بضاعتي في التاريخ _ أن وقفت على مواقف عظيمة في حياة ذلك الرجل العظيم أثناء عملي في أطروحة الدكتوراه لا سيما عند مطالعتي لكتاب الأعلام للزركلي، مما كان له كبير الأثر في اهتمامي بسيرته للوقوف على جوانب عبقريته التي أثارت في نفسي شجونا جعلتني أنظر في الكتابات التي درست تاريخ شخصيته رحمه الله وتاريخ المملكة على وجه العموم في الفترة التي نعمت بملكه ورغدت بالعيش في ظل عدله ، لأبحث هل عالج أحد الكتاب تلك الشخصية على وجه الإفراد من جهة مطابقة سلوكه رحمه الله لأوامر الكتاب والسنة أم لا . فوجدت أن أحدا لم يفرد ذلك الجانب بالتأليف على الرغم من كونه أهم جوانب حياته رحمه الله بل هو السر في التمكين للملك عبد العزيز وانتشار الثناء العطر له بين أنحاء المعمورة لاسيما بين العلماء والصالحين من أهل التوحيد والعقيدة الصحيحة .

وأملي بهذه المقالات أن تكون نبراسا لكل من يوليه الله عز وجل ولاية على المسلمين وأن تكون إحياء لذكرى رجل استحق كل تقدير واحترام من كل مؤمن موحد ، بل لا أبالغ إن قلت : إن له فضلا على كل المسلمين منذ دعا إلى توحيد الله عز وجل وتمكن من توحيد الجزيرة تحت راية التوحيد .

ولي أسوة في ذلك الإعجاب المتجرد من الرغبات الدنيوية فيمن سبقني ممن أعجب بالملك عبد العزيز وكتب عنه وهم كثرة كاثرة سوف نسوق أسماء بعضهم ومؤلفاتهم إلا أنني في هذه الحلقة أنقل كلام الكاتب جلال كشك صاحب كتاب السعوديون والحل الإسلامي إذ يقول :

أما العقاد الذي لما لمع اسمه لأول مرة عندما دخل السجن بتهمة العيب في الذات الملكية المصرية ، تحول بسحر عبد العزيز إلى مداح الملوك على طريقة شعراء العصر المملوكي .

الاشتراكي الثوري الذي قدم عنقه لحبل المشنقة في كفاحه ضد ملكية فاروق _ يعني به أحمد حسين _ كتب عن عبد العزيز : وهذا هو شأن الملك عبد العزيز دائما ، نفاذ إلى القلوب قادر على اصطناع الرجال . وقال : بعد ما عرفت من أمر هذا الرجل الفذ ما عرفت ، أصبحت أهيم كما يهيم الناس بالأبطال ، ولقد كتبت عنه في مصر الفتاة ، صفحات توشك أن تتقد من الحرارة حرارة الحب والإعجاب .

وأنا أضيف لهما :

الشيخ محمد رشيد رضا الذي لم تلن قناته يوما من الأيام أمام ملك ولا زعيم ملأ صفحات مجلته الشهيرة المنار ثناء عطرا ومدحا يعتبره غير واف عن الملك عبد العزيز .

الشيخ محمد حامد الفقي رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية الذي وهب حياته لنصرة التوحيد ونشر العقيدة الصحيحة بمصر وغيرها ولم يداهن حاكما ولا محكوما ألف كتابا عن الملك عبد العزيز سماه أزهار من رياض سيرة الإمام العادل

زينب الغزالي التي قاست ألوان العذاب في سجون الشيوعية لاتجاهها الدعوي ولم تداهن بكلمة في سبيل نجاتها من هذا التعذيب تكتب عن الملك عبد العزيز كتابا تسميه ملك وآمال شعب .

وغير هؤلاء كثير الظن بهم أنهم ما كتبوا ما سطروه إلا إعجابا بهذه الشخصية التي أعادت مجد الإسلام في آخر الزمان .

والله أسأل أن يوفقني فيما أكتب وأن يجنبني الزلل والمراءاة ومجاوزة الحد أو المبالغة فيما أقول ، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير .

ولا يفوتني في هذه الحلقة إذ أقدم لكتابتي عن هذا المسلم المجاهد أن أنقل كلمة الأمير سلمان حفظه الله إذ يقول :

إنني- والحمد لله- أستطيع أن أقول أني قرأت معظم ما صدر أو ترجم عن الملك عبد العزيز.. وهذا من حسن حظي- والحمد لله - لكن لا يزال هناك مجالات حتى يتكلم الناس عن عبد العزيز.. ومرات عندما يكون هناك فيه نقاش في مثل هذه الأمور يقول بعض الإخوان أن الملك عبد العزيز لم يأخذ حقه من الكتابة، ولم يأخذ حقه في التاريخ، ولم يأخذ حقه في تعداد صفاته .

لو أن الملك عبد العزيز يكفيه مائة كتاب أو مائتان أو ألف كتاب لما كان عبد العزيز. لهذا ستستمر أجيال طويلة وهى تكتب عن عبد العزيز .

ومع هذا أحث وأطلب من كل من يعرف شيئا عن الملك عبد العزيز أن يكتب ما يعرف أو يسمع أو يحلل شخصيته أو صفاته .

وأقول- بكل صراحة- إن عبد العزيز من الرجال الأفذاذ في التاريخ.. ولا أقول هذا لأنه أبي- وهذا فخر لي على كل حال- وعبد العزيز أب كل إنسان في هذه المملكة.

ونختم هذه المقالة بكلمات معبرة لخادم الحرمين الشريفين حفظه الله ورزقه العافية قال فيها :

إن من حق كل مسلم في هذا العالم أن يشترك معنا في هذا الفخر والاعتزاز باعتبار الملك عبد العزيز زعيما إسلاميا عالميا رفع راية التوحيد وطبق شريعة الإسلام وجدد مسئولية الدعوة إلى الله على مستوى التزامات الدولة ، وأقام وحدة اجتماعية وسياسية وجغرافية كبرى على أساس الإسلام ، ونهض بواجب النداء والعمل في سبيل وحدة العالم الإسلامي ، وبنى مملكة تعد واحة إسلامية ظليلة للمسلمين كافة .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٢)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

يقول الزركلي رحمه الله :

قل أن تناول عدد من الكتاب والمؤلفين. من أمم مختلفة، سيرة " رجل " في حياته، يقارب عدد من تناولوا سيرة " عبد العزيز " بين دارس يهتم ببعض خلاله، ومؤرخ يدون أحداث عصره، ومعجب يطري ويثني ، ورحالة يتتبع ويستقصي ".

أما " الكتب " المصنفة في " عبد العزيز " أو التي ملأت أخباره جانبا كبيرا منها، فإنها تؤلف مكتبة خاصة. وأما الفصول والمقالات فأكثر من الكثير .

وسوف أسوق للقارئ في هذه الحلقة مجموعة من الكتب التي عالجت سيرة الملك عبد العزيز فأبرزت سمات تلك الشخصية الإسلامية وجوانب عبقريتها وتميزها خلال تاريخ الإسلام والمسلمين :

الملك عبد العزيز سيرة لا تاريخ تأليف فؤاد شاكر

الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز تأليف خير الدين الزركلي

الملك عبد العزيز ومراسلاته تأليف د. عبد العزيز الخويطر

كنت مع عبد العزيز تأليف مجموعة من القواد

إنسان الجزيرة تأليف د.إبراهيم عبده

أزهار من رياض سيرة الإمام العادل جلالة الملك عبد العزيز تأليف محمد حامد الفقي

مع عاهل الجزيرة العربية تأليف عباس محمود العقاد

عبد العزيز والكيان الكبير تأليف محمد حسين زيدان

الملك الراشد تأليف عبد المنعم غلامي

طويل العمر الملك عبد العزيز تأليف محيي الدين رضا

خيال التوحيد تأليف محمد صالح بديرة

الأئمة من آل سعود تأليف فهد بن عبد العزيز الكليب

صور من حياة عبد العزيز يرويها طلال بن عبد العزي

صاحب الجلالة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ملك المملكة العربية السعودية تأليف عمر أبو النصر

موعد مع الشجاعة الجهاد الأكبر تأليف قدري قلعجي

عاهل الجزيرة تأليف عبد الرحمن نصر

الملك عبد العزيز رؤية عالمية تأليف د.ساعد العرابي الحارثي

خطوات فوق الصخور تأليف مشاري بن عبد العزيز
الملك عبد العزيز والمملكة العربية السعودية المنهج القويم في الفكر والعمل تأليف د. عبد الله بن عبد المحسن التركي
المصحف والسيف (كلمات وخطب الملك عبد العزيز) تأليف محيي الدين القابسي
ملك وآمال شعب تأليف زينب الغزالي الجبيلي
الرحلات الملكية مجموعة مقالات _ إصدار دارة الملك عبد العزيز
سلطان نجد والحجاز وملك المملكة العربية السعودية وأنجاله في صحافة عصره اختيار وترتيب عبد المحسن بن صالح اليوسف
المختار من المنار صفحات من مواقف الملك عبد العزيز وصور من جهاده _ إعداد وتعليق عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ
لسراة الليل هتف الصباح _ الملك عبد العزيز دراسة وثائقية تأليف عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري
آل سعود في التاريخ تأليف فريد عز الدين
الملك ابن سعود تأليف محمد صبيح
مكتبة الملك عبد العزيز آل سعود الخاصة تأليف الدكتور فهد بن عبد الله السماري
الرجل تأليف نجيب نصار
الملك عبد العزيز تأليف عبد الله حسين
لمحة من سيرة الملك عبد العزيز تأليف محيي الدين رضا
سيد الجزيرة العربية تأليف عمر أبو النصر
الإمام العادل تأليف عبد الحميد الخطيب
الدعوة في عهد الملك عبد العزيز تأليف الدكتور محمد بن ناصر الشثري
من شيم الملك عبد العزيز تأليف فهد المارك
تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد المنان وذكر حوادث الزمان تأليف إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن
أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود تأليف عبد الله العلي المنصور الزامل
السعوديون والحل الإسلامي محمد جلال كشك
التنظيم القضائي في عهد الملك عبد العزيز تأليف الدكتور سعود بن دريب
اهتمام الملك عبد العزيز بالعقيدة الإسلامية تأليف عبد العزيز بن عبد الله بن محمد
التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبد العزيز تأليف عبد اللطيف بن دهيش
الملك عبد العزيز والتاريخ تأليف مصطفى حسين عطار
عناية الملك عبد العزيز بنشر الكتب تأليف عبد العزيز الرفاعي

ابن سعود تأليف مصطفى الحفناوي
عبد العزيز موحد المملكة : ولد أملا وعاش بطلا _ الرئاسة العامة لرعاية الشباب.
تاريخ الدولة السعودية تأليف د . مديحة أحمد
تحفة ملك الحجاز تأليف عبد الحي عرب
عبد العزيز في التاريخ – حمد إبراهيم الحقيل
المملكة العربية السعودية في إطار تاريخ الوطن العربي الكبير في العصور الحديثة _ د. حسن سليمان محمود ، سيد محمد إبراهيم
التحدي الكبير _ نهاد الغادري
الدولة السعودية _ محمد طارق الأفريقي .
عبد العزيز آل سعود وعبقرية الشخصية الإسلامية _ د . عبد العزيز شرف ، محمد إبراهيم شعبان
طرائف العرب تأليف أحمد محمد رضوان
جزيرة العرب في القرن العشرين تأليف الشيخ حافظ وهبة
قوافل العروبة ومواكبها تأليف محمد جميل بيهم
مملكة في الميزان تأليف محمد السوادي
العربية السعودية _ تأليف عبد الكريم موسى أبا الخيل
ملحمة الرياض للشاعر بوقس سلامة
عبد العزيز آل سعود عمر أبو النصر
القيادة عند العرب _ السيد فرج
أسرار لقاء الملك عبد العزيز والرئيس روزفلت – د. أحمد حسين العقبي
الملك عبد العزيز والتعليم تأليف د/عبد الله سعيد أبو راس ، بدر الدين الديب
دراسة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية د . عبد الفتاح حسن أبو علية
المتوكل على الودود عبد العزيز آل سعود – محمد منير البديوي
تجربة عبد العزيز الفكرية مقال لعبد الرحمن بن سليمان الرويشد
شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز . خير الدين الزركلي
آل سعود في تاريخهم القديم والحديث أحمد علي أسد الله
خمسون عاما في جزيرة العرب حافظ وهبة مصر
الحج إلي بيت الله الحرام ناصر الدين دينيه
تاريخ المملكة العربية السعودية صلاح الدين مختار المجلد الثاني كله في تاريخ الملك عبد العزيز .
فرقة الإخوان الإسلامية بنجد - محمد مغيربي

قوافل العروبة ومواكبها - محمد جميل بيهم
الملك سعود بن عبد العزيز - جمعة عربي
ليلة المصمك - يوسف إبراهيم
السعوديون والحل الإسلامي _ محمد جلال كشك
تاريخ المملكة العربية السعودية د. عبد الله الصالح العثيمين
من شيم الملك عبد العزيز - فهد المارك
الأمن الذي نعيشه -حسن عبد الحي قزاز
معجزة فوق الرمال – أحمد عسة
ماضي الحجاز وحاضره - حسين محمد نصيف
معارك الملك عبد العزيز . د.عبد الله الصالح العثيمين .
ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم – أمين محمد سعيد
ابن سعود – مصطفى الحناوي
صقر الجزيرة – أحمد عبد الغفور عطار
رحلة في أواخر أيام الملك عبد العزيز _ أحمد حمدي طاهر
تاريخ نجد الحديث وملحقاته تأليف أمين الريحاني .
ملوك العرب تأليف أمين الريحاني
قلب جزيرة العرب تأليف فؤاد حمزة.
جزيرة العرب في القرن العشرين تأليف حافظ وهبة
أحسن القصص ، أو سيرة الملك عبد العزيز آل سعود تأليف خالد بن محمد الفرج
صقر الجزيرة تأليف أحمد عبد الغفور عطار
آل سعود في التاريخ " تأليف فريد مصطفى أبو عز الدين
الدولة السعودية محاضرة للدكتور حمد عبد الله ماضي
الملك ابن سعود بقلم محمد صبيح
الرجل في سيرة الملك عبد العزيز . تأليف نجيب نصار
صفحات خالدة " لإبراهيم الشورى
في الحجاز لمحيي الدين رضا.
الملك عبد العزيز آل سعود والمملكة العربية السعودية بقلم عبد الله حسين
لمحة من سيرة الملك عبد العزيز بقلم محيي الدين رضا.
الثورة الوهابية بقلم عبد الله على القصيمي

الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية لسليمان بن سحمان النجدى

الحجاز في عام ١٣٥٦ بقلم أحمد إبراهيم عيسى

تاريخ أمة في حياة رجل، أو الحجاز بين عهدين " تأليف فؤاد مصطفى السابق.

ابن سعود. حياته وتراثه الخالد للعروبة والإسلام " بقلم عبد الله حمدى

دليل الحج والسياحة لأحمد بن الهواري . رحلته إلى الحج

الرحلة السعودية الحجازية النجدية تأليف محمد سعيد العوري

في قلب نجد والحجاز تأليف محمد شفيق مصطفى

ماذا في الحجاز تأليف أحمد بن محمد جمال

مشاهداتي في بلاد الحجاز تأليف عباس متولي حمادة

الوهابيون والحجاز بقلم محمد رشيد رضا

الملكان عبد العزيز وفاروق لمحمد السلاح

تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها تأليف صلاح الدين المختار.

بطل الجزيرة بقلم فكتور ملحم البستاني .

تاريخ آل سعود للأمير سعود بن هذلول آل سعود

درب الانتصار لعبد الوهاب الفتال .

ومن الكتب الأجنبية :

عبد العزيز آل سعود سيرة بطل ومولد مملكة تأليف بنوا ميشان نقله للعربية عبد الفتاح ياسين

العرب وحضارة التاريخ _ تأليف أنتوني ناتنج

ابن سعود سيد نجد وملك الحجاز تأليف كنث وليمز _ مترجم عن الإنجليزية

ابن سعود ملك البلاد العربية بالفرنسية تأليف أنطوان زيشكا

أمير العربية (عربين أديت) باللغة التملية الهندية تأليف عبد الرحيم

البلاد العربية السعودية _ تأليف كي إس تويتشل متعاونا مع إدوارد ج جورجي

ملاقاة العربي _ تأليف جون فان إس أفرد للملك فصلا تحت عنوان ملك الجزيرة العربية

جزيرة العرب الوهابية _ تأليف جون فلبي

خمسون عاما من حكم الملك عبد العزيز _ جون فلبي

مقال عن الملك عبد العزيز _ تأليف كنث وليمز

يقظة العرب _ تأليف جورج أنطونيوس ترجمة علي حيدر الركابي ثم د. ناصر الدين أسد ، إحسان عباس

عبد العزيز _ تأليف داكوبرت فون ميكوش الألماني _ ترجمة أمين رويحة

تحقيق حول ابن سعود _تأليف موريس جورنو

روزفلت يجتمع بابن سعود ويليام إيدي

مولد العربية السعودية - قاري ترولر

بعثة إلى نجد – سانت جون فيلبي

محاربو ابن سعود في سبيل الإسلام – بالإنجليزية رسالة دكتوراه لجون حبيب لايدن

صقر الصحراء _ بيار روفائيل

ابن سعود سيد نجد وملك الحجاز للرحالة الإنكليزي كنث وليمز. ترجمه إلى العربية كامل صموئيل

العربية السعودية باللغة الإيطالية. تأليف المستشرق الإيطالى كارلو ألفونسو

البلاد العربية بالإنكليزية للمستشرق جون فلبي

أيام عربية باللغة الإنكليزية. للمستشرق جون فلبي

ابن سعود، ملك البلاد العربية باللغة الإفرنسية. تأليف البروفسور أنطوان زيشكا

سعودي عربي باللغة الإنكليزية تأليف جيرالد ديررى

حج مكة باللغة الإفرنسية تأليف الدكتور ديوجي

البلاد المقدسة في جزيرة العرب اللغة الإنكليزية تأليف الدون روتر

ملك العربية السعودية باللغة الإنكليزية لأمين الريحاني .

ابن سعود بالفرنسية. تأليف أرمسترونج .

سيد البلاد العربية بالفرنسية تأليف أرمسترونج .

المحن والبلاد السعودية تأليف بريموند

امبراطورية ابن سعود العربية تأليف بروش ول

القضية العربية بالفرنسية. تأليف جوليس طبع في باريس سنة ١٩٣٠.

بلاد العرب الوهابية بالإنكليزية تأليف جون فيلبي .

أصل الوهابية بالفرنسية تأليف ريمون .

تاريخ الوهابية بالفرنسية تأليف كورانز .

الوهابيون بالفرنسية تأليف ريمون.

ابن سعود باللغة الأردية. تأليف مقصود أحمد خان

السلطان ابن سعود باللغة الأردية تأليف غلام رسول الباكستاني.

هذه الكتب بعض ما كتب عن الملك عبد العزيز وهي مصداق لكلام الزركلي وغيره ممن اهتموا بسيرة الملك الراحل رحمه الله ، وإلى الحديث الذي لايمل في الحلقة القادمة إن شاء الله .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٣)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

إن حياة الملك عبد العزيز ما هي إلا امتداد لما رباه عليه الإمام عبد الرحمن الفيصل والنشأة الشرعية التي نشأ فيها فهو منذ نعومة أظفاره وعند بلوغه السادسة من عمره أرسله والده إلى القاضي عبد الله الخرجي وكان مقيما بالرياض ليتعلم القراءة والكتابة وعند الشيخ محمد بن مصيبيح قرأ القرآن كاملا وتلقى دروسا في الفقه والتوحيد على يد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ .

وبعد ذلك شرع في مرافقة والده في غزواته، وحضور مجالسه العامة، ولا سيما مجالس القراءة والدرس، فاستفاد كثيرا من الإمام رحمه الله ، لأنه كان فقيها وعالما بأحوال العرب وتاريخهم .

وكان أبوه عبد الرحمن إمام السلفية فنشأ أبناؤه على نحو ما ينشأ السلفيون الصالحون فبعث بعبد العزيز إلى المدرسة في الرياض ، وعندما بلغ السابعة بدأ يصلي مع أبيه ، والمصلين في الجامع الكبير لا يترك فرضا ، ولا ينصرف عن عبادة ويصوم رمضان ويتلو آيات من القرآن الكريم .

ويروي فؤاد حمزة أنه تمكن من ختم القرآن في عامه الحادي عشر .

وهذا مصداق لقول الشاعر :

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

وكان رحمه الله متخلقا بالأخلاق الفاضلة منذ الصغر ، وشهد له عدوه وصديقه بالعفة والنزاهة والترفع عن الرذيلة .

ولقد واجه الملك عبد العزيز في حياته محنا عظيمة ابتلاه الله بها فأحسن البلاء فيها فقد استولي على ملك آبائه فلما استرده أحاطت به الفتن الداخلية والخارجية فابتلي بجيرانه الذين سطوا على مملكته وابتلي ببعض رعيته الذين خرجوا عن طاعته ، وهم البعض بقتله ، واتهم هو وأتباعه بالدعوة إلى مذهب جديد والبغض للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، وأشيعت عنه الإشاعات المغرضة التي لا أثر للصحة فيها من المناوئين للدعوة السلفية ، وكان ذلك للأسف ممن ينتسبون للإسلام فكان أثر ذلك في نفسه الكريمة عظيما كما قال الشاعر :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

ولكن يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ، زال كل ذلك وأظهر الله للناس الصفحة البيضاء لملكه ومكن له كما وعد والله لا يخلف الميعاد ، وكفاه شر العدو الداخلي كما كفاه شر العدو الخارجي والحمد لله رب العالمين .

والملك عبد العزيز بشر يخطئ ويصيب ، وليس بمبرأ من الذنوب ، فحديثنا عن التزامه بالعقيدة السلفية والمنهج السلفي وتربعه على عرش العمل للإسلام ورفعة المسلمين في هذه المقالات لا يعني خلاف ذلك ، ولاشك أن

هناك أمورا قد يخالفه فيها البعض وهي محل اجتهاد لأهل العلم ، وأن هناك غيرها أملتها عليه طبيعته البشرية غير المعصومة وقد قال بنفسه عن نفسه رحمه الله _ وهذا من تواضعه لاشك _ :

أنا لا أبرئ نفسي فذنوبي كثيرة ، أرجو من الله الرحمة والغفران، وإنما غاية ما أرجوه أن أكون صادقا في القول والعمل، وفي الباطن والظاهر، وأنا وإن كنت ملكا ولكنني أوقفت نفسي وعملي على ثلاث مسائل :

١- أنني أعمل ما فيه الخير والصلاح لديني إن شاء الله .

٢- ليس لي رغبة في معاداة أحد من المسلمين صغيرا أو كبيرا .

٣- أنا لا أحب الاعتداء على أي كان، وجل غايتي في كل وقت الدفاع عن ديني وشرفي وبلادي، وأشهد الله في هذا الشهر المبارك على أنني أتمنى وأسعى للائتلاف والتصافي في كل وقت وآن .

ونقول كما قال الشاعر :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى بالمرء نبلا أن تعد معايبه

والملك عبد العزيز يصعب أن يقف المتأمل لسيرته على شيء سوى المحاسن والمناقب وقد اتفقت كلمة العلماء والأدباء والمفكرين والشعراء والمؤرخين والسياسيين من المسلمين والكافرين في المصنفات الكثيرة التي وقفت عليها على تدين الملك عبد العزيز وسلفيته الواضحة وعزوفه عن مغريات الحياة وسوف أسوق للقارئ الكريم شواهد على ذلك مما يجعلني أقول بناء على ما مكنت من الاطلاع عليه : إن كان أحد بعد عمر بن عبد العزيز رحمه الله الخليفة الأموي يستحق لقب سادس الخلفاء الراشدين فهو الملك عبد العزيز آل سعود بلا منازع . وأحب أن أسوق قصة قصيرة ساقها الزركلي في معرض كلام كثير لكنها تنطوي على دلالات توضح البون الشاسع بين الملك عبد العزيز وغيره في وقته الذي ظهر فيه على أمة الإسلام فبدد الله ظلامها به _ مع ملاحظة أنني لا أقصد انتقاصا لأحد _ :

قال الزركلي :

عندما لجأ رشيد عالي الكيلاني إلى الملك عبد العزيز أرسل برقية للزركلي ليوصلها إلى الملك فاروق ليؤيده في طلب العفو عنه من الأمير عبد الإله فوجده في رحلة للصيد جنوبي البحر الأحمر واستطاع أن يوصل له الرسالة بعد أن أقلته طائرة مصرية إلى الغردقة لأهمية الأمر عند الملك عبد العزيز رحمه الله وانشغاله بأحوال الأمة الإسلامية ووصل الزركلي إلى المحروسة يخت الملك فاروق يقول : فقابلني منفردا وهو بملابس الصيد : قميص نصف الكمين وبنطلون رملي لا يستر الركبة وأول ما بادرني به قال : أنا الآن صياد . فقلت : ومثل جلالتكم من يصيد الفرص لنجدة إخوانه ولم يكن يعلم شيئا عن الموضوع فقال : هات ما عندك ، قرأ الرسالة بإمعان ثم قال بالفرنسية (كلمة معناها) عجيب : هل عرفتم كيف وصل ؟ ومن أي طريق جاء ؟ (فأخذ يسأل عن أمور فرعية) ثم قال : هذه مشكلة وأملي في النجاح بها ضعيف فأنا أقول لك بصفة خصوصية ولا يمكن أن أكتب هذا ويمكن أن ترفعه أنت عن لساني إلى جلالة الملك فتقول له بأنني أعتقد أن الأمير عبد الإله لا يعمل

شيئا في هذا الموضوع إلا برأي الإنجليز وموافقتهم ....الخ وانتقل إلى الحديث عن رحلته فقال : قضينا أياما لذيذة جدا في صيد السمك .....وذكر له بعض التفاصيل .
وكان تعليق الملك على ذلك : كنا ننتظر أن نجد من فاروق تحمسا أكثر مما أظهره.

قال أمين محمد سعيد : يختلف الملك عبد العزيز في عادته وأطواره عن معظم الملوك والأمراء الذين تتلو سيرهم ونقرأ في الصحف أخبارهم فعاداته مخالفة لعاداتهم وتقاليده لا تتفق وتقاليدهم .
وقال التركي :
ومن شاء الموازنة فليوازن بين نموذج الملك عبد العزيز وأصحاب الثورات والكيانات السياسية التي فقدت المنهج فغرقت في طوفان من الأزمات والمفاسد والفتن .
ليوازن ليعلم الفروق الفخمة جدا بين المنهج السديد والفوضى الضاربة المنهكة.

والملك عبد العزيز ممن وضع لهم القبول في الأرض فأحبه الناس وجرى له على ألسنتهم الثناء الحسن والذكر الجميل عربيهم وعجميهم مسلمهم وكافرهم قاصيهم ودانيهم ، ورفعت الأكف بالدعاء له قديما وحديثا وظاهرا وباطنا وهذا من توفيق الله له ومحبته إياه كما قال ﷺ :
إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحببه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض . متفق عليه
ويروي الأمير عبد الله الفيصل عن جده سمعت منه رحمه الله أنه في ابتداء أمره كان يسمع من بعض عجائز الرياض دعاءهن له بأن يفتح الله له خزائن الأرض
قال رحمه الله : إنني عندما أسمع دعواتهن كنت أضحك في نفسي لاعتقادي أنه لا يوجد مغفل يدفن ماله في الأرض ويبقى إلى أن أعثر عليه أنا ولكن بعد خروج البترول عرفت ما هي خزائن الأرض وإن الله استجاب دعواتهن .
وقد انعقد مؤتمر عالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز في مدينة الرياض بجامعة الإمام واتسم بالتمثيل العالمي حيث شارك فيه رجال مختصون ومهتمون من قارات الأرض جميعا وكان بيانه الختامي معبرا بإعلان تاريخي عن التقدير العالمي الجم لعبقرية الملك عبد العزيز ومنهجه القويم في البناء والإصلاح الذي بناه فامتد أثره الخير في مستقبل المملكة وفي العالم الإسلامي والعالم الإنساني .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٤)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

إن ثناء الناس وخاصة المؤمنون على شخص ما في حياته وبعد مماته لدليل واضح على نبل خلقه وكريم طباعه وعلامة على حسن خاتمته ، وقد روى البخاري وغيره عن أنس رضي الله قال مر على النبي ﷺ بجنازة فأثنوا عليها خيرا فقال وجبت ثم مر بأخرى فأثنوا عليها شرا أو قال غير ذلك فقال وجبت فقيل يا رسول الله قلت لهذا وجبت ولهذا وجبت قال : شهادة القوم . المؤمنون شهداء الله في الأرض .

وهذه بعض الأقوال التي قيلت في الملك عبد العزيز من المؤمنين وغيرهم على وجه الإجمال :

قال أحمد رضوان :

فالملك عبد العزيز من أعظم ملوك العرب المعاصرين الذين يمتازون بالصلاح والتقوى والتواضع والحلم والجود والشهامة والوداعة والمرونة والوفاء والإباء وقال وما من ريب في أن الملك ابن سعود استطاع أن يوطن الأمن والسلام ويقيم العدل والمساواة في بلاده بأمر واحد هو العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وقال الشيخ حافظ وهبة :

الملك عبد العزيز مشهور في بلاد العرب بكرم الخلق وبسط اليد ، لا يعرف أية قيمة للدرهم إلا أنه وسيلة لبناء المجد أو حسن الذكرى . فقلما يرد سائلا يطلب معونته ، أو محتاجا يقصد بابه وهو يشرف بنفسه على إعطاء القاصدين حسب منازلهم .

وديوانه مفتوح للقادمين يقابل زائريه مهما يصغر مقامهم بوجه باش ويأخذ ألبابهم بابتسامته التي لا تكاد تفارقه ومجلسه لا يخلو من خطبة صغيرة يراعي فيها نفسية السامعين .

وهو وفي لأصدقائه ، محافظ على ودهم ، لا يحب أن يبدأ أحدا بالعداء ويميل إلى استرضاء الناس واكتساب ودهم مهما كلفه ذلك .

ويقول الدكتور عبد الله التركي :

إن نجاح الملك عبد العزيز أحد الشواهد الزمنية والعملية على صحة المنهج ذلك أنه متى صحت النية وصح الوعي والعزم وصحت الوسيلة فإن تطبيق الإسلام عقيدة وشريعة ووحدة يصبح حقيقة واقعة وملموسة ومشهودة في كل زمان ومكان .

إن النموذج الذي بناه الملك عبد العزيز وإن كان قد تحقق فوق أرض المملكة العربية السعودية فإن لكل مسلم الحق في التعرف إلى هذا النموذج والاستفادة منه.

إن التخلف ليس لازمة من لوازم الأمة الإسلامية كما يزعم الشانئون _ بل التخلف نتيجة مظلمة لأسباب معينة وقد أزال الملك عبد العزيز أسباب التخلف بتوفيق الله فكانت النهضة وكان التقدم والحياة الصحيحة .
الملك عبد العزيز شخصية عربية مسلمة لها أثرها العميق في الحياة المعاصرة للجزيرة العربية وفي نهضة العرب والمسلمين ....
تلك طائفة من الأسباب والدوافع التي تحفز إلى مطالعة تاريخ الملك عبد العزيز.

ويقول عمر أبو النصر :
كان كريما إلى حد الإسراف . قص أحد رجاله أنه لا يعرف شكل العملة ، ولا يفرق بين قطعها وألوانها ولقد عتب عليه أحد رجاله يوما ، وسأله أن يفكر في الاقتصاد قليلا فقال له : وهل أغنت عن عبد الحميد ملايينه ؟ إن أجدادي لم يحملوا في خزائنهم فلسا ، وأنا أسير سيرتهم .
أما غضبه فعظيم مخيف ويعرف رجاله فيه ذلك فلا يجرؤ أحد على التحدث إليه حين يكون ثائرا غاضبا ، ولكنه غضب سريع الزوال . وإن كان مخطئًا اعترف بخطئه ، حلو الحديث جميل المخالطة راغبا في المعرفة طالبا للعلم مجلا لأهل الفضل والأدب .

ويقول الشاعر بوقس سلامة :
تتجلى إنسانية ابن سعود في سخاء يؤيد ما تناقلته الرواة عن حاتم ومعن وآل برمك ، وذكاء فطري .... وعدل هو استواء الشمس في الظهيرة ....، وحلم ينفد البحر قبل نفاده ووفاء ..... كأعلى ما يكون الوفاء ، واتضاع وخفض جناح للضعفاء والمساكين ..... ورقة كرقة الشاعر الرهيف الحس ، وتقوى يصح فيها قول القرآن المجيد (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون)

يقول موريس جورنو :
إذا كان ابن سعود قد نجح في لم شعب الجزيرة العربية تحت لوائه ، وإذا كان قد جعل من بلد مضطرب آهل بالعصابات ، البلد الأكثر أمنا في العالم ، فمرد ذلك ليس في القوة والسيف فحسب ، بل لأنه سكب في أعماق الأمة الناشئة أقوى عوامل التراص والتماسك ، أي التقيد الشديد بأحكام القرآن . فالجرائم التي ترتكب حاليا في العربية السعودية خلال عام كامل أقل مما يرتكب في باريس خلال يوم واحد .

وقال الإنكليزي وليامز : هل بين ملوك الشرق الحاضرين من يضارع ابن سعود؟ لا أذكر حاكما قويا وصل إلى مكانة هذا الملك الذي لا يعدله ملك في العالم الإسلامي . فهو الجندي البطل ، والمصلح الكبير ، والمخلص لدين الله ، والإنسان الظريف الكريم الصريح الثابت الذكي الشجاع المتواضع إلى حد بعيد .

وقال رفيوبلج : الملك ابن سعود مسلم ورع تحلى بصفات السياسي المحنك واستطاع بدهائه العربي أن يصبح أبرز شخصية قي العالم الشرقي .

قال عوني عبد الهادي :
شيئان هائلان في الجزيرة : الصحراء وابن سعود . ابن سعود عبارة عن عالم في رجل ملم كل الإلمام بدخائل ملكه ، مؤمن متدين إلى حد عظيم . قالوا : إن الذي يصغي إليه وهو يقرأ كتاب الله في الليل لا يملك نفسه عن البكاء .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٥)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

نستكمل في هذه الحلقة بعض شهادات الخلق للملك عبد العزيز رحمه الله :

يقول ويليام إيدي :

كان موقف ابن سعود يتمثل في قوله : إن الله قد أعطي الجزيرة العربية الإيمان الصحيح وأعطى الغرب الحديد .

ومع تمسكه بنقاء العقيدة وبكل ما جاء به القرآن الكريم عن الدين والأسرة والزواج والتربية والشريعة فقد قبل الحديد وما يرمز إليه من مهارات تقنية من الغرب .

ووصفه وليام بقوله :

حامي الأماكن المقدسة في الإسلام وأقرب الناس إلى خلافة الخلفاء والمجاهد في سبيل عقيدة الإسلام والمدافع عن المدينتين المقدستين عند ثلاثمائة مليون من البشر .

ويقول ناصر الدين دينيه وهو رسام فرنسي كبير هداه الله للإسلام يصف مقابلته للملك :

هو ذا الملك أمامي قد ارتدى ملابس بسيطة لا تميزه عن سواه ولكن هذا اللباس البسيط يبدو على هذه الشخصية العظيمة كأنه لا نظير له ولم ينجل لي السر في ذلك (سر العظمة) التي يشعر بها الشاخص إليه من أول نظرة إلا عندما ألقيت نظرة سريعة على صفحات العظماء المتقدمين وأخذت أتصور الخلفاء الأربعة الراشدين وأتأمل فيما جمعوه من البساطة والعظمة اللتين جعلتهم أعظم رجال في الإسلام .

وقال أمين محمد سعيد :

وخلاصة القول أن الإمام .... يحاول أن يقتفي سيرة الخلفاء الراشدين فيسير في الجنائز كما ساروا ويخطب على المنابر كما خطبوا ويحارب كما حاربوا وتتجلى هذه الحقيقة للباحث في سيرته الشخصية وفي النظام الذي يسير عليه .

وقال عبد الله الفيصل :

للملك عبد العزيز مزايا خارقة يشترك معه فيها كثير من أبطال الإسلام ولم يصلوا إلى ما وصل إليه .. ويرجع ذلك إلى أسباب : أولها الصلة بين العبد المؤمن الصادق في إيمانه ، وبين الخالق جل وعلا .. إن صلة عبد العزيز ، لم تكن صلة مقرونة برغبة دنيوية . فعقيدته خالصة لوجه الله وإيمانه ليس له حد . فلذلك نجد التوفيق حليفه في أعماله . والثاني : عدم اندفاع الملك عبد العزيز أمام مغريات الحياة .. فتفكيره كان يسبق رغباته .

وهذه لها أثر كبير في عدم تورطه في أمور لا يعلم نهايتها إلا الله . والثالث : تطبيق ما يدعو إليه على نفسه ، وعلى الأقربين منه أولا .

ويقول عبد الرحمن عزام :

ليس في يده إلا سيفه وكتاب الله عدته ، وقد عرفته منذ قرابة ثلاثين سنة هو هو الرجل الذي يملأ سمع الدنيا وبصرها .

عرفته وهو لا يملك من المال لإدارة هذا الملك الواسع إلا الكفاف .

وعرفته والدنيا تفيض بين يديه خيرًا وبركة فلم يكن إلا عبد العزيز بن سعود...

ولد سيدا ومات سيدا .

يعطي كل ما يملك من القليل ويعطي كل ما بيده من الكثير .

لا يعرف المن والأذى . كان رجلا ، إذا أخذت الأمور على طبائعها فإنه ليس إلا شيخا كبيرا من قوم من البدو .

لم يكن عبد العزيز بن سعود وقتئذ يملك الجيوش ولا الأموال ولا فاض على بلاده زيت الجزيرة . ولكن شخصية عبد العزيز ، قبل كل شيء . هي التي جعلت من مثل روزفلت وتشرشل وحتى هتلر قبل ذلك ، وموسوليني طلابا لوده فخورين بالصلات التي يقيمونها معه .

يقول أحمد عسه :

لقد وعى التاريخ أسماء عظماء شيدوا دولا وممالك ..... ولكنه لم يع فردا نقل بجهده وقيادته وتصوره وتخطيطه وتنفيذه مجتمعا بأسره من طور حضاري آخر أكثر تقدما ورقيا (أقول : طبعا باستثناء الأنبياء وعلى رأسهم نبينا محمد ﷺ) فجاء عبد العزيز ليكون الظاهرة الفريدة المعجزة ولذلك كان أكثر من ملك وأكثر من قائد موهوب .. وأكثر من سياسي ..وأكثر من مصلح وإمام لأنه كان كل ذلك معا .

- قاد حركة إصلاح ووضع نواة مجتمع جديد

- نشر الطمأنينة ومنع الجريمة وقضى على أسبابها .

– ساعد الثورات الوطنية في كل بلد عربي ورعى حركات التحرر والاستقلال وناهض الاستعمار ونازل الصهيونية .

- لف من حوله واستوزر نخبة من طلائع الحركات التحررية في البلاد العربية ولم يقم وزنا لمفهوم الإقليمية الضيقة .

- وضع أول نظام للعمل والعمال فسبق بذلك كل بلد عربي وكل بلد إسلامي .

- ركز أسس تعليم الشعب مجانا وتطبيبه مجانا وتقديم الدواء له مجانا وإدخاله المستشفيات العالمية في الحالات المستعصية مجانا.

- وأوجد نظام الترغيب في التعليم عندما أعطى كل طالب يدرس داخل المملكة أو خارجها راتبا شهريا بالإضافة إلى تأمين المدرسة والكتاب .

- وقف في وجه التعصب المتطرف وحاربه .

– هزم خصومه وأخضعهم ولكنه عاد فصاهرهم ورفعهم إلى مصافه ومصاف أولاده فربح قلوبهم وولاءهم ومحا من صدورهم الحقد والتوثب للثأر .

- أعطى حتى أغنى وضرب حتى أوجع ولكنه بقي دائما أبا لا يحقد وملكا واسع الصدر رحيما

- كان أول مسئول عربي كسر طوق حظر السلاح الذي كان مفروضا من الدول الغربية على البلاد العربية من قبل الحرب العالمية الثانية عندما اشترى صفقات الأسلحة من بولونيا وألمانيا

وكان أول ملك عربي مسلم تعامل مع الاتحاد السوفياتي عند النشأة الأولى للمملكة العربية السعودية فربح منه دون أن يتأثر بمذهبه أو يترك مجالا للربح المقابل

قضى حياته في قصر من طين ولكنه رعى قيام المدن الحديثة في قلب الصحراء فعاش مع شعبه ومات بين أفراد شعبه .

وهناك أقوال أخرى كثيرة لكثير من الشخصيات المرموقة أمثال د.هيكل ، العقاد ، القائد عزيز علي المصري ، ومحمود أبو الفتح وجميل مردم وغيرهم .

وقد أفرد الدكتور ساعد الحارثي كتابا ضخما به أكثر من أربعمائة نص منقول عن المفكرين وغيرهم من مختلف بقاع العالم وسماه : الملك عبد العزيز رؤية عالمية . وهو على الجهد المبذول فيه غيض من فيض مما قيل في الملك عبد العزيز !!

ونختم هذه الحلقة بكلمة الدكتور إبراهيم عبده :

لقد عشت مع سيرة الملك الراحل شهورا وأنصت مشغوفا إلى حديث القريبين منه والبعيدين عنه فكان ما قرأت وما سمعت صورة بديعة عن طويل العمر وإنه لطويل العمر فما تقاس أعمار الناس إلا بسيرهم ، وسيرة عبد العزيز لن ينفض لها سامر ما بقي الكون وبقي في الكون إنسان لا أريد أن أزعم بأني ألممت بجميع أطراف هذه السيرة العطرة بيد أنني حاولت محاولة من سبقوني بدراسة جانب منها فقط وسيحاول غيري مثلما حاولت ولن يفرغ الكتاب والمؤرخون من المحاولات حتى يكون في عبد العزيز ألف كتاب فإنه قصة الإسلام والمسلمين ورجع الصدى للخلفاء الراشدين وإحياء للأسلاف من الأئمة الصالحين .

أقول : فرحمه الله رحمة واسعة وجعل في أبنائه الخلف الصالح له .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٦)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

وفي هذه الحلقة نتحدث عن الملك عبد العزيز ومفهوم الإسلام الذي هو الدين عند الله كما قال تعالى ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ آل عمران ١٩

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ''بني الإسلام على خمس ؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان'' .

وقد كانت حياة الملك عبد العزيز كلها بالإسلام وللإسلام

قال رحمه الله :

دستوري وقانوني ونظامي وشعاري دين محمد ﷺ ، فإما حياة سعيدة على ذلك وإما موتة سعيدة .

إن أبنائي سيعكفون من بعدي على إكمال رسالتي إن شاء الله .

ومن أقواله :

الحقيقة أن الإسلام هو اتباع كتاب الله تعالى، وما جاء به الرسول ﷺ.

ويقول تعالى : ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾.. ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾.. وليس هناك شيء أجل من نعمة الإسلام على الإنسان، فقد قال تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ فتمام النعمة هو كتاب الله تعالى الذي شرع به الإسلام، وأول ما يلزمنا من الإسلام هو كلمة الشهادتين ومعنى الشهادة " لا إله إلا الله " أنها تفيد إثبات وحدانيته سبحانه وتعالى ومعنى أن " محمدا رسول الله " أن نحب الرسول ﷺ ونصدقه ونؤمن به ونعمل بما قال ، وكلام الرسول ﷺ لا ينافي القرآن ، والقرآن لا ينافي كلامه ﷺ ، بل كل منهما يتمم الآخر.

والحقيقة أنه لا يوجد إنسان غير مذنب ، .....''ولو لم تذنبوا لخلق الله عبادا يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم''، ولكن الذنوب على جملة درجات، منها مالا يمكن معه صفح أو غفران، وهي الشرك بالله، والكذب على رسول الله ﷺ ، وكل إنسان يرى أن هناك أية حجة أو قوة أخرى أقوى من الكتاب والسنة فقد افترى على الله الكذب، والحمد لله الذي وفقنا- نحن المسلمين- إلى تفهم معنى شهادة " أن لا إله إلا الله " وهي تتضمن نفي معنى الشرك، وإثبات العبادة له سبحانه وتعالى ونهي لما نهانا عنه، وهو ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه، تعالى الله عما يصفون ونحمده تعالى على أنه جعل هذه الأحكام لطفا منه بنا. والإنسان إذا كان مسلما ، يضع لنفسه نظاما يسير بمقتضاه ، فما يخالف كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ فذلك هو الضلال المبين ، نعوذ بالله منه، ومن أعظم ما يثبت علينا في ديننا هو تمسكنا بالشهادتين وبمعناهما الصحيح من إثبات

العبودية لله، والإيمان بنبيه ورسوله ﷺ الذي نجده أحب إلينا من أنفسنا وأموالنا وعيالنا ، ويجب أن نقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت ما استطعنا إليه سبيلا.

ويقول :

إن الدين الإسلامي الصحيح، في نظري، هو أساس الرقي، ومن اعترضنا في ديننا أو وطننا قاتلناه حتى ولو كان أهل الأرض، وإن الإسلام ملك علينا قلوبنا وكل أرواحنا ونسأل الله أن يميتنا على الإسلام ويحفظنا بالإسلام ويحفظ بنا وبالمسلمين الإسلام .

ومن أقواله رحمه الله :

الناس خلق الله وعبيده، وطاعة العبد لخالقه وسيده واجبة، فيجب على الإنسان أن يقوم بالواجب ليرضي الخالق، والمسلم من نظر إلى طريق الخير فاتبعه، ونظر إلى طريق الشر فاجتنبه، ودين الإسلام يأمر بالخير وينهى عن الشر .

الإسلام بني على خمسة أركان، لو تدبر المسلمون حكمها لوجدوا الخير كله فيها :

الركن الأول : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، (لا إله) نفي لكل معبود سوى الله.. (إلا الله) إثبات العبادة له وحده (وأن محمدا رسول الله) إقرار بأن محمدا رسول الله أرسله بدينه وكتابه إلى المسلمين، ولقد أدى رسول الله ﷺ الأمانة، وبلغ الرسالة، فهو الصادق المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى، وهو من أعز أمة ومن أشرف قبيلة، رؤوف بأمته رحيم بها ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ .

الركن الثاني : إقامة الصلاة.. وإن الصلاة تنقي الإنسان من المعاصي كا ينقى الثوب من الدرن حين تنظيفه، وهي مناجاة العبد لربه، وإن سورة الفاتحة التي يرتلها المسلم في كل صلاة من صلواته جامعة للحكم.

الركن الثالث : إيتاء الزكاة، وهذا عطف من الغني على الفقير لمواساته، والزكاة من الأموال معناه تباركها ولا ضاع مال في بر أو بحر إلا من ترك الزكاة .

الركن الرابع : صوم رمضان.. وإن فيه من الحكم الشيء الكثير، منها أن يدرك الغني مسغبة الجوع وألم الفقر ولوعته فيعطف على الفقير ويواسيه، والصيام لله ، والله يجزي العبد : ''الصيام لي وأنا أجزي به''.

الركن الخامس : حج بيت الله الحرام، وإن من حكم الحج اجتماع المسلمين للتشاور والتفاهم وجزاء الحج المبرور خروجه من ذنوبه كما ولدته أمه.

كل هذه من نعم الإسلام أنعم الله بها على المسلمين فيجب على الإنسان أن يتقبل نعم الله بالشكر لأن الله ليس في حاجة إلى عبادتنا وصيامنا، وجميع أمور ديننا، بل هو غني عن كل ذلك وعن العالمين.

وفي خطابه رحمه الله الذي ألقاه بحفل الأمانة بمكة قال :

والمقصود من هذا الاجتماع هو أن نجدد اسم الإسلام ونعمل بمعناه ، والإسلام معناه الاستسلام لله تعالى والطاعة له والإيمان بكتابه ورسوله ﷺ ، وقواعد الإسلام قائمة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأعمال

الخلفاء الراشدين وما اتفق عليه الصحابة الكرام ، وما جاء به فيما بعد الأئمة الأربعة فهي حق لا نحيد عنه قط .

وقال رحمه الله :

وقد أرسل الله الرسل لهداية الأمم والشعوب، وإنقاذهم من الضلالة، وكانت هداية نبينا عليه الصلاة والسلام أن أرسله الله جل شأنه في أحسن القرون وأن بعثه إلى أقدم الأمم، وقد أزال الله ببعث النبي الكريم الشبه والضلال فكانت بركة الله، ثم بركة رسوله علينا عظيمة لا تعد ولا تحصى .

وقد أمرنا الله تعالى على لسان نبيه بأمور عظيمة الشأن لو عملنا بها لكان حالنا اليوم غير ما نرى .

لقد جعل أركان الدين الحنيف خمسة وهي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان، فالله سبحانه وتعالى يأمرنا بالعمل بها مع الإخلاص النقي والنية الحسنة، فإذا صدعنا بأوامره- جل شأنه- كفر ذنوبنا وأولانا نعماءه .

ويقول رحمه الله مؤيدا لقوله ﷺ : ''بعثت بالحنيفية السمحة'' . ولقوله ﷺ : ''ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه'' . موضحا التوافق بين الكتاب والسنة وأنهما لا ينفصلان :

إن الإسلام شريعة سمحة لا غلو فيه.. اختاره الله للمسلمين من بين الشرائع وفضله على جميع الملل. دين الإسلام دين الإنسانية والسماحة، ولقد أرسل الله رسوله محمدا ﷺ بأشرف الكتب لخير الأمم، فكتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.. ولقد أعز الله الإسلام بالسنة المحمدية، فما في كتاب الله تؤيده السنة وما في السنة يؤيده الكتاب .

ويقول :

وقد هدانا الله جل شأنه إلى الصراط السوي في معاشي الدنيا والآخرة، فقال في كتابه العزيز: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ فالاعتصام بحبل الله واجب على كل فرد من أفراد المسلمين، لأن العز كله والخير كله بذلك، فإذا نحن حدنا عن هذا السبيل خسرنا الدنيا والآخرة .

والحقيقة أن حبل الله عز وجل هو كلمة لا إله إلا الله، إذ لا معبود سواه فهو الأول والآخر، وعبادته باتباع ملة إبراهيم، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿واتبع ملة إبراهيم حنيفا﴾، فمن واجب كل إنسان أن يعمل بما أمر الله به، وأن يطيع مولاه صاحب النعمة عليه، ولا يكون ذلك إلا بالعمل بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٧)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

قال تعالى : ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ لقمان ٢٢

عن ابن عباس﴿استمسك بالعروة الوثقى﴾ قال: لا إله إلا الله .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : ''إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يا رب . فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول : لا يا رب . فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول : احضر وزنك . فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فقال : إنك لا تظلم قال : فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء'' .

وهذه الكلمة العظيمة كلمة التوحيد كلمة التوحيد فلأجلها قاتل الملك عبد العزيز رحمه الله ولنشرها عمل

قال رحمه الله :

من نعم الله علينا معرفة كلمة لا إله إلا الله ..

وكل إنسان يعمل بها تتم له السعادة.. فهذه الكلمة هي كل شيء ، ومضمون كل شيء..

ويقول الشيخ محمد حامد الفقي سمعت الملك عبد العزيز يقول : اسمعوا أيها الإخوان أنا عندي أمران لا أتهاون في شيء منهما ولا أتوانى في القضاء على من يحاول النيل منهما ولو بشعره ؛

الأول : كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله اللهم صلى وسلم وبارك عليه إني والله وبالله وتالله أقدم دمي ودم أولادي وكل آل سعود فداء لهذه الكلمة لا أضن به .....

وقال :

من أكبر نعم الله على المسلمين أن جعل أركان الإسلام تلك الأركان الخمسة التي أولها كلمة الإخلاص وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، تلك الكلمة العظيمة الجليلة التي لأجلها كانت الجنة والنار والثواب والعقاب. وكلمة الشهادة هذه تنقسم إلى قسمين :

" لا إله " تنفي العبادات جميعها عن سوى الله، " إلا الله " إثبات العبادة له سبحانه وتعالى، وهي تشتمل على حكم ربانية باهرة، وبعد الإقرار لله بالوحدانية لابد من الإقرار برسالة محمد ﷺ ، لأن من يقول " لا إله إلا الله " ولم يقل " محمد رسول الله " فقد كفر .

وقد جعل الملك عبد العزيز علم المملكة بخلفية خضراء تحمل كلمة التوحيد والسيف وجعل شعارها النخلة وسيفين .

يقول التركي :

وليس من التفسير الموضوعي لهذا الاختيار الذكي المفكر الموفق الظن بأن ذلك جاء وليدًا لخواطر مرتجلة أو فرعًا عن تصور مبتوت الصلة بأصول المنهج وينابيع الفكر السياسي التي يستقى منها الملك عبد العزيز خياراته السياسية .

لا إله إلا الله محمد رسول الله تلخيص للمنهج وتحديد لطبيعة النظام وإعلان عن الوجهة .

والنخلة والخضرة تصوير لمقاصد الدولة في تحقيق الخير والنماء والازدهار .

وفي السيف فكرتان : فكرة القوة العسكرية الرادعة وفكرة القوة الصناعية النافعة وتجتمع القوتان في عنصر الحديد الذي يتكون منه السيف .

كما أن اللون الأخضر رمز إلى رياض الجنة

وكلمة الشهادة التوحيد الخالص

والسيف الموضوع إشارة إلى الجهاد لإعلاء كلمة الله .

ومن الواضح لكل مسلم الفارق بين هذا العلم الذي ينبغي أن يرفع مثله على كل بلد مسلم وبين الأعلام الأخرى ذات النجوم والصقور ونحوها والتي ترمز للعسكرية وغيرها مما يشترك فيه المسلم والكافر .

وهو العلم الوحيد الذي لا ينكس مهما كانت الظروف لأنه يحمل كلمة التوحيد .

وكان رحمه الله يقول :

أما نحن، فتعرفون – يا إخوان – سيرتنا.. وليس لنا من المقاصد والغايات إلا أن تكون كلمة الله هي العليا.. نحن سرنا في الجادة ولم يكن عندنا مال ولا رجال.. نحن أهل بادية، وإن ما ترونه اليوم لم يكن إلا من بركة الله تعالى، ونحن نعاهد الله ونقسم أمامكم على ذلك، وأننا لن نتنكب عن الطريق السوي مهما تحملنا من المتاعب والمشاق.. فإن الذي يجمع شملنا ويوحد بيننا هو أمر صغير في حد ذاته ولكنه كبير وعظيم، وهو الالتفاف حول كلمة التوحيد والعمل بما أمر به الله ورسوله ﷺ .

ومن رسالة من الشيخ محمد بن عبد اللطيف وإخوانه للملك عبد العزيز ننقل هذه الفقرة :

وما عرف به جنابك المكرم كان معلوما خصوصا ما ذكرت من جهة نصرك لكلمة التوحيد وقيامك بجدك وجهدك فيما يثبتها . هذا لا نشك فيه ونرجو الله أن يجزيك عما فعلت بالدرجات العلى وكل من كان في قلبه إيمان يشهد لك بذلك ويدعو لك وهو من نعم الله عليك وعلينا وعلى المسلمين فيجب على الجميع شكرها ورعايتها .

رحمك الله يا عبد العزيز وأثقل موازينك بنصرك التوحيد .

نور الشهادة تبديه أسرّتـه وهالة المجد تضفيها حمائله

وحوله من سماء البيد شارقة من البداوة تزكيها شمائله

وفوق عينيه للتوحيد بارقـة شعت ضياء بما تطوي دخائله

شهادتان هما للروح مرفـأة فيها منار الهدى فيها مشاعله

إسلاميات الملك عبد العزيز (٨)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

التزم الملك عبد العزيز السلفية في العقيدة والمنهج وفي معالجة الأصول والفروع وأقام صرحه على التوحيد الذي هو حق الله على العبيد كما صح في حديث معاذ رضي الله عنه قال : كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له: عفير فقال : ''يا معاذ هل تدري حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟ '' قلت : الله ورسوله أعلم قال : '' فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا .'' فقلت : يا رسول الله أفلا أبشر به الناس ؟ قال : ''لا تبشرهم فيتكلوا''

يقول التركي :

ارتفق عبد العزيز منهجا شديد الوضوح قوامه أصول أربعة :

١- عقيدة التوحيد ٢- شريعة الإسلام ٣- وحدة الجماعة المسلمة

٤- البيعة

والملك عبد العزيز داعية للتوحيد ومقيم للشريعة وبان للوحدة ، وهذا ما يتطلع إليه الدعاة المفكرون الصادقون المستنيرون في العالم الإسلامي .

وكان الملك عبد العزيز رحمه الله دائما يتمثل بقول مالك رضي الله عنه : لا يصلح هذه الأمة إلا ما أصلح أولها .

ويقول رحمه الله :

إنني رجل سلفي، وعقيدتي هي السلفية التي أمشي بمقتضاها على الكتاب والسنة، أما قدوتنا- إن شاء الله- فهو عمر بن الخطاب في الخلفاء الراشدين، ذلك الإمام الذي حمل الدقيق على ظهره لإحدى أرامل المسلمين، وفي الأمويين عمر بن عبد العزيز الذي ضرب بعدله وزهده المثل، وإنني أود أن نفنى- أنا وأولادي - في سبيل الله .

وقال أيضا :

يقولون إننا (وهابية) والحقيقة أننا سلفيون محافظون على ديننا، ونتبع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وليس بيننا وبين المسلمين إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ولقد صدق القائل :

فليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

نسأل الله تعالى أن يعز الإسلام ويزيل عنا الشر والعدوان، وأن يوفقنا إلى العمل بما جرى عليه السلف الصالح ببركة الله ثم ببركة التعاون والتآلف، وأوصيكم بالتعاضد والتساند وأن يحب أحدكم لأخيه ما يحب لنفسه..

ويقول :

إن العرب في هذا الزمن تأخروا كثيرا وليس لهم من المجد شيء ، فوسائل القوة كلها بيد غيرهم ، وإذا لم يرجع العرب للأصل الذي نشأ عليه أولهم فما هم ببالغين شيئا إلا أن يشاء الله .

إن الدين هو مركز المغناطيس الذي يجذب قلوب الناس إليكم ، فتقوى بذلك قلوبهم ، ويعظم مركزكم في الوجود ، فدينكم وشرفكم العربي هو المغناطيس الحقيقي فتمسكوا به تنجحوا وتروا الحرية الصحيحة ، وليست الحرية أن يترك الإنسان لهواه في الوقت الذي يكون عنقه تحت الرق والأسر ، ولكن الحرية الصحيحة هي حرية الإسلام الذي جعل الأمير والوضيع أمام العدل والحق سواء ، وإنه لما يثلج الصدر أن نرى الأمير والضعيف يسيران معا ليقفا أمام الشرع ليقضي بينهما.

قال الأمير سلمان :

يجب أن نعرف أن أهم خصلة في الملك عبد العزيز هي إيمانه بالله قبل كل شئ ونبل هدفه الذي اعتمد على الله عز وجل ثم على أبناء شعبه في تحقيق ما يصبو إليه من عمل مجيد أدى إلى أن تصبح هذه البلاد – والحمد لله – بلادا تحكم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وتقوم على مبدأ التوحيد، ولي مقدمة أود أن أقولها.. الملك عبد العزيز لم يجئ من فراغ ، الملك عبد العزيز جاء على أثر منهج قام به آباؤه وأجداده بداية من الإمام محمد بن سعود عندما تبنى دعوة التوحيد ، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهي دعوة خالصة في سبيل توحيد الله قبل كل شيء ، وهذا عنوانها الأساسي ، ونهجها منهج السلف الصالح، لذلك، الملك عبد العزيز لم يكن طالب شهرة أو طالب ملك فقط وإن كان سبقه آباؤه وأجداده وهذا هو حقه بطبيعة الحال لكن لم يكن هذا المقصود فقط، إن الملك عبد العزيز لم يسع لمركز ملك أو شهرة أو نفوذ أو أي غرض دنيوي لكن هدف عبد العزيز هو إقامة دولة تحكم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما قلت في السابق– وأن يبني وحدة قائمة على هذا أساس، وعبد العزيز وحد قلوب أبناء شعبه قبل كل شيء.

ويقول التركي :

وكان من مقتضيات المجاراة العرفية في منطق السياسيين الذين يضحون بالعقائد من أجل أهوائهم السياسية أن يجاري الملك عبد العزيز بعض الأعراف وطوائف من العوام في البدع والخرافات التي تنال من جلال التوحيد ولكنه لم يفعل لأن التوحيد عنده أغلى وأسمى وأعظم من أي اعتبار آخر .

يقول كشك :

﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ وقد روى فيلبي أن عبد العزيز قال له : إن هذه الآية هي شعاره .

عبد العزيز وحده بدا ظاهرة مخالفة لقوانين التاريخ .. وحده كان يطرح الحل الإسلامي وينتصر .. وحده كان يرفع شعارات اعتقد البعض أنها أصبحت في ذمة التاريخ وفقدت مفعولها فإذا بها في معسكر عبد العزيز تفعل

الأعاجيب ، وتثبت أنها وحدها التي استطاعت أن تحقق إنجازا هو الذي بقي ، بينما تلاشت أوهام وأحلام الذين تخلوا عن الإسلام في مطلع القرن العشرين بأمل النجاة من الاسترقاق الأوربي أو تحقيق التقدم المادي .
تحت راية عبد العزيز التي تحمل شعار التوحيد الإسلامي ، رأى الناس جيشا ، إن لم يكن جيش الصحابة فهو يحاول جهده أن يعيد سيرتهم ، وينتصر بينما الهزيمة على كل الجبهات ها هو زعيم استطاع هو وقومه أن يغيروا ما بأنفسهم فغير الله ما بهم وسلطهم على من لا يخشون الله.
ومن أقوال الملك عبد العزيز رحمه الله في التوحيد :
وأما العبادة فلا تصرف إلا لله وحده، لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل، ولا تخفى عليكم الآية الكريمة التي وردت في آخر سورة " الذاريات " في قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾.. ومعنى "يعبدون " أي " يوحدون ".. فالتوحيد خاص بالله تعالى، والعبادة لا تنصرف إلا إليه، والرجاء والخوف والأمل كله بالله ولله ، وما بعث محمد ولا أرسل الرسل ولا جاهد المجاهدون إلا لتوحيد الله تعالى.

ومن كلامه رحمه الله في الوهابية وتشويه المغرضين لسمعة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ومن انتهج نهجه السلفي في العقيدة قال :
يسمونا بالوهابيين أو يسمون مذهبنا " الوهابي " باعتبار أنه مذهب خاص.. وهذا خطأ فاحش نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان يبثها أهل الأغراض..
نحن لسنا أصحاب مذهب جديد أو عقيدة جديدة ، ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه السلف الصالح .
نحن نحترم الأئمة الأربعة ولا فرق عندنا بين مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة.. في نظرنا..
هذه هي العقيدة التي قام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يدعو إليها ، وهذه هي عقيدتنا وهي عقيدة مبنية على توحيد الله عز وجل خالصة من كل شائبة منزهة من كل بدعة ، فعقيدة التوحيد هذه هي التي ندعو إليها، وهي التي تنجينا مما نحن فيه من محن وأوصاب .
أما التجديد الذي يحاول البعض إغراء الناس به بدعوى أنه ينجينا من آلامنا فهو لا يوصل إلى غاية ولا يدنينا من السعادة الأخروية..
إن المسلمين في خير ما داموا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وما هم ببالغين سعادة الدارين إلا بكلمة التوحيد الخالصة..
ويقول رحمه الله :
قد نصرنا الله بقوة التوحيد الذي في القلوب والإيمان الذي في الصدور، ويعلم الله أن التوحيد لم يملك علينا عظامنا وأجسامنا فحسب، بل ملك علينا قلوبنا وجوارحنا، ولم نتخذ التوحيد آلة لقضاء مآرب شخصية أو لجر مغنم وإنما تمسكنا به عن عقيدة راسخة وإيمان قوي ، ولنجعل كلمة الله هي العليا..

إسلاميات الملك عبد العزيز (٩)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

يقرر الملك عبد العزيز رحمه الله المنهج الفقهي السلفي بكلام رصين مع تواضع وإنكار للذات فيقول :
أنا لست بعالم، ولكن الحق برهان والذي نمشي عليه هو طريق السلف الصالح ، ونحن لا نكفر أحدا إلا من كفره الله ورسوله، وليس من مذهب سوى مذهب السلف الصالح، ولا نؤيد بعض المذاهب على بعضها. فأبو حنيفة والشافعي ومالك وابن حنبل أئمتنا، ومن وجدنا الحديث الصحيح معه اتبعناه ، فإن لم يكن هناك نص وإنما هو الاجتهاد في الفروع فنتبع اجتهاد أحمد بن حنبل ، والأصل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وقال رحمه الله :
وقد جعلنا الله – أنا وآبائي وأجدادي – مبشرين ومعلمين بالكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح ، لا نتقيد بمذهب دون آخر، ومتى وجدنا الدليل القوي في أي مذهب من المذاهب الأربعة رجعنا إليه وتمسكنا به، وأما إذا لم نجد دليلا قويا أخذنا بقول الإمام أحمد . فهذا كتاب " الطحاوية " في العقيدة الذي نقرؤه وشرحه الأحناف ، وهذا تفسير ابن كثير– وهو شافعي– ولكن بعض المسلمين تركوا سنة الرسول ﷺ والسلف الصالح واتبعوا أهواءهم ، وقد قال عليه الصلاة والسلام: " لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبرا وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه". وقال عليه السلام: "إن بني إسرائيل افترقت على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا واحدة".. قالوا من هي يا رسول الله؟.. قال : "ما أنا عليه وأصحابي".. إن الله يعفو عن كثير وكل إنسان لا يرتجي شفاعة الرسول ﷺ يكون جاهلا بأمور الدين.. نعم.. الشفاعة ترجى ولكن يقول :" اللهم شفع محمدا بي ".. فحقيقة التمسك بالدين هي اتباع ما جاء بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه السلف الصالح وهذا هو الذي أدعو إليه، وما كان مخالفا لهذا القول فهو كذب وافتراء علينا .
وكان الملك عبد العزيز يسعى قدر طاقته لتعريف المسلمين في البلاد العربية والإسلامية بالعقيدة الصحيحة بعدما طرأ عليهم الخرافات والبدع وذلك من خلال عدة وسائل أهمها :
١– اللقاء بوفود الحجيج وحثهم على التمسك بالدين الصحيح ليكونوا دعاة إلى المنهج السلفي بعد عودتهم إلى بلادهم
٢– دعم ونشر الكتب والمجلات والنشرات الإسلامية التي توضح الدين الحق والإسهام في توزيعها وإرسالها إلى العديد من البلدان
٣– دعم العلماء السلفيين في مختلف البلدان ماديا ومعنويا لإيضاح الحق والرد على من يحاول تشويه صورة الدعوة وحقيقتها

٤- إرسال الدعاة إلى هذه البلدان للتعرف بالمنهج السلفي حيث أرسل الملك عبد العزيز الكثير من العلماء والدعاة إلى توحيد الله وعبادته.

ونظرا لمكانة مصر بين البلدان الإسلامية لوجود الجامع الأزهر بها والذي كان له دوره الكبير في مسير الحركة العلمية والثقافية بالإضافة إلى وجود العديد من المدارس العربية التي جعلت الحالة الثقافية في مصر أحسن منها في بلاد الشام وغيرها من البلدان ، ونظرا لهذا كان الملك عبدالعزيز يوجه اهتمامه إلى مصر وذلك بدعم العلماء السلفيين فيها مثل الشيخ محمد رشيد رضا ومحمد حامد الفقي ومحمد خليل الهراس وعبد الرحمن الوكيل وغيرهم من أعلام الدعوة السلفية في مصر .

وفي الشام قام الشيخ محمد بهجت البيطار بدعم من الملك عبد العزيز بنشر الدعوة السلفية من خلال نشاطاته الدعوية المتنوعة .

وممن كانت له جهود سلفية في الشام أبو اليسار الدمشقي وناصر الدين الحجازي وقد وجه لهما الملك عبد العزيز رسالة ضافية يحثهم فيها على المضي في الدعوة ومما جاء فيها قوله :

ومن حسن توفيق الله لكم أن أقامكم في آخر هذا الزمان دعاة إلى الحق وحجة على الخلق فاشكروه على ذلك واعلموا أن من أقامه الله هذا المقام لا بد أن يتسلط عليه الأعداء بالأذى والامتحان ، فليقتد بمن سلف من الأنبياء والمرسلين ومن على طريقهم من الأئمة المهديين ولا يثنيه ذلك عن الدعوة إلى الله فإن الحق منصور وممتحن والعاقبة للمتقين في كل زمان .

وفي العراق وجد الشيخ محمود شكري الألوسي الذي كان يرى أن مذهب السلف هو الوسيلة الوحيدة لتحرير العقول من رق التعصب الذميم وعدم مراعاة الدليل . وقد اتصل بالملك عبد العزيز في نجد سنة ١٣٣٣هـ وتزعم حركة الإصلاح الإسلامي في العراق وكتب عدة مقالات في مواجهة بعض المذاهب الإسلامية المنحرفة .

ومن كلام الملك عبد العزيز في جزئيات عقيدة التوحيد :

يقول الملك عبد العزيز رحمه الله مقررا أنه لا واسطة بين الله وخلقه كما يزعم المشركون ومن شابههم :

سوى بينكم وأكبر من شأنكم فأمر ألا تعبدوا إلا واحدا ، ولا تخافوا إلا واحدا ولا تسألوا إلا واحدا ، ومعلوم أن أرباب النفوس العالية إذا كان لها عند ملك من الملوك حاجة تحب أن تدلي بحاجتها إلى الملك بلا واسطة، والله يأمر عباده أن يسألوه بلا واسطة، ولاشك في أن هذا- أي عدم الواسطة- تكريم لك أيها الإنسان .

ويقول :

ومن أعظم الأوامر توحيد الله - جل وعلا- توحيدا منزها عن الشرك، إن الله لم يجعل بينه وبين أحد من خلقه واسطة، فهو يقول : ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ ويقول ﴿نحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ .

وقال رحمه الله مقررا لحقيقة الإيمان وأنه اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان :

وجعل لهم فضائل كثيرة وجعل لهم اليوم الأكبر في هذه البقعة المباركة منبع الوحي والدين هذه أكبر نعم الله سبحانه وتعالى، فيجب علينا الاعتراف بهذه النعم والاعتراف لا يكون باللسان فقط.. بل ينبغي أن يكون بالجوارح، والجنان أيضا، فيؤدي واجبا من الواجبات وركنا من الأركان، فالواجب على المسلمين الاعتراف بنعم الله والقيام بأداء الشكر عليها .

ويقول الملك عبد العزيز رحمه الله في تقرير عقيدة أن الخير والشر كله من الله :

فالواجب على المسلم أن يحرص على دينه وعلى نصيحة المسلمين، وأن يقدم الخير على الشر، كل هذا من الله ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ والأمان جند من جنود الله، والخوف جند من جنود الله ، فالإنسان لا يأمن إلا بأمن من الله، ويجب أن تعتقدوا أن ما ترونه من الأمن الآن ليس هو إلا نعمة من الله أنعم بها على المسلمين، فيجب علينا أن نشكر الله على هذه المنة الكبرى والنعمة العظمى .

ومن كلامه رحمه الله في خلق أفعال العباد :

يجب أن نعرف أن لكل زمان حالا، وحالة زماننا هذا لا تخفاكم ، وتقلباته الواقعة لا تكاد تخطر على العقول ولا يمكن تصور أحداثها وما يتطور منها في الجو أو البر أو البحر، والله وحده هو الذي خلق كل شيء ، ولقد أحاط بنا قوة من خلق الله من قوم عملوا ما عملوا بعلم الله لأنه – سبحانه وتعالى– لا يطاع إلا بإذنه، ولا يعصى إلا بعلمه، فيجب علينا أن نرد الأمر كله لله .

وقال محاربا لعقيدة الإرجاء التي تفشت في مجتمعات المسلمين :

كثيرا ما تلوك ألسنة المسلمين "إن الله غفور رحيم " وهذا الكلام صحيح.. ولكن ألم يأتهم نبأ قوله تعالى ﴿إن الله شديد العقاب﴾؟.. إن الله غفور رحيم لمن تاب وآمن وعمل صالحا، أما من يستمر في طغيانه ويصر على كفره فسيناله عقاب ربه.. إنني أرجو من المسلمين أن يرجعوا إلى كتاب الله وسنة رسوله.. وهذا هو ديننا وهذا هو معتقدنا.. نقاتل من أراد أن ينال ديننا أو وطننا بأذى .

ويقول :

والإنسان يجب عليه ألا يقنط من رحمة الله، ولا يغتر بها، فإن الله غفور رحيم شديد العقاب لمن يشاء ويعذب من يشاء .

إسلاميات الملك عبد العزيز (١٠)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

نستكمل اليوم بعض أقوال الملك عبد العزيز التي توضح عقيدته السلفية التي أفنى عمره في تقريرها :

فمن كلامه رحمه الله في مسألة الوعد والوعيد :

الحقيقة أن الله جعل للإنسان بصيرة يميز بها بين الحق والباطل، وقد أراه الطريق واضحا ، ومن فضل الله على الإنسان وهو فقير عاجز أن سلط عليه نفسه والشيطان وجعل في مقابلها الإنعام عليه بالقبول والرجوع بحيث يفيء الإنسان إلى ربه ويمشي على الصراط المستقيم.

وقد جعل الله في جوارح الإنسان طبيعة اقتراف الذنوب وفي مقابل ذلك من الله عليه بنعمة التوبة والاستغفار، وهذا ، والحمد لله، من عنايته ولطفه ....

وقال :

ونحن جميعا مقصرون في أمور ديننا، ولكن الله غفور رحيم، وفي حديث قدسي عن الله : ''يا عبادي لو لم تذنبوا لخلقت عبادا يذنبون فيستغفرون فأغفر لهم'' .

وقال :

والنار يؤبد فيها المشرك والكاذب على رسول الله ومبغض رسول الله، وأما أهل الكبائر وسائر الذنوب فمنهم من يبقى كثيرا ومنهم غير ذلك فرحمة الله وسعت كل شيء ، كما أن المسلم لا يضمن للمؤمنين النجاة ولكنه يرجو للمسلم الموحد الخير، ويخاف على الآخرين من أهل الضلال، والمسلم لا يجوز له أن يطلق الكفر على أمة بحالها ، فهذا على الإطلاق لا يجوز، والناس مختلفون، ولو أن الله توعدهم بقوله ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم...﴾ الآية، وفي معنى الحديث: ''ما حق الله على العباد وحق العباد على الله ؟ حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به، وحق العباد عليه سبحانه وتعالى ألا يعذبهم'' .

ومن كلام الملك عبد العزيز في إثبات الشفاعة بشروطها :

يقول :

وكل من لا يرجو شفاعة محمد ﷺ لا يدخل الجنة، ومعنى طلب الشفاعة أن تقول يارب محمد شفع فينا رسولك محمدا ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ ، وكلنا نسأل الله سبحانه وتعالى أن يشفع فينا رسوله الكريم .

ومن كلامه في الولاء والبراء والحب في الله والبغض في الله :

والمسلم يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، والمسلم يفرح بعبادة الله وطاعته ولو من عدوه، ويكدره ما أغضب الله ولو من عمل نفسه، قال تعالى ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾

ويقول :

إنني أفخر بكل من يخدم الإسلام ويخدم المسلمين وأعتز بهم بل وأخدمهم وأساعدهم وأؤيدهم وإني أمقت كل من يحاول الدس على الدين وعلى المسلمين ولو كان من أسمى الناس مقاما وأعلاهم مكانة.

ويقول :

والله ثم والله إن العجوز القابعة في وكرها والتي لا تملك من الثياب إلا الأطمار البالية وهي تعبد الله وحده عبادة خالصة لهي أحب إلى قلبي من أي إنسان بلغ من العظمة والشأن ما بلغ إذا كان لا يؤمن بالله إيماناً صادقاً خالصاً ولا يعمل بما جاء في كتاب الله .

ويقول :

اثنتان أحمد الله على واحدة منها وأشكره على الأخرى أحمد الله على أني أكره أهل الضلال وعلى كراهة أهل الضلال لي وأشكره على محبة أهل الخير لي ومحبتي لهم .

ويقول :

سمعت قولا لرجل تصدر للزعامة بين من يدعون الإسلام يقول : يجب أن نتفق مع إخواننا اليهود !!! وأي صلة بالإسلام لمن يؤاخي اليهود ؟ وهل هناك أخوة غير أخوة النسب أو الإسلام ؟ كذبوا والله ثم كذبوا ...

إنني والله لا أحب إلا من أحب الله حبا خالصا من الشرك والبدع ، أنا والله اعمل إلا لأجل ذلك ، ولا يهمني أن أكون ملكا أو فقيرا . اللهم إن كنت تعلم أن ما أقسم اليمين عليه هو عقيدتي التي اعتقد أن تؤيدني وتنصرني وإن كنت تعلم أن ما أقسم عليه مخالفا لما أعتقد أن تكفي المسلمين سوئي ، والله والله ثم والله والكاذب عليه لعنة الله، إني لأتمنى أن يجمع الله النصارى واليهود وكل إنسان على وجه الأرض ويشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله شهادة خالصة وأكون أنا وجميع أولادي وأفراد عائلتي فداء إسلام الناس كلهم ، والله ثم والله إني لأفضل أن أكون على رأس جبل آكل من عشب الأرض أعبد الله وحده على أن أكون ملكا على سائر الدنيا وهي على ملتها من الكفر والضلال ، اللهم إنك تعلم أني أحب من تحب وأبغض من تبغض .

ومن رسالة من الملك عبد العزيز إلى من يراه من علماء المسلمين ننقل هذه الفقرة :

....ونحن مجبورون باستقبال مندوبي النصارى لأجل ما ذكرنا أعلاه وإلا إن شاء الله نبرأ إلى الله من موالاتهم ومن تقريبهم لا هم ولا من في قلبه أدنى غش للإسلام والمسلمين وليس من الممكن أن أركب مطيتي لمقابلة كل من يريد مواجهتي في الأحساء أو غيرها ومن غير الممكن أن كل مسألة أوليها غيري فإن كان ذلك يخل علينا في أمر ديننا ولا يصير لنا دين إلا باجتنابه ولو المصلحة تضيع والمضرة تحدث فنبرأ إلى الله في ما يلحق أمر ديننا فإن كان لنا أسوة لمن هو قدوة لنا في أمر ديننا ودنيانا أفتونا في كشف المسألة عنا وعن إخواننا وفقنا الله

وإياكم للصواب ومنحنا وإياكم جزيل الأجر والثواب ولا أعدمنا الله بقاءكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فأجابه العلماء حفظهم الله برسالة جاء فيها :

.... ولا يزال يقدم من الكفار والنصارى على بلاد المسلمين بالأمان الواحد بعد الواحد كما هو مذكور في السير والأخبار ولا يلزم من هذا موالاتهم ولا يسمى هذا موالاة للكفار حتى في المخاطبات كما قال ابن القيم رحمه الله في استنباطه من كلامه ﷺ بقوله : ''عظيم الروم'' وهذا فيه مخاطبة الكفار باللين عند الحاجة إلى ذلك وبالجملة فالذي يطعن بهذه الأمور إما رجل مجتهد معذور أو إنسان له مقصد سيئ . والرعية إذا انفتح لها باب الطعن على الولاية وعلى من قام بها بأسباب لا تخرجه عن الإسلام ولا توجب الطعن عليه – بل هي مصلحة للإسلام وأهله ودرء للمفاسد – لفتح باب الشر وحدثت الفتن التي هي غاية مرام الكفار .

ومن كلامه رحمه الله في محبة الأولياء والصالحين :

وأما محبة الأولياء والصالحين فمن ذا الذي يبغضهم منا ؟ ولكن محبتهم الحقيقية هي العمل بما عملوا به واتباع سننهم في التقوى .... ولكننا لا نرفعهم فوق المرتبة التي يريدونها لأنفسهم ولا يريدها لهم الله وهذا الذي ندين الله به . إن كان عندكم ما ينقضه في كتاب أو سنة فأتونا به لنرجع عنه .

إسلاميات الملك عبد العزيز (١١)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

ومن كلام الملك عبد العزيز في الفرق الضالة والفرقة الناجية

فلما من الله على عباده بالإسلام أرشدهم إلى العبادة ، ولكن الناس اختلفوا، وقد قال النبي ﷺ : '' افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة '' وهذا دليل على أن كل إنسان يفترق عما جاء به الرسول ﷺ هو في النار ....

وقال :

ومن لم يعمل بما جاء في كتاب الله فهو كافر ، لأنه لما انتشر أهل الزيغ وفسدت العقائد اختلف الناس إلى فرق وشيع ، فافترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة وقال ﷺ: ''ستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة''.. قالوا : وما هي يا رسول الله؟.. قال : ''ما أنا عليه وأصحابي''..

ومن كلامه عن الخوارج والروافض :

قال :

وقد قال النبي ﷺ : ''أخوف ما أخاف على هذه الأمة الخوارج عليها

من الذين تركوا المحكم وفسروا المتشابه وبهذا ضلوا''.. فيجب أن نؤمن بكتاب الله وبمتشابهه ونؤمن بما جاء به محمد ﷺ ، ومن الناس من يقول آمنا ولكنهم يسبون أهل بيته ويسبون عمر وعثمان وأصحابه، وكيف ذلك وقد قال ﷺ :''عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي''..... ولا نستطيع أن نفعل ذلك إلا باتباع سنة رسول الله ﷺ والسلف الصالح من الذين هاجروا مع النبي ﷺ وجاهدوا في سبيل الله ، فكل إنسان لا يحب الله وكتابه ورسوله فهو ضال، والكلام في هذا يطول .

ويقول :

إننا لا نكره أحدا على اعتناق مذهب معين أو السير في طريق معين في الدين فذلك موكل أمره لعلماء الدين وحملة الشريعة ولكني لا أقبل بحال من الأحوال التظاهر بالبدع والخرافات التي لا يعتبرها الشرع وتأباها الفطرة السليمة .

وقد وصفه فلبي بأنه وهابي ملتزم وذكر موقفه من الشيعة وتحريمه عليهم التظاهر العلني بالعقائد غير المقبولة .
وقال : زيارة الأماكن المقدسة لدى الشيعة لا تحظى بتشجيعه لكن الزوار العائدين لا يتعرضون لمساءلته وبالرغم من ذلك فإنه لا أحد أكثر ابتهاجا منه لو أن زيارة كربلاء والنجف جعلت مستحيلة بصفة دائمة ولا أحد أكثر سرورا منه بالعقاب الذي وقع حديثا للضالين من النجف.
ومن كلامه رحمه الله في اليوم الآخر يوم التغابن :
فالذي يتمسك بكتاب الله فقد نجا من هول الآخرة، والذي يتركه يهلك، وكل شخص يأتي يوم القيامة وهو متأسف محزون، فالمحسن يتأسف على ما فاته من زيادة في الأعمال الصالحة، والمسيء يحزن على ما فرط منه في دنياه من الأعمال السيئة وأنتم أعلم بما أقول .
ولقد كان شعار خيالة جنوده رحمه الله الذي يستفتحون به استعراضهم الصباحي : أنا خيال التوحيد أخو من أطاع الله . ويضرب برصاصته في الفضاء .
شعارهم كلمة التوحيد قد بلغت باب السموات فانشقت لها الحجب
وكلهم عندما يبصرك تسمعه يعتز بالله والإسلام يحتسب
وكان النداء المتفق عليه للتأهب للرحيل في السفر : توكل على الله.
كما كان من كلمات الترحيب به رحمه الله قولهم : أعزك الله بطاعته، ثبتك الله على كلمة التوحيد ، هداك الله لنا وهدانا إليك .

كما قام الملك عبد العزيز رحمه الله بحماية المملكة من أن يتسلل إليها شيء من عقائد الكفار من نصارى وشيوعيين وغيرهم وتحريم دخول المنصرين إليها أو وجود صلبان أو غير ذلك من شعارات الكفار كما حرص على عدم دخول الشيوعيين بلاده . قال الدكتور محمد ناصر الشثري : حدثني والدي عن الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع قال عينني والدي الملك عبد العزيز أميراً على الرياض وفي ذات يوم استدعاني على عجل فحضرت مسرعا فقال أيدخل الشيوعيون بلادي وأنا على قيد الحياه ؟ كأنه قد رأى في المنام أنه يوجد في الرياض شيوعي قال فأحضرنا له جوازات الأجانب الموجودين في الرياض حيث كانت جوازات الأجانب في ذلك الوقت تبقى عند أمير المنطقة إلى أن يغادر الأجنبي وكان الأجانب في ذلك الوقت قلة قال فلما أحضرنا إليه الجوازات فنظر في صورة أصحابها فأخرج منها جوازًا وقال هذا هو قال الأمير فبحثنا عنه فوجدناه في أحد أحياء مدينة الرياض وإذا هو شيوعي كما ذكر الملك عبد العزيز فرحل خارج المملكة .
وقال ناكانو الياباني : وعن الشيوعية قال الملك : الشيوعية.. نحن لا نوافق عليها أبدا ، بل نود أن تنتهي . وهنا تبذل محاولات ، لكن رجال بلدنا لا يقبلونها أبدا ، وهذا أمر واضح تماما، ولهذا نحن نعتقد أن الشيوعية لا يمكن أن تأتي إلى بلدنا أبدا ، ومن هنا فنحن لا نشعر بوجود مخاطر من الشيوعية تجاه سياستنا .

وقد أغلق رحمه الله الباب في وجه المنصرين فلم تقم لهم قائمة في الأراضي السعودية

وفي تقرير للقنصلية الأمريكية بالقدس :

ألقى القبض على الريفرنس جورج بريدن والريفرنس وليم سمالي اللذين يعملان مع بعثة الحدود العربية التابعة لهيئة التبشير المسيحي المتحد وكانا قد قاما برحلة إلى الحجاز في نوفمبر ١٩٢٧ – ربيع ثاني ١٣٤٦ هـ، عن طريق معان والعقبة بهدف بحث إمكانيات بدء نشاط تبشيري وتعليمي في البلاد وقد ألقي القبض عليهما ورحلا عبر جدة مع وضع تأشيرة على جوازاتهما بمنع دخولهما الحجاز أو نجد ويبدو أن المستر فيلبي هو الذي نصح بالإفراج عنهما وتحرير خطاب للمفوضية الأمريكية لتحذيرها من إرسال مبشرين إلى نجد والحجاز مرة أخرى .

وقد تصرف الأمير فيصل بحزم وكتب باسم وزارة الخارجية في مكة ، إلى القنصلية الأمريكية في القاهرة : إن الحكومة لن تسمح أبدا مهما كانت الأسباب لأي شخص بأن يمارس التبشير بالمسيحية في الحجاز ، والحكومة لا تتحمل أية مسئولية عن مصير أي مبشر يدخل البلاد بدون علم وإذن منها .

وقال المبشران في تقريرهما الذي يطفح جهلا وتعصبا : إن الأمير فيصل هو المسئول عن كل ما نزل بنا من نكد وأصابنا من تعب .

وجاء في التقرير أنهما حاولا تبشير الجندي الذي رافقهما فكان رده : أقسم بالله لولا هذا البحر الذي يحجزنا لذهبنا إلى الغرب وأدخلناكم جميعا في الدين الصحيح . فسألته كيف ؟ قال : بالسيف وهكذا دلت إجابته على روح الإسلام الأول .

إسلاميات الملك عبد العزيز (١٢)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

ومن فرط إحساس الملك عبد العزيز بمعاني التوحيد أنه كان يقظا لكل لفظ يجرح هذا التوحيد

فالتوحيد أقام الملك عبد العزيز نفسه عليه عقيدة وسلوكا

كان في إحدى زياراته لبلدة الخرج إذ دخل عليه شاعر من أهل نجد وفي يده قصيدة استأذنه في إلقائها وابتدأ بمطلعها :

أنت أملنا وفيك الرجاء

فصاح الملك عبد العزيز قائلا : تخسأ تخسأ !! ولمح في المجلس أحد طلبة العلم ، فقال علمه التوحيد .

فهو يدرك أن هذه الألفاظ من معاني توحيد الألوهية لا يجوز صرف شيء منها لغير الله .

وقد سمعت عن بعض شيبان المدينة نحو تلك القصة أيضا .

ويقول رحمه الله ناهيا عن الشرك موضحا لضرره على العقيدة :

والمسلم لا يكون إسلامه صحيحا إلا إذا أخلص العبادة لله وحد يجب أن يتدبر المسلمون معنى (لا إله إلا الله) فإن (لا إله) نفي لكل معبود فيما سوى الله (إلا الله) إثبات العبادة لله وحده، فيجب على الإنسان ألا يشرك مع الله في عبادته نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا ، ويجب أن يتبع المسلمون القول بالعمل.. أما القول المجرد فلا يفيد، وما الفائدة في رجل يقول (لا إله إلا الله) ولكن يشرك ما دون الله في عبادته؟.. ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما﴾ .

إن الإشراك في عبادة الله كفر، وليس بعد الكفر ذنب ، وإن دين الله ظاهر كالشمس لا لبس فيه ولا تعقيد، دين الله مكتوب في الكتاب والسنة فكل عمل اتفق مع الكتاب والسنة فهو الحق، وكل عمل خالف الكتاب والسنة فهو الباطل .

وقال :

وإن أشد ما يخاف على المسلمين الشرك ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا﴾، وإن ذنب الشرك عظيم وإنه محنة وبلاء.. إنه كفر وليس بعد الكفر ذنب.. فيجب أن يتنبه المسلمون .

وقال :

قال تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾

فعلق لقاء ربه بعدم الشرك ، وقد قال النبي ﷺ : ''أخوف ما أخاف على أمتي الشرك'' .

ومن مواقفه تجاه الحلف بغير الله :

في اجتماع الملك عبد العزيز بالملك فيصل بن الحسين ، أراد فيصل تأكيد أمر ، فقال : وحياة رأسك فنظر إليه عبد العزيز وقال : قل والله .....

ومن كلامه رحمه الله في بعض نواقض الإسلام قوله :

قال تعالى ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ ، ذلك رسول الله أنزل عليه الله كتابه مع أمين السماء جبريل، فمن شك فيما جاء به محمد ﷺ فهو كافر.

ويقول رحمه الله :

والأمور المكفرة ..... لا تخفى على من عرف دين الإسلام فمن أعظم ذلك الشرك الأكبر وهو نصبهم أوثانا تعبد من دون الله ، ومن ذلك حكمهم بالقوانين وتركهم تحكيم الكتاب المبين وإجراء الحريات واستحلال الخمور وغير ذلك مما يطول ذكره ....

وقد انطلق الملك عبد العزيز في منهجه لحماية جناب التوحيد من حديث أبي الهياج الأسدي الذي قال فيه : قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته . وزاد في رواية : ولا صورة إلا طمستها.

وفي عهد الملك عبد العزيز الميمون ماتت الخرافات والشركيات وانكسرت شوكة الفرق الضالة كالصوفية ونحوها التي كان لها زوايا ومراكز لنشر بدعها وقد كان بجدة وحدها أكثر من مائة زاوية .

يقول فلبي عن الملك عبد العزيز بعد أن ذكر موقفه من الشيعة :

ويعد تقديس الأولياء السنيين الآخرين وقبورهم مثل الرحلة لزيارة قبر عبد الله بن العباس بالطائف الذي تقصده في الغالب النساء اللاتي لا يحملن يعد نوعا من الشرك على أن ابن سعود لا يكل أبدا عن التنديد بالشريف لسماحه بالانحلال الأخلاقي الذي جعل مكة ذاتها موضع سخرية .

وحينما استولت الحكومة السعودية على الحجاز ودخل الملك عبد العزيز جدة كان من أوائل الأعمال التي قام بها هدم قبة حواء ، وقفل الزوايا المنسوبة إلى الطرق الصوفية وإبطال البدع التي كانت سائدة في ذلك الزمان والتي كان يتقرب بها الناس كما يظنون إلى الله تعالى.

ومن الأمثلة على اهتمام الملك عبد العزيز بهدم مظاهر الشرك هذه الرسالة التي وجهها إلى شيخ الحرم المكي في وقته الشيخ عبد الله بن سليمان البليهد وقال فيها :

إن شاء الله على مسألة هدم القباب ، جميع قبة تهدم حتى تساوى بالأرض ولاتحتاجون توصية بذلك ، تحرصون لا يترك شيء من القباب مرة واحدة .

والرسالة كما نرى بالغة الدلالة على تتبع الملك عبد العزيز لكل صور الشرك بالهدم والإزالة .

وقد هدم الملك عبد العزيز صنما كان في دوس ويذكر ابن بليهد أنه ذو الخلصة الذي هدمه النبي ﷺ قبل ذلك وأرسل إليه جريرا البجلي .

وهذا الصنم كان يقع في منطقة تبالة قرب بيشة حيث هدم بواسطة عامل الملك عبد العزيز على تلك الناحية عبد العزيز بن إبراهيم ونكل بسدنتها وتوعدهم بالقتل إذا عادوا لبنائها .

وفي ذلك مصداق للحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة " وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية .
وحدثني بعض أهل بادية الحجاز الثقات من جهة اليتمة أنه كان لديهم صنم أزالته الدولة السعودية أعزها الله ولا تزال بقاياه ملقاة بالمسيل .

وأنت يا هادم الأصنام ممتثل للحق تؤمن أن الله معبـود
لها الزعيم الذي التوحيد سنته هيهات يفصم شمل فيه توحيد

ولما مر الملك عبد العزيز في زيارته لمصر على الأهرامات وأبي الهول كان معه في سيارته خير الدين الزركلي فسأله قائلا : ترى ما كان رأي الصحابة الذين دخلوا مصر ورأوا هذه الآثار ؟ قال الزركلي : قلت : كان أكثرها مغمورا بالرمال ولاسيما أبا الهول وكان يظهر منها هرمان نسب بناؤهما إلى النبي إدريس قال : ومتى ظهر أنها قبور ؟ قلت : من عهد قريب يا طويل العمر . فزال عجبه .
وكان يقابل شرح رجال الآثار له عن كيفية بناء تلك الأهرامات وتاريخها بآيات من القرآن منها قوله تعالى ﴿ من كان يريد العزة فلله العزة جميعا﴾،﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾

طهرت شرعت أحمد من جاهل وحميتها مما افتراه الجُهَّـل
وبعثت رسلك في العباد مؤيداً ما سنه فيه النبي المرسـل
داويت معتل العقيدة بالهدى فشفيته والداء داء معضـل
ونصـرت بالله المهيمن دينه والله ينصر من يشاء ويخذل
وأبنت للملأ الحقيقة عـالما إن الحقيقة في الورى قد تجهل
دنيا ودين في رداك كلاهـما مثوى يروق الآملين وموئل

إسلاميات الملك عبد العزيز (١٣)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

فاصل هام :

نتوقف قليلا عن السير في الاتجاه العام للمقالات لنستريح في تلك الواحة حيث وصلني شفهيا بعض التساؤلات عن قولي في الحلقة الثالثة :

والملك عبد العزيز يصعب أن يقف المتأمل لسيرته على شيء سوى المحاسن والمناقب وقد اتفقت كلمة العلماء والأدباء والمفكرين والشعراء والمؤرخين والسياسيين من المسلمين والكافرين في المصنفات الكثيرة التي وقفت عليها على تدين الملك عبد العزيز وسلفيته الواضحة وعزوفه عن مغريات الحياة وسوف أسوق للقارئ الكريم شواهد على ذلك مما يجعلني أقول بناء على ما مكنت من الاطلاع عليه : إن كان أحد بعد عمر بن عبد العزيز رحمه الله الخليفة الأموي يستحق لقب سادس الخلفاء الراشدين فهو الملك عبد العزيز آل سعود بلا منازع .

فإن من الحيثيات التي دفعتني لهذا الحكم أمورا عديدة منها :

أولا : إعلان الملك عبد العزيز بنفسه أنه سوف يسلك مسلك الخلفاء الراشدين وخص بالذكر منهم عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وذلك في عدة مواضع منها قوله :

وقواعد الإسلام قائمة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأعمال الخلفاء الراشدين وما اتفق عليه الصحابة الكرام ، وما جاء به فيما بعد الأئمة الأربعة فهي حق لا نحيد عنه قط .

وقوله : أما قدوتنا- إن شاء الله- فهو عمر بن الخطاب في الخلفاء الراشدين، ذلك الإمام الذي حمل الدقيق على ظهره لإحدى أرامل المسلمين، وفي الأمويين عمر بن عبد العزيز الذي ضرب بعدله وزهده المثل، وإنني أود أن نفنى- أنا وأولادي - في سبيل الله .

وقوله : وأما محبة الأولياء الصالحين فمن ذا الذي يبغضهم منا ؟ فإن كان هذا عندكم فتعالوا نتبايع على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين من بعده . فرد عليه الحاضرون كلنا نبايع.

وقوله : وإن عقائدي هي عقائد أجدادي الأطهار الأتقياء ، عاداتنا هي عاداتهم ، شعائرنا هي شعائرهم، وأننا نعود في كل شيء لأحكام القرآن الكريم والسنة ونحاول أن نعيش كما عاش الخلفاء الراشدون.

وقد وفى بذلك رحمه الله ، والمقالات تدلل على ذلك لمن تتبعها إن شاء الله تعالى .

ثانيا : شهادة أهل العلم من المعاصرين له وغيرهم بأنه سار على هذا النهج قدر استطاعته .

قال الشيخ محمد رشيد رضا وهو من هو : وكذلك قوله إنه مسلم سلفي يدعو إلى الاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه الخلفاء الراشدون ، والأئمة المجتهدون، فهو حق تشهد له خطبه وسيرته في أحكامه بقدر استعداده واستعداد علماء بلاده .

وقال الشيخ محمد حامد الفقي : وبهذه السجايا العظيمة ، والخلال الكريمة بسط الله لعبد العزيز هذا الملك ، ووطأ له أكتاف هذه الدولة ، وكذلك بهذه الروح المؤمنة الصادقة أتاح الله للجزيرة عهدا سعيدا عامر بالأمن ، والرخاء ورغد العيش ، وهو يذكرنا بعبق ذلك العهد الرشيد المثالي عهد عمر بن الخطاب ، وإخوانه الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .

وقال الدكتور محمد الشثري : فقد جاهد الملك عبد العزيز - قدر جهده - في السير على درب هذا العهد الرشيد .

وقال أيضا عن عدله : وطبق الملك عبد العزيز سياسة الباب المفتوح بمعناه الصحيح ، حتى تشعر وكأنك في عهد الخلفاء الراشدين.

ويقول الأحيدب : ولم تعرف جزيرة العرب في جميع أدوار تاريخها بعد الخلفاء الراشدين الثلاثة عدلا وأمنا مثل اليوم ، إذ أن كل من فيها يعيش آمنا على نفسه مطمئنا على ماله يشهد لذلك كل مقيم على أرضها.

ويقول عبد الفتاح قتلان : .....استقرار الأمن والعدل بما لم يسبق له مثيل في الحجاز ، اللهم إلا في زمن السعادة وعهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين.

ويقول بشير رأفت شريف من حلب بسوريا في إهدائه كتابه الصحة والقوة في تربية الجسم والنفس للملك عبد العزيز : أهديه لأصدق خليفة بعد الخلفاء الراشدين ، أهديه لمن أعاد للإسلام مجده وعزه، أهديه لمن لقي القرآن الكريم بشخصه حارسه ومنفذ أوامره كما أراد الله، لا كما أراده الجهال أو أصحاب المنافع الخاصة .

ويقول الزركلي في كتابه شبه الجزيرة : لم يكن يهيئ الخطبة كا يفعل أكثر الناس، وفيهم من يكتبها ويحفظها، ويكاد سامعه لا يعرف أنه يخطب إلا من ارتفاع صوته هادرا ، ومن ابتدائه – حين يريد الاسترسال والتوسع– بحمد الله ثم بالصلاة على نبيه كما كان يصنع الخلفاء الراشدون ".

ويقول ناصر الدين دينيه وهو رسام فرنسي كبير هداه الله للإسلام يصف مقابلته للملك : هو ذا الملك أمامي قد ارتدى ملابس بسيطة لا تميزه عن سواه ولكن هذا اللباس البسيط يبدو على هذه الشخصية العظيمة كأنه لا نظير له ولم ينجل لي السر في ذلك (سر العظمة) التي يشعر بها الشاخص إليه من أول نظرة إلا عندما ألقيت نظرة سريعة على صفحات العظماء المتقدمين وأخذت أتصور الخلفاء الأربعة الراشدين وأتأمل فيما جمعوه من البساطة والعظمة اللتين جعلتهم أعظم رجال في الإسلام .

وقال أمين محمد سعيد : وخلاصة القول أن الإمام .... يحاول أن يقتفي سيرة الخلفاء الراشدين فيسير في الجنائز كما ساروا ويخطب على المنابر كما خطبوا ويحارب كما حاربوا وتتجلى هذه الحقيقة للباحث في سيرته الشخصية وفي النظام الذي يسير عليه .

ونختم هذه النقول بكلمة الدكتور إبراهيم عبده : لقد عشت مع سيرة الملك الراحل شهورا وأنصت مشغوفا إلى حديث القريبين منه والبعيدين عنه فكان ما قرأت وما سمعت صورة بديعة عن طويل العمر وإنه لطويل العمر فما تقاس أعمار الناس إلا بسيرهم وسيرة عبد العزيز لن ينفض لها سامر ما بقي الكون وبقي في الكون إنسان

لا أريد أن أزعم بأني ألممت بجميع أطراف هذه السيرة العطرة بيد أنني حاولت محاولة من سبقوني بدراسة جانب منها فقط وسيحاول غيري مثلما حاولت ولن يفرغ الكتاب والمؤرخون من المحاولات حتى يكون في عبد العزيز ألف كتاب فإنه قصة الإسلام والمسلمين ورجع الصدى للخلفاء الراشدين وإحياء للأسلاف من الأئمة الصالحين .

وأما الشاعر ابن عثيمين فيقول :

وليشكر الثقلان ما أوليتهم من أمنهم من بعد خوف أعسر
ظفر الحجاز من الزمان بغبطة بعد النبي وصحبه لم تخبر
أمنوا على أموالهم ودمائهم من بعد ما كانوا لأول مجتري
ولطالما أخذ الفتى من بيته واليوم يمسي مصحرا لم يحذر

وقد ألف عبد المنعم غلامي كتابا عن حياة الملك عبد العزيز سماه الملك الراشد ، وليس يهمنا هنا الفرق بين الملك والخليفة ، فمع الاتفاق على كون عمر بن عبد العزيز كان أحد ملوك بني أمية إلا أنه لقب عند أهل العلم بخامس الخلفاء الراشدين ، وقد كان الملك عبد العزيز مستحقا للخلافة الإسلامية بعد أن دانت له الجزيرة دون جميع معاصريه الذين طمعوا فيها في الوقت الذي تورع هو عنها ، ويا ليتهم قدموه فكان خيرا لهم ....

وفي ذلك يقول ابن عثيمين :

تنزهت عن فعل الملوك الذين هم دعوا أمراء المؤمنين بمحكم
فلا شاربا خمرا ولا سمعا غنا إذا نقرت أوتاره للترنم
ولا قول مأمون نحلت ولا الذي أتى بعده في عصره المتقدم
وكلهم يدعى خليفة وقته وطاعته فرض على كل مسلم
ولكن نصرت الحق جهدك واعتلت بك السنة الغراء من كل معلم
فأصبحت الدنيا ترف ظلالها عروسا تباهي كل بكر وأيم
وألفت شمل المسلمين وقد غدوا أيادي سبأ ما بين فذ وتوأم
عفوت عن الجاني وأرضيت محسنا وعدت بأفضال على كل معدم
وطاب لأهل المكَّتين مقامهم وقبلك كانوا بين ذل ومغرم
يسومونهم أعرابهم وولاتهم من الخسف سوم المستهان المهضم
فأضحوا وهم عن ذا وذاك بنجوة محلهم في أمنه مثل محرم

ثالثا : أن كل من كتب عن الملك عبد العزيز لم يوفه حقه ، وقد أشار إلى ذلك الأمير سلمان حفظه الله وغيره ومهما ذكر الكاتب من شيمه وأخلاقه لن يوفي بما يوفي به هذا الوصف الشامل الذي يندرج تحته من المعاني والدلائل ما يمكن أن يصور حقيقته رحمه الله .

رابعا : أن هذا اللقب لا أعرف في التاريخ من يستحقه غيره مع انطباق مدلوله عليه رحمه الله :

فالخلافة الراشدة قوامها :

الشرعية : والملك عبد العزيز ملك البلاد ببيعة شرعية والحمد لله .

صلاح الراعي : والملك عبد العزيز أطبق كل من تكلم عنه على نقاء عقيدته وسلامة دينه وخوفه من ربه وتفانيه في إرضائه وخوفه من سخطه ودعوته لهذا الدين بكل ما يملك والكتاب جله في بيان ذلك .

إقامة الشريعة : فلم يكن على وجه الأرض من يقيم شريعة الله ويعلي كلمته من حكام المسلمين غيره رحمه الله .

العدل : فعدله رحمه الله من أرقى صور العدل التي لم تعرف إلا في العهود الراشدة وقد ذكرت من ذلك الكثير .

الأمن : وقد توفر في عهده بشهادة القاصي والداني بدرجة لم تصل إليها بعض العهود الراشدة كما هو معلوم .

والخلفاء الراشدون أقاموا شريعة الله في أمة كانت وليدة النبوة وتزخر بالصحابة الكرام حتى عمر بن عبد العزيز أدرك عصر الصحابة ، والناس حديثو عهد بالعقيدة الصافية والأخلاق النبوية الراقية ، مع الشيم النبيلة والصفات الحميدة في العموم فهم خير القرون بنص الحديث.

أما الملك عبد العزيز فأحيا الله به موات الأمة ودارس الشريعة ، ونفى به الشرك ورفع به راية التوحيد ، ووحد به أمة متفرقة وقبائل متناحرة، لا تعرف من الإسلام إلا اسمه ومن الدين إلا رسمه ، وأقام حد الله في أرضه بعد أن طال على اندراسه الزمن ، وحول شعبا كان يرزخ أكثره في جاهلية جهلاء إلى نور العلم والمعرفة ، ونقل أمته من الخوف والهلع والسلب والنهب إلى الأمن والأمان والاستقرار ، وباختصار شديد لقد تسلم أمة تائهة دينا ودنيا فتبدلت بفضل الله ثم بفضله إلى أرقى وأنقى أمة دينا ومن أفضل وأعظم الأمم دنيا .

بقيت شبهات :

أما وصفه بأنه إن كان أحد يستحق لقب سادس الخلفاء الراشدين فهو عبد العزيز مع كونه ملكا فقد أطلق أهل العلم على عمر بن عبدالعزيز خامس الخلفاء مع كونه ملكا أيضا ومن ذلك :

قول الإمام الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء : وكان من أئمة الاجتهاد ومن الخلفاء الراشدين

وقوله أيضا : قد كان هذا الرجل حسن الخلق والخلق ، كامل العقل ، جيد السياسة حريصا على العدل بكل ممكن وافر العلم فقيه النفس ظاهر الذكاء والفهم أواها منيبا قانتا لله .... إلى أن قال : وعد عند أهل العلم من الخلفاء الراشدين والعلماء العاملين .

وقال الشافعي : الخلفاء الراشدون خمسة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز .

وورد عن أبي بكر بن عياش نحوه وعن الثوري أيضا .

وعقد ابن الجوزي في سيرته فصلا في ذكر أنه من الخلفاء الراشدين فذكر فيه آثارا عن مجاهد والحسن وسعيد بن المسيب وسفيان الثوري وقد صدق الإمام أحمد بن حنبل على كلام الثوري في عده عمر بن عبد العزيز خامس أئمة الهدى بعد الأربعة .

وقال ابن كثير في كتابه البداية والنهاية : وأجمع العلماء قاطبة على أنه من أئمة العدل وأحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى : ويجوز تسمية من بعد الخلفاء الراشدين خلفاء وإن كانوا ملوكا ولم يكونوا خلفاء الأنبياء .... ثم استدل على ذلك .

وأما كونه رحمه الله ما دانت له دول المسلمين وإنما اقتصر ملكه على الجزيرة فذلك لا تأثير له لأن من الواضح أن المقصود ليس الخلافة العامة وقد رفض إطلاقها عليه واستعظمها على الرغم من أنه قد تسمى بها على مر القرون من لم تكن جميع بلاد المسلمين تحت ملكه .

ثم قد يقول قائل : إن هناك تساؤلين حول كتابتك :

الأول : أنك لم تعاصر الملك عبد العزيز وإنما جمعت كلامك عن أناس الله أعلم بهم ، ولعلهم بالغوا أو خالفوا الحقائق لغرض مادي ونحوه ، كعادة من يكتب عن الملوك .

الثاني : أنك استفدت معلوماتك من كتب مادحة ولعلك لم تطلع عل كتب أخرى ربما ذكرت عكس ذلك ، والبعض قد يسكت عن أمور خوفا من سطوة الدولة .

فأقول ردا على هاتين الشبهتين :

أما الأولى فالرد عليها من عدة جوانب :

١- إن آثار الرجل أعظم دليل على صحة النقول التي نقلت عنه فقد ترك دولة هي الوحيدة في العالم قوامها شريعة الله وإقامة حدوده، وهي الوحيدة الخالية من الشركيات والبدع ، وهي الوحيدة التي لا يوجد بها من الملاهي كما في غيرها من سينما ومسارح وملاهي ليلية ونحوها ، وهي الوحيدة التي بقيت فيها المرأة بحجابها .... الخ .

كما أنه ترك الدولة في أبهى حللها الاقتصادية فالمال وفير والتقدم العمراني واضح والفرد منتعش والعلاقات الدولية مرتبة وغير ذلك من مظاهر الازدهار .

٢- أن النقول التي نقلتها هي من أصح ما يمكن وجوده في العالم من نقول بل هي على منهج أهل الحديث في الجملة في نقد الروايات:

إسنادها عال جدا فكلها تقريبا عمن عاصر الملك عبد العزيز ولقيه وهو يذكر ما لمسه بنفسه وشاهده بعينه ورواتها أعلام في عصرهم بل كثير منهم علماء أتقياء مشهود لهم بالصدق والأمانة

ومنهم من ذكر ما ذكره على وجه الاستغراب لأن صفات الملك عبد العزيز كأنها خارجة عن نواميس الكون بالنسبة له وهذا يظهر على وجه الخصوص في كتابات الأجانب

ومنهم من لم يكتب عن الملك عبد العزيز مادحا وإنما مؤرخا له في جملة ملوك وأمراء العرب فلماذا اختلف عنهم ؟

وأكثرهم إنما كتب ما كتبه قبل البترول والأموال التي يظن الظان أنها سبب الإطراء ، أو بعد أن مات الملك عبد العزيز وفارقه الكاتب وفارق دياره بعد أن كان من المقربين إليه فليس له مأرب أو مطمع أصلا.

٣- أن ممن نقلت عنهم من عرف بمجابهته للحكام وانتقاده لهم وبذله مهجة روحه في سبيل مبادئه ولا يمكن أن يداهن في ذلك لحظة فإذا به مع عبد العزيز نوع آخر تماما .

٤- أنه لو سلم لك أن منهم من كتب مجاملة أو لمقصد فهل يعقل أن يصل هؤلاء إلى قرابة الألف بل قد يزيدون وليتهم ألف نكرة ولكنهم من أعرف المعارف فهم علماء ومفكرون وعسكريون وأدباء وشعراء وغيرهم ، ثم لماذا اختصوا عبد العزيز من دون غيره ممن يمكن أن ينالوا منه أكثر مما يظن نوله من عبد العزيز ؟

أما الشبهة الثانية فالرد عليها من عدة جوانب أيضا منها :

أولا : أنه لم يوجد المخلوق الذي سلم من النقد والافتراء عليه ، فهذا نبي الله محمد ﷺ خيرة الخلق قد ألف فيه كثيرون ممن استهدفوا النيل من شخصه الكريم فهل يعني هذا صحة ما ذهبوا إليه ؟

ثانيا : أن النقد المزعوم أصلا غير موجود حاليا فالاكتفاء بما هو موجود وثابت لا مفر منه حسب ما تمليه علينا شريعتنا .

ثالثا : أنه في حالة وجود الانتقاد لا بد فيه من توافر ما توافر في الإطراء والثناء العطر من صحة السند وهيهات لذلك .

رابعا : أنه من المقرر عند أهل الحديث وهم أدق الناس في قبول الأخبار أن التعديل لا ينقضه الجرح إلا إذا كان مفسرا ، فكيف بمن استفاضت عدالتهم واشتهرت ؟ والملك عبد العزيز في القمة من هؤلاء ، فلا يقبل فيه إلا ما كان في أوج الثبوت .

خامسا : أنه على افتراض توافر ما شرطته الآن فالمسلك هو إحسان الظن وتوجيه ما ثبت بما يوافق العدالة المقررة بالاستفاضة .

إسلاميات الملك عبد العزيز (١٥)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

عودا على بدء أقول :

كان الملك عبد العزيز رحمه الله معتزا بإسلامه ثم بعربيته التي جاء الإسلام في ثوبها ويكره التشبه بكفار العجم وغيرهم وهذا يدل على خلوص عقيدته .

ومن ذلك أنه رحمه الله عندما قدم مكة رفض تقبيل الوفود ليده الكريمة وقال : إن المصافحة من عادات العرب ومن فعل الصحابة مع الرسول ﷺ ومع بعضهم بعضا ، وعادة تقبيل اليد جاءتنا عن الأعاجم .

وكان رحمه الله يبتهج بالموائد العربية ويقول : إني مسرور جدا من رؤية الموائد العربية وهذا الذي أحبه وأستأنس به .

أما اللباس فقد التزم رحمه الله باللباس العربي الإسلامي طيلة حياته أينما حل وارتحل وهو بالطبع اللباس الرسمي للدولة .

وقد روى ابن عمر عن رسول الله ﷺ قوله :"من تشبه بقوم فهو منهم "

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : رأى رسول الله ﷺ علي ثوبين معصفرين فقال : "إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها" .

بل إن الملك عبد العزيز رحمه الله استطاع أن يجعل ضيوفه يلبسون هذا اللباس ويفخرون به وتلتقط لهم الصور وهم فيه مع رفضه التام أن يلبس هو مثلهم ، بل كانت هديته لمن يفد عليه تتضمن هذا اللباس أيضا .

وممن لبس هذا اللباس والتقطت له الصور فيه الملك فاروق ملك مصر ، والملك محمد ظاهر شاه ملك الأفغان ، والإرل أوف أثلون حاكم كندا، وابن أخيه ، والأميرة أليس زوجة الحاكم ، ورجال البعثة اليابانية ، ومستر فلبي وغيرهم كثير.

ولما علم رحمه الله في زيارته لمصر أن الاستقبال في السويس سيكون رسميا قال :

ليس عندنا ردنجوت ولكننا سنلبس الردنجوت العربي . وأمر جلالته أنجاله ورجال حاشيته بأن يلبسوا العباءات السوداء .

ومن كلامه رحمه الله قال :

إن جماعتي شوقوني لزيارة أوروبا وعواصمها ومدنها الكبرى ولكنني ما أحب أفارق بلادي، ولا أريد أن أرى غير بلادي العربية..

ولم يغادر جلالته بلاده إلى بلاد أخرى سوى ثلاث مرات وكلها كانت بحرية فالأولى إلى البصرة سنة ١٩١٥هـ على ظهر مدمرة بريطانية لعقد معاهدة العقير والثانية إلى الخليج العربي سنة ١٩٣٠هـ حيث اجتمع مع الملك

فيصل الأول ملك العراق لعقد معاهدة صداقة والثالثة سنة ١٩٤٥ هـ في زيارته لمصر على مدمرة أمريكية التقى عليها بالرئيس الأمريكي لبحث قضية فلسطين .

وبعدها بسنة زار مصر زيارة خاصة وهي الرابعة والأخيرة التي غادر فيها بلاده .

وقد وجه الرئيس روزفلت دعوة للملك عبد العزيز لزيارة الولايات المتحدة ولكنه لم يذهب بنفسه وإنما أناب عنه ابنيه فيصلا وخالدا رحمهما الله ثم وجه له الرئيس الأمريكي دعوة أخرى اعتقادا منه أن اجتماعه بالملك عبد العزيز ربما يحمله على الموافقة على إقرار حل سلمي للمشكلة الفلسطينية وذلك على أن يلتقي به أثناء زيارته هو للشرق الأوسط واختير مكان اللقاء البحيرات المرة عند مدخل قناة السويس بمصر .

ولما تساءل الذين كانوا بمعية جلالته عند وصول اليخت الملكي إلى السويس : هل سيتقلد قلادة محمد علي التي أهداه إياها جلالة الملك فاروق في اجتماع رضوى ؟ – وذلك لأن جلالته لم يلبس نشانا في حياته — ثم بدا جلالته لهم متقلدا القلادة وقال لمن حوله : إني لم أفعل ذلك إلا للفاروق وحده .

والملك عبد العزيز رحمه الله انطلاقا من قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ....﴾ آل عمران ١١٨

وقول رسول الله ﷺ : ''لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه ''قلنا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : '' فمن ؟''

كان من أشد الناس بغضا لتلك الدعاوى الفارغة التي تدعو إلى تقليد الأجانب وتنادي بشعارات فارغة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب كالحرية والمساواة والتمدن ونحوها . مع ملاحظة أن المراد بالأجانب في كلام الملك عبد العزيز هم غير المسلمين من اليهود والنصارى وأضرابهم وأقواله في ذلك كثيرة ومنها قوله :

ويجب على الإنسان أن يحب دينه قبل كل شيء، ثم يحب وطنه وشعبه.. لقد قام الناس يقلدون أوروبا في القشور وفي الأخلاق والتقاليد مع أنهم ما قلدونا في شيء من هذا ، وإنما هم قوم حزموا أمرهم فإذا عرفوا أننا متفرقون ومتنابذون احتقرونا، فيجب أن نتجنب كثرة الكلام، وأن نتحلى بالحزم والتناصح فيما بيننا، وأن نترك التفرق ونكون يدا واحدة ونجتمع على كلمة " لا إله إلا الله محمد رسول الله"..

ويقول رحمه الله :

إننا لا نبغي " التجديد " الذي يفقدنا ديننا وعقيدتنا.. إننا نبغي مرضاة الله عز وجل، ومن عمل ابتغاء مرضاة الله فهو حسبه، وهو ناصره . فالمسلمون لا يعوزهم التجدد وإنما تعوزهم العودة إلى ما كان عليه السلف الصالح، ولقد ابتعدوا عن العمل بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فانغمسوا في حمأة الشرور والآثام فخذلهم الله جل شأنه، ووصلوا إلى ما هم عليه من ذل وهوان، ولو كانوا متمسكين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ لما أصابهم ما أصابهم من محن وآثام ولما أضاعوا عزهم وفخارهم .

لقد كنت لاشيء.. وأصبحت اليوم وقد استوليت على بلاد شاسعة يحدها شمالا العراق وبر الشام، وجنوبا اليمن، وغربا البحر الأحمر، وشرقا الخليج.. لقد فتحت هذه البلاد ولم يكن عندي من الأعتاد سوى قوة الإيمان، وقوة التوحيد، ومن "التجدد" غير التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فنصرني الله نصرا عزيزا..

لقد خرجت وأنا لا أملك شيئا من حطام الدنيا ومن القوة البشرية، ولقد تألب الأعداء علي، ولكن بفضل الله وقوته تغلبت على أعدائي وفتحت كل هذه البلاد.

إن المسلمين متفرقون اليوم طرائق بسبب إهمالهم العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن خطل الرأي الذهاب إلى أن الأجانب هم سبب هذه التفرقة وهذه المصائب.. إن سبب بلايانا من أنفسنا لا من الأجانب، يأتي أجنبي إلى بلد ما ، فيه مئات الألوف بل الملايين من المسلمين، فيعمل عمله بمفرده، فهل يعقل أن فردا في مقدوره أن يؤثر على ملايين من الناس إذا لم يكن له من هذه الملايين أعوان يساعدونه ويمدونه بآرائهم وأعمالهم ؟..

كلا ثم كلا.. فهؤلاء الأعوان هم سبب بليتنا ومصيبتنا.. أجل إن هؤلاء الأعوان هم أعداء الله وأعداء أنفسهم..

إذن فاللوم واقع على المسلمين وحدهم لا على الأجانب.. إن البناء المتين لا يؤثر فيه شيء مهما حاول الهدامون هدمه إذا لم تحدث فيه ثغرة تدخل فيها المعاول، وكذلك المسلمون، لوكانوا متحدين متفقين لما كان في مقدور أحد خرق صفوفهم وتمزيق كلمتهم..

في بلاد العرب والإسلام أناس يساعدون الأجنبي على الإضرار بجزيرة العرب والإسلام وضربها في الصميم، وإلحاق الأذى بنا.. ولكن لن يتم لهم ذلك إن شاء الله وفينا عرق ينبض .

ومن كلامه أيضا رحمه الله :

يقولون " الحرية " ويدعي البعض أنها من وضع الأوربيين، والحقيقة أن القرآن الكريم قد جاء بالحرية التامة الكافلة لحقوق الناس جميعا ، وجاء " بالإخاء " و " المساواة " المطلقة التى لم تحلم بها أمة من الأمم فآخى بين الصغير والكبير، والقوي والضعيف، والغني والفقير وساوى بينهم .

وبقولون " التمدن " و " المدنية الأوروبية " هي الغاية القصوى ، وهذا وهم باطل، فإن الله جعل من كل شيء أفضله مباحا لنا، وأحب شيء إلينا هو العمل الخالص والنية الحسنة، والإخلاص في العمل هو أكبر سلاح لنا فيجب أن نعمل على طاعة الله بإخلاص .

ويقول :

وإني أرى كثيرا من الناس ينقمون على ابن سعود، والحقيقة ما نقموا علينا إلا لاتباعنا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومنهم من عاب علينا التمسك بالدين وعدم الأخذ بالأعمال " العصرية " فأما الدين فوالله لا أغير شيئا مما أنزل الله على لسان رسوله ﷺ ، ولا أتبع إلا ما جاء به وليغضب علينا من شاء وأراد.

وأما " الأمور العصرية " التي تعنينا وتفيدنا ويبيحها دين الإسلام فنحن نأخذها ونعمل بها ونسعى في تعميمها، أما المنافي منها للإسلام فإننا ننبذه ونسعى جهدنا في مقاومته لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا مدنية أفضل وأحسن من مدنية الإسلام ولا عز لنا إلا بالتمسك به.

وقال أيضا :

لقد قلدوهم ولكن في غير ما يعود عليهم بالنفع ، قلدوهم فيما يخالف ما ينتسب إليه المسلم ، وقلدوا ملاحدتهم في الإعراض عن دين الله . لقد أصبح الإسلام على ألسنتهم في الأيام الأخيرة من الألفاظ الممجوجة التي تنبو عنها أسماعهم ، فإذا دعَوا دعَوا إلى الأخوة الإنسانية . أما الإسلام فهم بعيدون عنه . فإذا أقسموا ، أقسموا بشرف الإنسانية . ومنهم من يريد أن يواخي من لا تجمعه بالمسلمين جامعة ولا تربطه بهم صلة .

إن الله قد جعل المسلمين فريقين .. الفريق الأول : المجاهدون الذين يرابطون للدفاع عن حوزة الدين ، والفريق الآخر الذين يشتغلون بالصناعة والزراعة وغيرها .

فإذا سرنا نحن المسلمين على هذا المنوال ، فهناك الرقي والحضارة والتمدن ، أما إدعاء هؤلاء المتفرنجين من المسلمين أن التمسك بحبل الدين يرجع بنا القهقرى إلى الوراء ، فهو إدعاء باطل وقول مكذوب، لأن الدين لا يمنع الناس عن تعلم الصناعات وما شاكلها ، بل هو يحث عليها في مواضع كثيرة من محكم آياته . أولئك الذين يزمرون ويطبلون لحضارة الغرب ومدنيته ويريدون منا أن ننزل عندها فنتمثلها في بلادنا وبين أقوامنا ،

فإننا نسوق إليهم الحديث بتوجيه أنظارهم إلى هذه الأزمة الخانقة . وإلى هذا التبلبل السياسي وإلى هذه الفوضى الاجتماعية السائدة في تلك البلاد ، فإن نظرة واحدة لمن يتدبر في هذه الأوضاع السائدة في هذه الأيام يلمس فساد تلك النظريات المتسلطة على عقول السذج من المسلمين ومن العرب .

ومن أقواله أيضا رحمه الله :

إن الناس- وكثيرٌ هم- من يعجب قوله فيأخذ بالسامع بزخرف القول إلى حد بعيد، ويأتي في حديثه بأساليب تسحر، مصوغة في قالب يبهر العقول، وفي الجرائد اليومية والمجلات الشهرية شيء كثير من ذلك ، وفي الصحف السيارة ما يصور للقارئ أن قسما من الناس قطع في مضمار العلوم ، ولا سيما الكونية منها، شوطا بعيدا ، لو حاولتم الوصول إليه في عشرات السنين لما وصلتم نصف المرحلة التي قطعوها، ولكن ماذا كان وراء هذا العلم الوفير؟ لاترى إلا أحزابا يضرب بعضها بعضا، ولا تسمع إلا عويلا يصم الآذان، وهم بيد غيرهم كفتا ميزان ، يعلي هذا تارة ويسفل هذه تارة أخرى ، علم ولكن بالأقوال وعمل ولكن في غير النافع ، وإن ما أصاب هؤلاء هو من جراء تخاذلهم وعدولهم عن الصراط المستقيم الذي شرحه الله تعالى في كتابه، وعلى لسان صفوة خلقه ﷺ .

جهلوا تعاليم الإسلام الحقة ، وبهرتهم المدنية الغربية فنظروا إلى كل ما يصدر عن الغرب نظرة إكبار، فأرادوا محاكاته وحبذا لو حاكوه فيما يعلي من شأنهم، أرادوا محاكاته بل حاكوه فعلا ولكن فيما يئن منه عقلاؤهم .

بعث صفوة الخلق، اللهم صلى وسلم عليه ، من العرب، ونزل عليه أمين السماء في بلاد العرب، بقرآن عربي غير ذي عوج، فلنعرف ذلك ولنحتفظ بديننا ولغتنا وبلادنا ولنحبها حبا جما .

لا مانع من أن نأخذ من غيرنا المفيد، فالحكمة ضالة المؤمن، يلتقطها حيث وجدها، وقد كان للعرب في جاهليتها خصال حميدة وكان لغيرهم أيضا، فجاء الإسلام فأقرها.

قال صفوة الخلق، اللهم صل وسلم عليه : "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، ..... حافظوا على تعاليم دينكم، ولاشك أنكم قرأتم، ولله الحمد والمنة، شيئا كثيرا منها، أرجو من الله أن ينفعنا وإياكم به، وأقول لكم والله ثم والله ثم والله ما حرمت الشريعة شيئا فيه نفعنا ولا أحلت شيئا فيه ضرنا، وإن النظرة السليمة لتدرك ذلك..

إسلاميات الملك عبد العزيز (١٧)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

ونتابع كلام الملك عبد العزيز الرائع الذي لو التزم به المسلمون لأعادوا عهود عزتهم الأولى ولملكوا بإذن الله تعالى مشارق الأرض ومغاربها وصدق الله تعالى إذ يقول ﴿ ولينصرن الله من ينصره ﴾ قال رحمه الله:

إني لأعجب أكبر العجب ممن يدعي النور والعلم ، وحب الرقي لبلاده من هذه الشبيبة التي ترى بأعينها وتلمس بأيديها ما نوهنا به من الخطر الخلقي الحائق بغيرنا من الأمم ثم لا ترعوي عن ذلك، وتتبارى في طغيانها وتستمر في عمل كل أمر يخالف تقاليدنا وعاداتنا الإسلامية العربية ولا ترجع إلى تعاليم الدين الحنفي الذي جاء به نبينا محمد ﷺ رحمة وهدى لسائر البشر .

فالواجب على كل مسلم وعربي فخور بدينه، ألا يخالف مبادئه الدينية وما أمره الله تعالى بالقيام به لتدبير المعاد والمعاش، والعمل على كل ما فيه الخير لبلاده ووطنه، فالرقي الحقيقي هو بصدق العزيمة والعلم الصحيح، والسير على الأخلاق الكريمة، والانصراف عن الرذيلة وكل ما من شأنه أن يمس الدين والسمت العربي والمروءة وليس بالتقليد الأعمى، وأن يتبع طرق آبائه وأجداده الذين أتوا بأعاظم الأعمال باتباعهم أوامر الشريعة التي تحث على عبادة الله وحده، وإخلاص النية في العمل، وأن يعرف حق المعرفة معنى ربه ومعنى الإسلام وعظمته، ومعنى ما جاء به نبينا البطل الكريم العظيمﷺ من التعاليم القيمة التي تسعد الإنسان في الدارين، وتعلمه أن العزة لله والمؤمنين، وأن يقوم بأود عائلته ويصلح من شأنها ويتذوق ثمرة عمله الشريف، فإذا عمل هذا فقد قام بواجبه وخدم وطنه وبلاده .

وقال رحمه الله :

إن بعض المسلمين مع الأسف لم يجدوا طريقة للتقدم في نظرهم إلا بتقليد الأوربيين ولكنهم لم يقلدوهم فيما ينفع بما كان سبب قوتهم ومنعتهم بل قلدوهم فيما لا يسوغه دينهم من الأمور الأخرى وقد مضى عشرات السنين على الذين يدعون الناس في السر والعلن بالقول والعمل لتقليد الأوربيين . ولكن من منهم عمل إلى اليوم إبرة أو صنع طيارة أو اخترع بندقية أو مدفعا ؟ لقد قلدوهم فيما يخالف أمور دينهم واكتفوا من تقليد الأوربيين بذلك .

ولا يفهم مما تقدم أن الملك عبد العزيز يدعو إلى العروبة والقومية العربية بمفهومها السقيم فموقفه منها واضح يتجلى في أقواله ومواقفه .

يقول رحمه الله :

فنحن عرب ولنا أن نفتخر بعروبتنا، نفتخر بديننا، نفتخر بدعوة محمد ﷺ.. نفتخر بالإسلام ونجعله شعارنا، وبعد الإسلام نفتخر بالعروبة ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى،

والإسلام سوى بين المسلمين جميعا لأنه هو الرابطة الحقيقية التي ربطت بين أرواحنا، هو رابطة الأخوة الثابتة التي لا انفصام لها .

وقال غلام رسول مهر وهو يتحدث عن رحلة حجه :

وكان السلطان قد تعرض بعد انتهائه من حج العام الماضي إلى مواجهة عصيان بعض قبائل نجد، فعاد إلى نجد ولم تواته الفرصة للقدوم إلى الحجاز طوال العام، وقام بعض قصار النظر في الحجاز في غير وجوده بحركة تدعو إلى الاحتفال بيوم جلوسه على العرش ، قاموا بإحياء بعض التقاليد العربية المعمول بها في مثل هذه المناسبات، ووجهت الدعوات إلى الصحافيين المصريين والشاميين بصفة خاصة، وسمعت أنه في هذا الحفل، ارتفعت هتافات عالية تردد : عاشت القومية العربية، عاشت القومية العربية، وعلم السلطان بكل هذه الأمور فغضب كثيرا وقال :

إنني أحمل رأسي على كفي من أجل الإسلام، وأريد أن أحطم كل أصنام النزعات الأخرى ولا يبقى لنا إلا الإسلام، وأتباعي هناك يرددون "عاشت القومية العربية" ؟؟ يريدون أن ينحرفوا عن هدفنا السامي- أي رفعة الإسلام – وأن يندفعوا وراء نعرات القومية والوطنية التي يروج لها في أوروبا وإفريقيا ؟.

بعد أن وصل السلطان إلى مكة المكرمة، رأى أن يحطم في أول خطاب شعبي له القومية الإفرنجية، الذي حاول بعض قصار النظر نصبه في ساحة الحرمين ، أثناء غياب السلطان، ويقال إن الملك راح يعدد عيوب حركة القومية العربية الجديدة، وكان غاضبا مغتاظا فقال :

أنتم تقولون نحن عرب، لكن من هم العرب ؟ ألستم أنتم العرب الذين آذوا رسول الله ﷺ وأخرجوه من دياره ؟ ألم يملأ العرب البيت المقدس بالأصنام ؟ ألم يخالفوا الدين القيم ؟ ألم يكن أبو جهل وأبو لهب من العرب ؟ أليس ما تفخرون به وتعتزون به كان أكثر الأشياء كراهية لدى العالم قبل الإسلام ؟ ولهذا فالشرف لا يكون بانتمائكم إلى ما يسمى بالأمة العربية ، بل الشرف يكون بانتمائكم إلى الإسلام، لقد أعزكم الله لأنكم رفعتم راية الإسلام ، فلماذا إذن تجري على ألسنتكم تلك الهتافات : عاشت الأمة العربية ؟ لماذا لا تهتفون : عاش الإسلام، عاش الإسلام ؟ لم ينل العرب عزا إلا بالإسلام، ولم ينل العرب شرفا إلا بالإسلام ، ويشترك في هذا العز والشرف كل أبناء التوحيد من بين جميع البشر، سواء كانوا من سكان أفغانستان أو من سكان إيران، أو من مصر أو من الهند، يجب أن ينطق لسانكم بكلمة واحدة أقصد : عاش الإسلام . الإسلام مبدؤكم والإسلام معادكم ، به تنالون الشرف، وبه تكونون أفضل الأمم ، والقومية العربية باطل ، وكل ما عدا الإسلام باطل...

ويقال إن هذا الخطاب فتح عيون الجميع فندموا على ما فعلوا .

إسلاميات الملك عبد العزيز (١٨)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

بعض الدهماء يظنون أن محبة النبي ﷺ تستلزم إخراجه عن إطار البشرية جملة وتفصيلا وتستوجب الغلو فيه ورفعه فوق المنزلة التي أنزله الله إياها ، ويتلقفون لذلك موضوعات الأخبار وسقيمها بل ويرفضون كل ثابت صحيح يتوهمون فيه بعقلهم القاصر أنه يغض من شأنه ﷺ فهم يعتقدون أنه خلق من نور وأنه لاظل له وأنه لا يخرج منه إلا طاهر بل تبتلع الأرض مايخرج منه ....الخ تلك الإطراءات .

وقد قال الله سبحانه ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني ﴾ آل عمران ٣١

ومحبة رسول الله ﷺ من لوازم محبة الله سبحانه وتعالى فالآية دليل واضح وحجة قاطعة على كل مدع للحب مخالف للحبيب

قال الشاعر :

تعصى الإله وأنت تزعم حبه هذا لعمري في القياس شنيع

لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

ومحبة النبي ﷺ هي دليل الإيمان كما في حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال : ''لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين''

ومن علامات محبة النبي ﷺ الإكثار من الصلاة عليه .

وأهم علامات محبة النبي ﷺ اتباعه وقد كان الملك عبد العزيز كما سيأتي كثيرا من أكثر الناس اتباعا له ﷺ ، وقد ذكر أعداء الوهابية من المخرفين أن الوهابيين يمنعون الصلاة على النبي ﷺ ويعاقبون من يصلي عليه .

ولكن يأبى الله إلا أن يدحضهم بالواقع العملي ومن ذلك ما ذكره أمين بك الرافعي في رسالة من رسائله المكية إلى جريدة السياسة في حديث جرى بينه وبين الملك عبد العزيز آل سعود فنص فيه على أن من عادته تكرار الصلاة والسلام على النبي ﷺ كلما ذكره في المجلس وإن كثر وهو لم يعهد هذا من أحد غيره .

وفي ذلك يقول الملك عبد العزيز رحمه الله مخاطبا أهل مكة :

إننا لم نطع ابن عبد الوهاب ولا غيره إلا فيما أيدوه بقول من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

لقد أشاع الترك عنا كثيرا وقالوا في جملة ما كذبوه عنا : إننا لا نصلي على محمد وإننا نعد الصلاة عليه شركا بالله !!! نعوذ بالله نعوذ بالله من ذلك . أو ليست الصلاة على محمد ﷺ ركنا من أركان الصلاة لا تتم إلا بها ؟ ويقولون : إننا ننكر شفاعة محمد ﷺ !! معاذ الله أن نقول هذا وإنما نطلب من الله أن يشفع فينا نبيه ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾

ومن كتاب [الملك عبد العزيز وعبقرية الشخصية الإسلامية] ننقل هذه الفقرة :

وهو رحمه الله يصلي على الرسول عليه الصلاة والسلام كلما جاء اسمه الشريف . وما أكثر ما يجيء اسمه في مجلسه. ولهذا فإنه يصلى عليه في الجلسة الواحدة مئات المرات . والنجديون كلهم لا يدعون اسم رسول الله عليه الصلاة والسلام يمر من غير أن يصلوا ويسلموا عليه، وكلهم يريد بعمله هذا الجزاء من الله .

ومن أقواله رحمه الله :

من أعظم ما تفضل به الله على الناس نعمة الإسلام ، وأنه – سبحانه وتعالى– قد حكم بين البلاد وأجرى العدل بينهم، وابتعث من أشرفهم وأفضلهم رسوله صلوات الله وسلامه عليه، كما قد جاء في كتابه قوله تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم...﴾ إلى آخر الآية . وإن نعم الله وفضائله لا تعد.. وتحف أقلام الناس وما تبلغ ذلك لأنهم بشر..

وإن قوام الأمر على ما يأتي:

أولا: الاعتراف بنعمة الإسلام، وأن الله من علينا بالنبي الكريم الذي لا ينطق عن الهوى ، والمعصوم عن الخطأ والخطل كما جاء في الكتاب الكريم ﴿إن هو إلا وحي يوحى ﴾..

ويقول رحمه الله :

إن نعم الله على خلقه لا تحصى.. ومن كمال نعمه بعثة محمد ﷺ.. ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾.

ومحمد ﷺ بعث من أشرف قبيلة ومن أشرف أمة ، وهو أفضل المخلوقات على الإطلاق، وأفضل من الكعبة، وأفضل من أي شيء بعد الله، ولقد جاء رسول الله محمد ﷺ بالهدى والبينات، جاء بأفضل الأديان ألا وهو دين الإسلام..

وقال :

وهو– سبحانه وتعالى– خلق الخلق وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وكلهم يدعون إلى الله، وآخر من أرسل هو صفوة الأولين والآخرين وسيد أهل السموات والأرض وأفضل جميع المخلوقات محمد صلوات الله وسلامه عليه .

وقال :

وكل إنسان لا يؤمن بمحمد ﷺ وبما جاء به محمد ﷺ وبصدقه بالأقوال والأفعال ويكون أحب إليه من نفسه وماله فهو ما عرف الله ولا آمن به، ولقد أوذي النبي ﷺ ، وفعل قومه فيه الأفاعيل فقال له الله تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر، فصل لربك وانحر﴾.. والكوثر، نهر في الجنة من شرب منه شربة لا يظمأ أبدا.. و ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ معناها أن العبادة والنحر لله سبحانه وتعالى ولا تجوز لغيره .

وقال :

وطاعة الله هي محبة الرسول ﷺ وما جاء به من السنة ..

وقال :

ومن يصلي ولم يصل على النبي لم تقبل صلاته، ثم هي أمن من الشرك، وقد قرن الله تعالى ذكر محمد باسمه ، وله – سبحانه – العظمة والكبرياء لأنه لا معبود سواه .

وقال :

ومن قال " أشهد أن لا إله إلا الله " ولم يقل : وأشهد أن محمدا رسول الله ، لا تقبل منه، وكل إنسان يدعو ولا يصلي على الرسول ﷺ فهو ضال .

إسلاميات الملك عبد العزيز (١٩)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

عن ابن عباس قال : كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال : يا غلام إني أعلمك كلمات ؛ احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تجاهك . إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله . واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف .

فالإيمان بالقضاء والقدر والتوكل على الله والاعتماد عليه من خواص المؤمنين الصادقين وقد افترقت فيه الأمة شيعا وأهل السنة والجماعة على الإيمان التام به وأن الخير والشر كله من الله كما قال تعالى ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾

ومن أقوال الملك عبد العزيز التي يقرر فيها الإيمان بالقضاء والقدر :

يقولون : إن البوادي هلكت من قلة الأمطار والله سبحانه وتعالى هو الفعال.. وإذا أراد أن يمنع المطر عن البادية فماذا يصنع ابن سعود؟.. ولكن العيب على الذين منعوا صدقات وأوقاف أهل الحرمين الشريفين وأخذوا يدسون للناس ويمنعونهم بدعوتهم السيئة بصدهم عن الحج.. أما قلة الأمطار في البادية فهذا لا يعاب علينا لأنه من الله.. ويجب الحمد على ما قدر وأراد.. وليس هذا خاصا ببادية الحجاز، بل هو موجود في فلسطين والعراق أيضا.. ولكن الله رحم عباده وهو أرحم الراحمين.. وهذا شيء لا نستطيع دفعه لا نحن ولا هم.. وإذا كان في استطاعتي دفعه ولو كان فيه ذبح أولادي ما تأخرت عنه..

ومن كلمات الرئيس الأمريكي روزفلت في كلمته الترحيبية بفيصل وخالد :

إن من أشد صفات ابن سعود إيمانه السامي بعدالة الخالق الأبدية ولذا لم يدهشه أن الله الذي أرسل الغيث إلى البلاد العربية قديما قد فجر فيها ينابيع الزيت حديثا . لا ، ولن يدهشه كثيرا أن يأتي الله بنصر من عنده للعالم الشريف الخليق بذلك النصر .

ويقول الملك عبد العزيز رحمه الله :

إن الله أمرنا أن ننظر في كل أمر من أمورنا وألا ندخر جهدا في المحافظة على كياننا، قال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾.. الدنيا درجات.. ولو درسنا حالة الأوربيين وجدنا أنهم يعتصمون بالحديد والكهرباء وما شاكلها.. أما نحن فإننا نعتصم بحبل الله تعالى، ومن اعتصم بالله فهو حسبه..

ومن أقواله رحمه الله في التوكل على الله والاعتماد عليه :

وإني أعتمد في جميع أعمالي على الله وحده لا شريك له، أعتمد عليه في السر والعلانية والظاهر والباطن، وإن الله مسهل طريقنا لاعتمادنا عليه، وإني أجاهد لإعلاء كلمة التوحيد والحرص عليها، وأحب أن أراها قائمة ولو على يد أعدائي وإن تمت على يدي فذلك فضل من الله .

وقال :

وإذا نحن أرجعنا الأمر إلى بابه فيجب أن نتمسك بحبل الله وأن نتمسك بما كان عليه السلف الصالح ، فإذا تمسكنا بذلك نكن كلنا من دعاة الله وتنطبق أمورنا على ما جاءنا من عند الله ، ونتكلم في أمورنا واقتصادياتنا على موجب تقوى الله لعله يلطف بنا، وإن لم نفعل ذلك واتكلنا على أنفسنا فقط كنا كما قال علي رضي الله عنه : ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾. قال : " إن الله لا ينسى، ولكن إذا ترك العبد ربه تركه ربه فانقاد للمعاصي "

ومن كلامه عقب فشل المحاولة اليمنية لاغتياله في الحرم المكي وهو يطوف :

أما نحن فالحزم والحيطة التي أمرنا الله بها نفعلها وأنا ما اعتدت في مقاصدي إلا أن أتكل على الله وحده.. ووالله إن هذا الحادث الذي وقع في الحرم وقر في نفسي وأنا في عرفات وكأني أشعر به.. ولكن قلت في نفسي : إن الله سيكفيني هذا الشر.. وكنت أحدث نفسي كيف يمكن القبض على الجاني إذا تغلغل بين الناس.. وبعد أن نزلت من عرفات كأن الله أنساني ذلك الذي وقر في نفسي ونحن ما لنا في شيء من أعمالنا إلا اعتمادنا على الله..

إن الإمام الذي راموا مكيدته له من الله حراس وأنصار

ويقول :

الإنسان عليه حقوق وواجبات، والأمر بيد الله، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وكل شيء بقضاء وقدر، وليس للإنسان في الأشياء حول ولا قوة ، وما عليه إلا أن يعمل ولا ينظر إلى أقوال الناس ، لأن محمدا ﷺ وهو أفضل الخلق وصفوة الرسل ونبي الله وحبيبه وخاتم أنبيائه وأفضل أهل السماوات والأرض قد عابوا عليه ولكن ذلك لم ينفعهم ولم يفدهم شيئا ، فقد نصره الله وآواه وأعزه وخذل أعداءه.

ويقول :

إن الأمر لله وما تشاءون إلا أن يشاء الله، والأيام كلها عبر للمعتبر، وعلى المسلمين أن يتفكروا في عبر الزمان وانظروا كيف أن أوروبا العظيمة بمدنيتها التي أقامتها أصبح ما أعدوه كله ضد مدنيتهم ولخرابها، فإذا نظرنا للحال الواقع نرى أن دهاة أوروبا ورجال سياستها بقوتهم وعقولهم ما تمكنوا أن يدفعوا الشر عن أنفسهم، والشر لم يتول عنهم ، ذلك قضاء الله وقدره لم تنفع فيه السياسة ولا نفعت المدنية .

ومن كلامه في الأخذ بالأسباب وعدم الاتكال على القدر :

وكل عمل مقدر على الإنسان أن يعمله ولكن ليس معنى ذلك أن يحمل كل ما يقع منه على القدر، بل يرجع إلى ربه بالتوبة .

ويجب على الإنسان أن ينظر في نفسه وحالته ويختبرها، فإن وجد نفسه من الذين من الله عليهم بالدين والإيمان وحفظ الشرف فليشكر الله ليزيده ، وإن رأى خللا في دينه أو وطنه أو شعبه أو بلده فليبحث عن الأسباب ويتقها ، فإن لكل شيء سببا . والتكاسل والاتكال لا ينفعان، فهذه الشريعة أمرتنا أن نركب وأن

نرمي وأن نستعد ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾.. فإذا عرف الإنسان حقيقة حاله يجب أن يجتهد في علو نفسه وحسن سمعته.

وقد كان الملك عبد العزيز موفقا توفيقا عظيما لتوكله واعتماده على الله عز وجل فقد كانت حياته تطبيقا لكلامه المتقدم .

قال الزركلي :

التوفيق قوة من عالم الغيب يؤمن بها من تتبع أمثال سيرة عبد العزيز .

قال : وفي الناس من يسعف بالحظ مرة أو مرات . فيقال : قد وفق . ولكنه لا يسمى "موفقا" مادام يتأرجح أحيانا بين التوفيق ونقيضه . أما الموفق . حقا . فذلك الذي تجري الأحداث متتابعة متجانسة ، على وفق غرضه وعلى مدى مصلحته .

قال في إحدى الوقائع عن الملك عبد العزيز : .....ولكنه . وهو يركب . نشبت رجله في ثوبه ، فشغل عن توجيه الفرس ، فأغارت إلى غير الوجهة التي كان يريدها ، فإذا هو أمام حصن القوم ... وتلاحق به فرسانه فأهل الإبل . فالمشاة ، وقد ظنوا أنه متعمد مهاجمة الحصن . فما هي إلا ساعات حتى دخلوه ، واحتلوا ما وراءه من قرى وخيام وفر من نجا من العصاة وانتهت المعركة في يوم واحد . وقال الناس : ظفر عبد العزيز بخطأ فرسه . وكان (الخطأ) ضربا من التوفيق ..

وقال في أخرى : .....وذهبت مجاملات عبد العزيز للحسن ، سدى. وحل الوعيد محل الوعود وأنى لعبد العزيز أن يفكر في اقتحام الحجاز، ودون ذلك ما دونه ؟ ويجيء دور التوفيق . فترتفع يد عبد الله بن الحسين ، في (تربة) ويصفع شيخها الوقور خالد بن لؤي . وخالد هذا من الأشراف أيضا . وفي نفسه إباء . فينقلب على عبد الله وعلى أبيه الحسين . ويذهب إلى نجد ، مستنجدا . ويزحف عبد الله بن الحسين لمحوه . وتحدث وقعة (تربة) وقد تقاطر رجال عبد العزيز لنصرة خالد، فيظفر ، ويصبح سيفا من سيوف عبد العزيز . ثم يقول الناس ، يوم خرج الحسين من مكة رب لطمة ذهبت بعرش ...

وفي ثالثة : .....وضاقت صدور الرجال ، حين قل المال ، فنظر عبد العزيز إلى من حوله ، ويقول : المؤن متوفرة في نجد ، غير أن الجمال مشيها وئيد .... من شاء منكم الرحيل فليرحل . أما أنا فمقيم . والفرج من عند الله .

وقبل أن يمسي ذلك اليوم ، وصلت قافلة يتقدمها إسماعيل بن مبيريك، أمير رابغ ، وكان الشريف حسين قد قتل أخاه غيلة فلما علم بمقدم عبد العزيز جاءه بالطاعة وبعشرين بعيرا تحمل التمر والسمن والبر . وكان ذلك من التوفيق .

وقال في رابعة : وبينما عبد العزيز يحاضر جدة . جاءه من أخبره أن الشريف عليا (ابن الحسين) قد جهز طائرة بمدفع رشاش ، واحتفل أهل جدة بتجربتها ، وليس في معسكر عبد العزيز يومئذ ، ما يعصم من غارات الجو . لا مدافع مضادة للطائرات ولا مخابئ . فقال : يكفينا الله شرها .

.....ولم يكن بين الطائرة ورأس ابن سعود أكثر من مئات الأمتار ، وقد أحكم القائد استهداف السرادق ، وهيأ الرشاش وإحدى القنبلتين. ولكن التوفيق يقظ ، فإذا القنبلة تنفجر في الطائرة ، وإذا بالنار تشتعل في الجو ، وتهوي الطائرة ، ثم تصبح ومن فيها كومة من الرماد أمام خيمة عبد العزيز ....

وفي خامسة : .....وأجابهم عبد العزيز لن أدخل جدة في قتال ، وسأبقى على أبوابها . ولكم أن تقيموا أو ترحلوا .... وفيما هم يتهيئون للرحيل ، وردت رسالة من الملك علي بالتسليم ، وأجابه عبد العزيز بالموافقة . وانتهى أمر الهاشميين في الحجاز .

ثم قال : وبعد أفليس ما تفتح لعبد العزيز ابن سعود ، من مكنون الأرض ، ذهبا ونفطا ، من التوفيق ؟

أليس هذا الأمن الذي عم شبه الجزيرة من التوفيق ؟

عبد العزيز (موفق) لا ريب وما التوفيق إلا منحة من منح الله ...

وقد اعتاد عبد العزيز أن يطلع أباه على كل ما يريد توجيهه إلى حكام العرب، أو الأجانب من الرسائل، لمعرفة رأيه ولإحاطته علما بما فيها. ولكن أباه كان يردها مع الرسل، كما هي .

قال حافظ وهبة : لاحظت ذلك في إحدى زياراتي للإمام عبد الرحمن، فقلت له : إن عبد العزيز أرسلها إليكم، لترشدوه برأيكم إذا رأيتم فيها خطأ. فقال :

عبد العزيز موفق ، خالفناه في آرائه كثيرا، ولكن ظهر لنا بعد ذلك أنه هو المصيب ونحن المخطئون- إن نيته مع ربه طيبة، لا يريد إلا الخير للبلاد وأهلها فالله يوفقه ويأخذ بيده وإن تنصروا الله ينصركم .

زعموك بالسيف ابتنيت مكانة بين النجوم الزهر ليس ترام
هبك اتخذت من المهند صاحبا بدم العدو بصفحتيه غرام
هل كان يكفيك الزمان وصرفه لو فاتك التوفيق والإلهام

إسلاميات الملك عبد العزيز (٢٠)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

قال الملك عبد العزيز رحمه الله :

إقامة الصلاة، شرط لازم للإسلام ومن لم يصل لا إيمان له..

ويقول رحمه الله :

وهل أعظم رأفة ورحمة من تقرب العبد لربه وابتعاده عما يغضبه؟.. لقد كانت الصلاة فرضت خمسين مرة في اليوم والليلة، ولكن خففت إلى خمس.. وهذا من لطف الله ورحمته، وبركة محمد ﷺ ، كما أن ثواب الخمسين صار في هذه الخمس.. والصلاة فوائدها عظيمة، وهي أفضل فضيلة في الإسلام بعد الشهادتين، لأنها تغسل النفس من الدرن كما نغسل الجسم بالماء ونطهره..

وكل صلاة إذا قبلت يغفر الله بها الذنوب إلا الكبائر، فيجب على المذنب أن يتوب عن ذنبه ويطلب المغفرة من الله..

ومن أقواله رحمه الله :

ومن فضله تعالى أيضا أنه فرض عليهم خمس صلوات.. وأمرهم بالاجتماع فيها، وعلى الأخص يوم الجمعة الذي يجتمعون فيه..

وكان الملك عبد العزيز رحمه الله يرافقه المؤذنون والقراء ويحرص على صلاة الجماعة حتى في السفر .

فكان ينادى بالرحيل في جوف الليل ويقرأ القارئ القرآن حتى الفجر ثم يؤذن بالصلاة فيصلي جماعة ، حتى إذا دخل العصر أذن المؤذنون وأقيمت الصلاة وانتصبت لها الجماعات فيصلون الظهر والعصر جمع تأخير لأجل السفر ، وإذا جاء وقت المغرب نزلوا فصلوا المغرب والعشاء جمع تقديم.

قال ويليام إيدي وهو يتحدث عن رحلة الملك عبد العزيز بالمدمرة الأمريكية للقاء روزفلت :

ولم ينم الملك في حجرة الربان لأنه وقد تربى وشب في الصحراء فإنه كان لا يفضل النوم بين أربعة جدران ففرش له على مقدم ظهر السفينة قماش غليظ ليصبح خيمة وغطي ظهر السفينة بالبسط ...

فجلس الملك على ظهر السفينة وعقد مجلسه طوال اليوم كعادته وعندما كان يحين وقت الصلاة يوجه ملاح السفينة البوصلة على الاتجاه الصحيح لمكة المكرمة ويتفحصها الملك بدقة مع فلكيِّه (ماجد بن حثيلة فلكي القصر الملكي) ثم يتجه إلى المدينة المقدسة ويؤم أصحابه العرب في صلواتهم .

يقول ويليام :

وقد كنت صلة اللسان والعادات الوحيد بين أفراد البحرية ..... فكانت مهمتي أن أقوم بالترجمة والوساطة فكان علي أن أمنع الخدم العرب من أن يصنعوا القهوة على مواقد الفحم فوق مخازن المتفجرات وأن أغير طريق البحارة حتى لا يمروا ذهابا وجيئة أمام العرب وهم في صلاتهم إذ أنه لا يجوز (لكافر) أن يلقي بظله بين المسلم وبين مكة وهو يصلي .... وأن أحاول بكل وسيلة أن أعثر على أي عربي ضل طريقه فيما بين المنعطفات

المعقدة في السفينة وأن آتي به في اللحظة التي يطلبه فيها الملك فجأة ، ففي مناسبة من هذه المناسبات كانت الشمس قد غربت لتوها تحت الأفق في البحر وكان الملك قد أوشك أن يؤم الجماعة في صلاة المغرب فسأل : أين منصور ؟ ولكن أحدا لم يعرف مكانه فطلب إلي الملك أن أجده وأحضره وكان الأمير منصور قد ضل سبيله في أحد الأمكنة في السفينة وغالبا ما يكون قد التبس عليه مقدم السفينة بمؤخرها ولم يكن من المستطاع إعادته إلى أعلى مقدمة السفينة إلا بعد أن انتهت صلاة الجماعة ولقد استشاط الملك غضبا لذلك حتى ظللنا جميعا واقفين في هدوء تام حتى أتم الأمير منصور صلاة المغرب والنافلة باطمئنان وخشوع فليس في الصلاة عند المسلم التقي تمايز في المنزلة وليس فيها مقاعد أمامية لذوي المكانة فالله سبحانه وتعالى قاهر فوق عباده الذين يتصاغرون أمام وجهه حتى تتضاءل فيما بينهم فوارق المنزلة وتتلاشى ولذلك فإنه لا يسمح لعبد في التهاون في الواجبات الدينية وقد أوضح الملك للجميع أن ابنه ليس له من الرخص أمام الله أو عند الملك غير ما لغيره من المسلمين .

ويقول عبد الحميد الخطيب :

عندما كنت بالرياض زرت مدرسة الأمراء يوم الخميس ٢٠ ربيع ثاني سنة ١٣٥٥ هـ وكان مديرها إذ ذاك السيد أحمد العربي أحد أصدقائي فوجدت أحد أبناء الملك الصغار يبكي فقال له مدير المدرسة: ما يبكيك ؟ فقال : إن أخاه فلانا أدخله أبوه (الملك) المسمط يعني (السجن) لأنه لم يصل الصبح مع الجماعة .

قال : وكذلك أفراد الشعب حتى لقد درج أهل الرياض قاطبة على أن يتخذوا لهم في كل مسجد سجلا يذكر فيه أسماء أهل الحي فإذا حان وقت الصلاة واجتمع أهل الحي للصلاة وأذنوا تتلى أسماء أهل الحي فمن كان حاضرا عرف ومن لوحظ أنه تخلف عن الاشتراك في الجماعة فرضين أو ثلاثة أرسل إليه من سأل عن صحته فإن كان مريضا عاده الناس وإن كان صحيحا متكاسلا عن إجابة داعي الجماعة شكوه إلى هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لترتيب الجزاء عليه .

وقد شهدت مصر في زيارة ولي عهده الأمير سعود ما يدل على منهج الملك عبد العزيز وأبنائه في الحفاظ على ذلك الركن العظيم فقد رأوا الأمير يصلي كل صلاة في أول وقتها بالجماعة ، أنى أدركته ، سواء في مكان رسمي كمجلس النواب ، أو ضاحية عامة كحديقة الحيوانات ، أو دار خاصة كدار محافظ مصر ، وكان فيما جعل معه من حاشية ضيافته مؤذنا يلتزم بمذهب الوهابية في الأذان يعني اتباع ماثبت عن النبي ﷺ واتفقت عليه كتب الفقه على المذاهب الأربعة بدون زيادات مبتدعة فيه أو بعد الانتهاء منه.

وذكرت الصحف اليومية المصرية أن الملك عبد العزيز أذن للصلاة في سراي الجامعة العربية بعد تناوله الغداء فيها . وقال نجله سمو الأمير محمد إن هذه أول مرة يؤذن جلالته فيها منذ عشرين سنة .

وقد ذكر ناكانو الياباني في عدة مواضع من رحلته اهتمام الوفد المرافق لهم بأمر الملك بصلاة الجماعة وكيفية تأديتهم لها مما كان يثير في نفوسهم كما يقول التعاطف ويشعرون بنورانية وشفافية في داخلهم ويقول: كنا نشعر بالتناغم والانسجام كما لو كانت صلاتهم هذه شيئا رائعا يدخل إلى القلب فيثير فيه مشاعر متنوعة .

وقال أيضا : كان صوت الصلاة يتردد صداه عذبا جميلا في أذني ورحت أقوم بأداء الصلاة في داخل فؤادي في صمت دون أن أتكلم .

قال ناكانو : ذكر لنا عبد السلام أن للقرية يعني الداودمي أميرا كان من المفروض أن يستقبلنا إلا أننا وصلنا وقت صلاة المغرب تماما وهذا وقت ذهاب الأمير للصلاة في المسجد وبعد انقضاء الصلاة سوف يأتي للترحيب بنا .

وقال ناكانو أيضا : عادة ما تكون أوقات العرب غير محددة تماما إلا فيما يتعلق بأوقات الصلوات ، فهم ملتزمون بها التزاما دقيقا .

ويقول غلام رسول مهر وهو يتحدث عن رحلته للحج :

وفي أوقات كل صلاة كانت كل جماعة من الجماعات الأربع (المالكية والحنفية والشافعية والحنبلية) تقيم الصلاة على حدة . والآن تقام جماعة واحدة لكل المسلمين، فمن بين أفضال السلطان ابن سعود على الحجاز هذا الفضل العظيم، ففي السابق كنت تشاهد إمام الشافعية يؤم الناس بالصلاة، وبقية المسلمين من أتباع الحنفية والمالكية والحنبلية جالسون أو يصلي إمام الحنفية بالناس، والشافعية والمالكية والحنبلية يجلسون منتظرين، والآن تم تنظيم الأمر حيث يصلي خلف الإمام سائر جماعات المسلمين مهما كان المذهب الذي ينتمون إليه، حنابلة كانوا أو شوافع ، مالكية كانوا أو أحنافا ، كلهم يصلون معا خلف إمام واحد، مهما كان مذهب هذا الإمام .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٢١)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

قال تعالى﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ التوبة ٣٤

ومن عجائب المملكة اهتمامها بأمر الزكاة وهذا يرجع إلى اهتمام المؤسس الأول بشأنها منذ اللحظة الأولى ثم سير أبنائه من بعده على هذا المنهاج .

يقول الملك عبد العزيز رحمه الله :

والزكاة فضل من الله وهي زكاة الأعراض وزكاة الأموال وبها يسعد الناس ويشعرون بشعور بعضهم .

ويقول :

إن المسلمين هم مصدر البلاء الذي أصابهم، وأكثر ذلك يتأتى عن طريق أولئك الذين ينظرون إلى مصالحهم الخاصة ومنافعهم الذاتية فيدوسون في سبيلها كل شيء يعترضهم في الطريق.. إن هؤلاء الذين يكنزون الذهب والفضة وينامون على الوثير من الفراش لا يفكرون إلا في أنفسهم ولم يحسبوا لله حسابا..

وفي عهده رحمه الله أنشئت في كل بلدة من بلدان المملكة إدارة لجباية الزكوات مستقلة عن غيرها مرجعها حاكم البلدة الإداري والملك عبد العزيز مرجع الجميع.

ومن رسائله المتعلقة بالزكاة التي تبين حرصه ومنهجه رحمه الله

قال :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بعد ذلك تفهمون أن العاقل منكم يدري أننا نتمنى أن نقطع لحمنا فيما ينفع المسلمين، قويهم وضعيفهم. ولكن رضى الناس لا يدركه إلا رب الناس. وقد وقع منذ سنتين أمر من بعض الحاضرة ننكره لأن فيه ثلاث مسائل: الأولى : رديء السمت. والثانية: المصلحة تروح لبدوي وكالف يؤخر. والثالثة : مضرتها على الحكومة، وحال الحكومة وداخلها وخارجها معروف، وهو هذه المراكيب ومقصودهم أنهم يريدون أن يقلدوا البادية، والبادية فيها أمور: الأول: تأليف قلوبهم، والثاني : أن المسلمين منعوهم من الغزو الذي كان سبب معيشتهم، والثالث: تأمين طرق المسلمين مثلما ترون. والرابع: إذا أرادوا منهم مساعدة في حرب جمعوا صغيرهم وكبيرهم على الإجمال، والمصلحة في هذا كله ليست خاصة بالحكومة إنما هي لعموم المسلمين ولضعيفهم أقرب .

وأغلب الناس أخذوا بتقليد البادية، وليتهم بقوا على هذا التقليد. لكن ابتدءوا بأمرين رأيناهما بأعيننا وهما : أن أحدا من الناس يأتيه ناس من أهل الجمال (الجمالة) ويحملونه على إبلهم، وإذا وصلوا إلى أطراف البلد وضعوا أحمالهم وأخذوا يقلدون راكبي الجمال بأن يأتى من يستأجر من السوقة والعمال ويجعلهم حاشية له ويدعى أنهم قبيلته وأقرباؤه. وهم من خاقان وباقان ، وهذه كلها أمور مخالفة للسمت والشرع .

والآن في الوقت الحاضر أنتم على أربعة أقسام: قسم مأمور للحكومة، وقسم مشتكي أو صاحب لازم وقسم أجودي جار عليه الزمان، وقسم فقير معدم. أما القسم الأول مثل الأمير والمشتكي وصاحب اللازم. أما

المشتكي فعليه أن يركب وحده أو مع رديف له على شرط أن تكون حاجته بينة. وأما الأمير أو من له صلة بالحكومة فهذا إذا صار له حاجة ملحة يركب وحده أو يصطحب معه رجلا أو رجلين .

وأما إذا صار ليس له لازم فنحن نقضي له حاجته بسبب إمارته ببلاده. وأما ابن الأجواد الذي جار عليه الزمان فيركب مستأجرا بخمسة عشر ريالا ، ويعطى عشرة ريالات لا تساوي ما دفعه وتعب من أجله فمثله يكتب لنا كتابا ويرسله بيد أحد من أهل الخير ونحن نعطيه ما يقسمه الله له، ويأتيه رزقه دون تعب.

وأما الفقير المعدم فهذا ولله الحمد قد أجرى له المسلمون ربع الزكاة، وهى زكاة الحبوب والتمور وكذا زكاة العروض الشرعية ، أمر موجبه الله علينا، حيث يقوم أعيان أهل البلاد والذين فيهم خير، على التجار ويطلبون منهم حق الله بأمر منا، أو نعين مأمورا من عندنا وأهل النظر والذين يعرفون الناس يكتبونها ويستلمها الأمير ويأخذ أمرا من الحكومة ويوزعها على الضعفاء منكم والفقراء. هذا الذي عندي واقرؤوه على جماعتكم، وكل يمنع نفسه من التحرك إلا بموجب ما ذكرنا. ومن جاءنا بغير هذه الصفة ليعرف أنه مطرود ولا يحتمل شيئا.

وأنتم تعلمون ، وأقسم بالذي قامت السماوات بعدله، أنني أتمنى أن عندي ثروة تعادل الرمال وأوزعها عليكم، ولكن القدرة له سبحانه، وقدرتي هي بمقدار ما عندي، وها أنذا أقسمه على الناس فيما يرضي وجه الله ويؤمن طرق المسلمين. وواردكم أنتم أعلم به. ولا أستطيع أن أحمل نفسي شيئا لا أقدر عليه، وفيه مضيقة علي، أو آخذ أموال الناس وأتحملها في ذمتي فهذا شيء لا يوافقني ولا يصلح به عقل ولا دين.

ويعلق على هذه الرسالة معالي الشيخ التويجري قائلا :

هذه الرسالة تهدف إلى معالجة مشكلة منافسة بعض رديئي النفوس للبادية، مثلا يأتى إنسان طماع ومزور فيستأجر بدويا ورجلا بسيطا، يستأجرهم ويدعى أنه كبير عائلة ويقول : هؤلاء أولادي وإخواني. وهذا فيه مضرة على الحكومة. فإن كان قصدهم منافسة البادية وتزوير أسماء لنيل الأعطيات ، فالبادية لها حقوق، وثانيا منعوا من المغازي التي كانت قوام حياتهم .

لو لم ننظر عن الملك عبد العزيز وأيامه غير هذه الرسالة لكفى.

إنها رسالة جامعة شاملة رحيمة مشفقة منظمة واعية للصغيرة والكبيرة. كأنما كنت تعيش مع الناس يا عبد العزيز. ليقرأ كاتب التاريخ أو ناقده، ويقينى أنه لن يقرأ ولن يكتب مؤرخ عن إنسان مثلما نقرؤه في مثل هذه الرسالة الجليلة !!

وكان الملك عبد العزيز رحمه الله قد جعل لكل منطقة بيت مال وجعل له أمينا من مهامه جمع الزكاة من أهل البلد التابعة له وفي فترات الفقر والحاجة وصل الأمر إلى أن بلدة حرمة لم يكن لدى أهلها من الزكاة سوى ثلاثين ريالا وبلدة الجنوبية سبعة عشر ريالا وبلدة التويم عشرين ريالا وبلدة العودة والجنيفي ولا ريال واحد وكان المسئول عن منطقة سدير وهذه القرى تابعة لها حمد بن عبد المحسن التويجري .

قال الزركلي :

والضريبة التي يعرفها علماء الاقتصاد بأنها جباية إجبارية تفرض على الأفراد الذين يساهمون في الاستفادة من خدمات الدولة قد عالجها الملك عبد العزيز معالجة إنسانية أبوية محضة بتحميل جانب من موارد الدولة عبء الجانب الآخر .

من حين دخول الملك إلى الأراضي الحجازية أمر باستحصال الزكاة على المزارع والمواشي ، بموجب الأحكام الشرعية الخاصة بها أما طريقة الاستحصال فتتلخص فيما يأتي :

تقرر المجالس الإدارية في كل بلد متوسط أسعار الحبوب والمواشي ويبلغ الجباة باعتبارها أساسا لمن يرغب دفع بدل الزكاة المطلوبة منه نقدا ومن يرغب في دفعها عينا يقبل منه بمعنى أن الحكومة تترك حرية الاختيار للرعية في دفع الزكاة إما عينا أو نقدا .

الزكاة العيينة : تستحصل على متوسط النوع الواجبة فيه الزكاة اتباعا للحديث الشريف .....فإياك وكرائم أموالهم .

في أغلب الأحيان توزع الزكاة على الفقراء التابعين للقرية أو القبيلة التي جبيت منها . وإذا كانت كمية الزكاة بسيطة فإن الحكومة تقوم بتوزيع النقود وكساوي على الفقراء .

والحقيقة أن الملك كان يرى في الزكاة شعيرة إسلامية يجب أن تؤدى قبل أن يرى فيها موردا من موارد الدولة ، وسواء لديه أكان هذا المورد ضخما أو ضئيلا ، أو انقلب إلى باب من أبواب الإنفاق .

وقد رأى عبد العزيز إرضاء للمزكي في توزيع زكاته أن يجعل للدولة نصف الزكاة تتصرف في إنفاقه وللفرد التصرف في النصف الثاني .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٢٢)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قام على المنبر فقال : " إنما أخشى عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من بركات الأرض " ثم ذكر زهرة الدنيا ..... فذكر الحديث وفيه : " وإن هذا المال خضرة حلوة ونعم صاحب المسلم لمن أخذه بحقه فجعله في سبيل الله واليتامى والمساكين وابن السبيل ومن لم يأخذه بحقه فهو كالآكل الذي لا يشبع ويكون عليه شهيدا يوم القيامة "

وعن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ: "أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين "وأشار بأصبعيه يعني السبابة والوسطى .

وأنشأ الملك عبد العزيز مدرسة للأيتام كانت تابعة لإدارة القصر الملكي في بناية خاصة بالرياض .

وقصصه رحمه الله في رحمة الضعفاء والبؤساء كثيرة ، ومن ذلك أنه كان هناك بدوي فقير مدقع ، سافر إلى الرياض ليثبت اسمه مع أهل العوايد والوافدين على قصر الملك فلم يوفق مع ابن جميعة فوقف في طريق الملك عبد العزيز وأنشد أبياتا شرح فيها حاجته فما كان منه إلا أن عطف عليه وقضى عنه ديونه وأعطاه أكثر من طلبه .

وكان فقراء مكة والمدينة يترقبون خروج الملك عبد العزيز إلى العيد، بصبر نافد، فما أن تبارح سيارته القصر حتى يقف الفقراء على الجانبين فيلقي إليهم ببدرات المال، وإذا فات أحد الفقراء الحصول على نصيبه من المنحة الملكية، عمد إلى تقديم كمية من اللبن أو التمر أو الخبز له رحمه الله ، فيشتريها ويمنحهم مالا وفيرا ، تتضاءل بجانبه قيمتها الحقيقية ، وذلك لكي يحفظ عليهم كرامتهم وشعورهم إذا ما منحهم ، شيئا بغير مقابل .

ونظرا لظروف الحرب التي كانت سائدة عام حج ١٣٦٠ هـ ولقلة وسائل النقل، ارتأى جلالته أن يتخلف عن الموسم لتوزيع نفقاته عل الفقراء والمعوزين، فقال :

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود إلى كافة إخواننا الحجازيين.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وبعد، فإننا بعد الاعتماد على الله، قد عزمنا في هذا العام أن نتخلف عن الحج، وإنا لفي شدة الأسف لهذا التخلف الذي سيمنعنا من رؤية بيت الله الحرام والوقوف بالمشاعر العظام ، ويمنعنا أيضا من الاجتماع بكم.

ولكننا أمام المصلحة العامة والحرص عليها، والرغبة في الاحتفاظ بالنفقات التي ننفقها في حجنا وتوزيعها على الفقراء والمعوزين من أهل البلاد، لم يسعنا إلا أن نرجح التخلف عن القدوم، ومع ذلك فإننا نرجو من الله أن يهيئ لنا فرصة مناسبة للقدوم بعد الحج إلى البلدة الطاهرة، لنتشرف برؤية بيت الله الحرام، وليتسنى لنا الاجتماع بكم.

ونرجو ألا نحرم من صالح دعائكم في بيت الله الحرام ومشاعره العظام، كما نرجو من الله أن يتقبل منا ومنكم ومن جميع المسلمين صالح الأعمال .

وكان له رحمه الله مبرة يوزع منها على الفقراء والمعوزين وقد نشر حولها منشورا يبين فيه حرصه على وصول الصدقات لمستحقيها جاء فيه :

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى من يراه من إخواننا أهل الحجاز.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

بارك الله فيكم ، تفهمون أننا ما عملنا هذه المبرة إلا أنها إن شاء الله لله ثم لمستحقيها كما قال تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل﴾ أما الفقراء والمساكين فحالتهم معلومة، وأما العاملون عليها فهم خدامنا أو موظفونا وهؤلاء، والحمد لله ، كل مطيب خاطره بما يسد فاقته، وأما المؤلفة قلوبهم فالحقيقة أنهم أهل البادية وهم على قسمين

.....إلى أن قال :

لهذا قد عينا هيئة وأمرناها أن تقوم بالواجب على الشكل المار ذكره فتمنع غير المستحقين من إعطائهم أي شيء وتصرف الموجود للمستحقين الذين يعطف عليهم المسلم وذو المروءة كما هو واجب شرعا وعقلا، على أن الحكومة تقوم بذلك بالدقة ، وكنا نرجو أن يلاقي هذا الترتيب من إخواننا المسلمين كل تأييد، فيساعدون القائمين بأمره ، ويقابلونه بارتياح .

وقد شكا بعضهم إليه أن الصدقات يصل كثير منها إلى غير المحتاجين فقال : إني لا أمنع خبزي عن أحد ممن يقبله ، ولكنني أشدد في أن يصل كذلك إلى المحتاج ، وإلى كل من يقبله من فقير ومحتاج وغيرهما ، فأنا أود أن يدخل خبزي إلى منزل كل محتاج .

وأما عن الصيام وهو رابع أركان الإسلام فيقول رحمه الله :

فصيام شهر رمضان فضل من الله لأن الأعمال كلها تعرض على الله يوم القيامة ويحاسب عباده، إلا الصيام فإن الله يقول عنه " إنه لي وأنا أجزي به "، وهو فضل من الله أيضا لأنه جعل هذا الشهر المبارك تكفيرا للسنة كلها، علاوة على أنه يشعر الغني بحالة الفقير، ويبعث في قلبه الرحمة له والعطف عليه حتى يفزع إلى مساعدته ومعاونته ومؤازرته وفي ذلك من جميل التعاون ما فيه .

وقال عبد الله الفيصل متحدثا عن جده :

تشرفت بمصاحبته مرة في رمضان من قصر الديرة ، إلى المربع وكان هناك عمال يقومون ببعض الترميمات فوقف وسأل عن رئيسهم فاستدعى له، فسأله عن مواعيد عملهم ؟ فقال : نبدأ العمل من الساعة الثانية صباحا حتى الساعة الثامنة . فقال : يالله العجب أنا لا أعمل بيدي وأستعمل السيارة في ذهابي لقصر الحكم وعودتي منه ، ولا أمكث هناك أكثر من أربع ساعات وأشعر مع ذلك بالعطش وأنتم تعملون معرضين

للسموم ستة ساعات ؟ من الآن وصاعدا لا تعملوا في رمضان أكثر من أربع ساعات في أول النهار . ولكم أجركم كاملا...

فأين هذا ممن يأمر بالفطر في رمضان حرصا على زيادة الإنتاج !!!!

إسلاميات الملك عبد العزيز (٢٣)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

يقول الملك عبد العزيز رحمه الله :

وقد جعل الله الحج من فضله علينا ولو مرة في العمر.. وفيه حكم كثيرة، منها أن الناس يعبدون الله ويفردونه بالتوحيد منزها عن عبادة غيره، لأن المقصود من مناسك الحج كالطواف حول الكعبة وغير ذلك هي إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة .

ومن حكمه أيضا أنه يذكر الناس بيوم القيامة لأنه مثل الحشر، حيث يزدحم الناس مجردين من دنياهم ومن مخيطهم في لباس واحد وحالة واحدة، ومن حكمه أيضا أنه جعل المسلمين يتعارفون وإن قيمة التعارف وحكمته وأهميته لا تخفى على أحد .

وفي رحلة الملك عبد العزيز لمكة كان هو ورفقته وقد أحرموا وكشفوا رءوسهم لأداء الحج الأصغر يصيحون ملبين وكلما حثهم الشوق لبلوغ الحرم عزموا على رواحلهم فأجروها فكان رحمه الله ينادي الجميع ليحافظوا على السكينة والوقار والخشوع أمام حرم الله .

ولما أنهى عمرته أمر في اليوم الثاني بنحر البدن فنحر منها ستون بدنة وزعت لحومها على الفقراء والمساكين .

وكان الملك عبد العزيز في طريقه إلى الحج حسب عادته السنوية وهو يستقل سيارته الخاصة ، وفجأة حدث خلل في إحدى إطاراتها فتوقف ونزل منها ليستطيع السائق إصلاحها وجلس رحمه الله على الأرض الرملية، وبينما هو كذلك إذا براع على جمل يقف ويسأله هل مر الملك من هنا ؟ دون أن يفطن إلى الملك رحمه الله ، فرد عليه جلالته قائلا: ولماذا تسأل عن الملك ؟ فقال : لقد سمعت بأنه في طريقه الآن إلى مكة للحج وإنني أرغب في رؤياه ، وسأرى فيما إذا كان سيمنحني هبة مالية لأستطيع أن أحج أنا أيضا أم لا ؟ فأخرج رحمه الله كيسه الخاص المملوء بالقطع الذهبية وهو الذي يحفظه دائما معه للتصرف فيه عند الاقتضاء ، وملأ يده بحفنة منه وأعطاه له، فدهش الراعي وتطلع إليه قائلا : لقد عرفتك بعطيتك وإن كنت لم أعرفك بوجهك .

وعلى الرغم من كون الدولة الناشئة في حاجة إلى الموارد اللازمة لتمويل مشاريعها للإنفاق على ما تصبو إليه من عمران وتنمية ، حرص الملك عبد العزيز على مساعدة المسلمين وتقديم العون إليهم ولعل ما قام به ــ يرحمه الله ــ في حج عام ١٣٧١هـ من إلغاء لرسوم الحج التي كانت تؤخذ من الحجاج يعتبر من النماذج الحية الشاهدة على صدق المساعدة وطهارة المقصد منها ، وهذا ما عبر عنه المسلمون في مختلف أنحاء الأرض .

ونورد في هذا المقال بعضا من الخطاب الذي رفعته إدارة الحج الإندونيسية بهذه المناسبة إلى الملك عبد العزيز يرحمه الله :

نقدم الحمد والشكر لله سبحانه وتعالى وبمزيد الفرح والغبطة على توفيق جلالة الملك المعظم والإخلاص يغمر فؤاده في رفع رسوم الحج الباهظة على حجاج العالم الإسلامي عامة والإندونيسيين خاصة ، ونسأل الله

سبحانه وتعالى أن يديم رعايته لجلالة الملك الناهض بالمملكة العربية السعودية في مدارج الكمال وأن يطيل عمر جلالته في صحة وعافية .

إن هذا العطف الشامل العظيم من جلالة الملك نأمل أن يكون مثالا رائعا ونبراسا تقتبسه الأمم الإسلامية وفي مقدمتها الأمة الإسلامية الإندونيسية والسعودية العربية حتى يكمل ويقوى رباط الإخاء الإسلامي القوي بين الأمتين المذكورتين .

وقد كانت رسوم الحج باهظة فسمع الملك يقول : أمنيتي أن أسقط عن المسلمين رسوم الحج قال يوسف ياسين وما لبث الملك أن قال لي : أبرق إلى ابن سليمان بإعفاء الحجاج من الرسوم وأبرقت فجاءه ابن سليمان يقول : يا طويل العمر ، ثلاثون مليون ريال من أين أعوضها للميزانية؟ فأجابه دبر نفسك وكان الإعفاء .

يقول فؤاد الخطيب :

وأنت مهدت للحجاج موطئهم في البحر لاخطر يخشون أوعطبا
تصونهم فيه أبراج موطدة من المرافئ أعيت لجة اللجبا
سل الخلائق من عرب ومن عجم عن الخلافة في العهد الذي ذهبا
تجبي المكوس وما أغنت جبايتها عن الحجيج وما درت لهم سلبا
فجئت تنسخ منها كل ما فرضت وقر للأمن حل كان مضطربا
وما اكترثت لأموال رزئت بها وقمت بالعبء عند الله محتسبا

قال ناكانو الياباني متحدثا عن رحلته للمملكة :

وجرى الحديث في موضوعات كثيرة، فذكر الأمير (أمير الجعرانة التي مر بها الوفد) أنه خلال حكم الحسين بن علي لهذه المنطقة كان العديد من البدو قطاع الطرق يهاجمون الناس المتوجهين للحج، ويغيرون على قوافل التجارة، وكانت المنطقة في خطر نتيجة تهديد هؤلاء البدو الذين لم تكن عساكر الحسين بقادرة على مواجهتهم والقضاء عليهم، ولكن بعد قدوم الملك عبد العزيز آل سعود استتب الأمن، وتمكن من السيطرة على المنطقة حينئذ . وهكذا أصبح الطريق أكثر أمنا، والناس الذين يأتون للحج لم يعودوا يخافون شيئا .

وأثنى الجالسون على الملك عبد العزيز آل سعود، وأثنوا أيضا على نظام الإخوان الذي أسسه الملك عبد العزيز، وذكروا لنا مرة بعد مرة مقدار ما يكنونه له من حب وتقدير . بجوار النار توجد بئر، وهي منحة من الملك لأهل القرية حفرها لهم .

وكان من عادته رحمه الله أن يقيم للحجاج مآدب واحتفالات ويلقي فيهم خطبه المليئة بالمواعظ والتوجيهات الشرعية في شتى المجالات وعلى وجه الخصوص في عقيدة التوحيد وأركان الإسلام والاعتصام بحبل الله وعدم التفرق ونبذ الدعوى الكاذبة من حرية ومدنية وتجديد وقد ذكرنا مقتطفات كثيرة من ذلك في هذا الكتيب ومنه قوله :

أيها الإخوان...

إنكم قد أتيتم من بلاد بعيدة ، وضربتم في البحار ترجون رحمة الله، وهي قريبة إذا رجوتموها، وهذا هو الخير والرحمة ، وليس لكم عندي إلا ثلاثة أمور.. الأول النصيحة فيما يوافق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.. والثاني أني أشفق عليكم من أهلكم وعيالكم وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منكم.. والثالث أن أسهر على مصالحكم وأرعى شئونكم..

وقال غلام رسول مهر وهو يتحدث عن رحلة حجه :

وبعد دقائق بدأ السلطان المعظم في إلقاء خطابه ، وبعد أن تلا قوله تعالى:

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾

بدأ في شرح كلمة التوحيد، ثم شهدنا قوة بيان السلطان ، وما يتميز به من سحر خطابي ، وحماسة ومحبة للإسلام ، ولمدة خمس دقائق غرق خمسمائة حاج من مختلف شعوب الأرض في أمواج هذا السحر الحلال الذي نتج عن براعة السلطان الخطابية .

أوضح السلطان وبين عقيدته ، وقال : نحن نسلم ونؤمن بالقرآن والحديث ، وإرشادات الصحابة واجتهادات الأئمة الأربعة ، ونسلم بهذه كلها بترتيبها، فما جاء فيها فهو على العين والرأس ولا نتبع غير هذا.. وفي نهاية الخطاب أكد السلطان المعظم على قضية اتحاد المسلمين وكرر أكثر من مرة قوله " لا بقاء للمسلمين بدون الاتحاد ، لا بقاء للمسلمين بدون الاتحاد" وقال أيضا: "إن الناس يخوفوني من أوروبا، أنا لا يهمني أي شيء في هذه الدنيا ، ولا يمكن أن أخفض رأسي لغير الله تعالى ، وحين ذكر السلطان رسول الله قال : " اللهم صل وسلم عليه " .

وقال غلام رسول وهو يتحدث عن الملك عبد العزيز واهتمامه براحة الحجاج :

كانت السيارات تمضي في السوق في سرعة كبيرة ، مما كان يتعب الحجاج القادمين لرمي الجمرات، لكن أحدا لم يكن باستطاعته وقف مثل هذه السيارات . في تلك الأثناء قدم موكب السلطان، وانتهى السلطان من رمي الجمرات ثم اتجه إلى مكة للطواف ، وفي أثناء عودته علم بما يعانيه الحجاج من السيارات التي تمرق بسرعة بين الحجاج الذاهبين لرمي الجمار التي كان يقودها الصبية والغلمان ، فقرر أن يعين حراسا نجديين في منى ، ثم نزل السلطان نفسه من سيارته ، وضرب هؤلاء الصبية الذين راحوا يقودون السيارات مسرعين ، دون مراعاة لوجود الحجاج ، ثم عرفنا أن السلطان نفسه لم يعد يستخدم السيارات ، وجاء لرمي الجمرات ممتطيا صهوة جواد .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٢٤)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله ﷺ : ''من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء ''

وعلى إثر دخول الملك عبد العزيز إلى جدة (٧ جمادى الثاني ١٣٤٤هـ) أعلن جلالته إلى أهالي المنطقة الغربية بلاغا جاء فيه :

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود إلى إخواننا أهل الحجاز سلمهم الله تعالى...

السلام عليكم ورحمة الله..

وبعد.. فإني أحمد الله الذي صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وأهنئكم وأهنئ نفسي بما من الله به علينا وعليكم من هذا الفتح الذي أزال به الشر، وحقن دماء المسلمين، وحفظ أموالهم، وأرجو من الله أن ينصر دينه، ويعلى كلمته وأن يجعلنا من أنصار دينه ومتبعي هداه .

إخواني...

تفهمون أني بذلت جهدي، وما تحت يدي، في تخليص الحجاز لراحة أهله وأمن الوافدين إليه، إطاعة لأمر الله، قال جل من قائل :﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا، واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾ وقال تعالى : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ ولقد كان من فضل الله علينا وعلى الناس ، أن ساد السكون والأمن في الحجاز من أقصاه إلى أقصاه ، بعد هذه المدة الطويلة التي ذاق الناس فيها مر الحياة وأتعابها، ولما من الله بما من ، من هذا الفتح السلمي الذي كنا ننتظره ونتوخاه ، أعلنت العفو العام عن جميع الجرائم السياسية في البلاد، وأما الجرائم الأخرى فقد أحلت أمرها للقضاء الشرعي لينظر فيها بما تقتضيه المصلحة الشرعية في العفو.

وإني أبشركم- بحول الله وقوته- أن بلد الله الحرام في إقبال وخير، وأمن وراحة، وإنني- إن شاء الله- سأبذل جهدي فيما يؤمن البلاد المقدسة ويجلب الراحة والاطمئنان لها. لقد مضى يوم القول، ووصلنا إلى يوم البدء في العمل، فأوصيكم ونفسي بتقوى الله، واتباع مرضاته والحث على طاعته، فإنه من تمسك بالله كفاه، ومن عاداه- والعياذ بالله- باء بالخيبة والخسران .

وقد اهتم الملك عبد العزيز- يرحمه الله- بخدمة الحرمين الشريفين والأماكن المقدسة لتوفير وسائل الراحة للمسلمين الذين يفدون إلى هذه الديار المقدسة، فأضاء الكعبة المشرفة والحرم المكي الشريف بالأنوار، كما أضاء الأعمدة المقامة حول ساحة الكعبة ومداخل أبوابها ومآذن الحرم .

وقد بلغ عدد الأجهزة الخاصة بالإضاءة من الداخل ٢٢٥ جهازا .

كما اهتم الملك عبد العزيز بإنارة شوارع مكة المكرمة وإنشاء الطرق الحديثة فيها والممتدة إلى عرفات لمنع تزاحم الحجاج ، كما توسع العمران في منطقة منى وأنشئت فيها الشوارع الواسعة .

وحظيت المدينة المنورة باهتمام مماثل من الملك عبد العزيز- يرحمه الله- فأقيمت فيها المباني الفخمة ومشاريع لإرواء المياه من خزان الزرقاء . وشهد المسجد النبوي توسعة أنفق عليها ما قدره ستة ملايين جنيه مصري (وقتها).

وهكذا ورغم ضيق الأحوال الاقتصادية وقلة الموارد إلا أن الملك عبد العزيز لم يمنعه ذلك من الاهتمام بشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف خدمة لهما وتيسيرا على المسلمين الذين يفدون للبقاع الطاهرة، فقد سعى الملك عبد العزيز سعيا متواصلا لراحة الحجاج وإزالة كافة الصعوبات التي تقابلهم .

وهذه حال الحجاز حسب رؤية أحد مشاهير علماء العصر :

قال الشيخ محمد رشيد رضا :

ثم قضت الحرب الكبرى بانقطاع المراسلة بيني وبين أمراء العرب المذكورين ، وكان من أحداثها دخول أمير مكة الشريف حسين بن علي في حلف البريطانيين ، وكنت قد بلغته مشروع الاتفاق الحلفي بين أئمة الجزيرة بمشافهة ولده الشريف عبد الله في مصر اطلع طلعة فيه، وقد استحسنه ووعد بإقناع والده به ، وكان من عواقبها أن صار حسين ملكا ، سماه الإنجليز وأحلافهم ملك الحجاز ، وسمى نفسه ملك العرب، وقد أظهرنا له الولاء، لأجل إقناعه بإتمام مشروع الاتفاق الحلفي مع سائر الأمراء، فلما تعذر ذلك وسار في الحجاز تلك السيرة السوأى اضطررت إلى مقاومته بما علمه القراء وغير القراء، وكان قد جدد الدعوة إلى الطعن في دين الوهابية، وتنحل لنفسه دعوى الإمامة الرافضية الباطنية، وأقامها في مقام التشريع الذي يراه إرثا للهاشمية العلوية، فأريناه أن بني عمه من أنصار السنة فيهم رماح، وكلنا له الصاع عدة أصواع .

ثم إنني عدت بعد الحرب إلى دعوة إمامي اليمن ونجد إلى الولاء ، وأفتيت في أواخر سنة ١٣٤١هـ بوجوب إنقاذ الحجاز من إلحاد حسين بالظلم فيه، وجعله قطرا حرا حياديا بضمان العالم الإسلامي كله، وكتبت في ذلك مقالا طويلا نشر في بعض الجرائد اليومية، بينت فيه أن المخاطب بالقيام بهذا الواجب أولا، وبالذات الحكومات الإسلامية، وأن أولاها بذلك أقربها إلى الحجاز، ومن جمله " أن كلا من إمام اليمن وسلطان نجد قادر على إنفاذ الحجاز من هذا الرجل، فكيف إذا اجتمعا؟ " ثم بينت سبب امتناع كل منهما، وأنه إن لم تفعل الحكومات ذلك فالواجب على العالم الإسلامي أن يسعى له بتأليف جمعية إسلامية وضعنا لها نظاما بمساعدة بعض الأصدقاء ونشرناه هنا.

ولم أكتف بالنشر بل سعيت سعيا سريا لحمل الإمامين يحيى وعبد العزيز على الاشتراك والتعاون على ذلك، وإلا فليقم به أحدهما على انفراد . ثم تصدى الثاني لأداء هذه الفريضة للأسباب الإسلامية العامة، والأسباب الخاصة بنجد التي نشرها في العالم ، ونقلناها هنا فوجب علينا تأييده فيها، وهل يعقل أن نفتيه بافتراض هذا العمل عليه حتى إذا ما اصطلى بناره ، وشرع يجاهد في سبيله بماله ورجاله، وانبرى المبتدعون والمفسدون للطعن فيه وفي قومه أنترك لهم الحبال على الغوارب، ولا نقوم بقسطنا من الجهاد الواجب، جهاد القلم واللسان واقامة الحجة والبرهان ؟

إنني لم أفضل ابن السعود على غيره من أمراء العرب في شيء من ذلك السعي العام للعرب ولجزيرة العرب، ولا من هذا السعي الخاص بالحجاز والإسلام، وقد كان رجائي في غيره أولا أقوى من رجائي فيه، ثم كان ثنائي على الإمام يحيى حميد الدين أكبر من ثنائي عليه، حتى قالت بعض الجرائد المصرية في أثناء الخوض في مسألة الخلافة إننا ندعو إلى الإمام يحيى ونسعى لتوسيد منصب الخلافة إليه، على أنني كنت أعتقد أن الإمام عبد العزيز بن السعود أرجى لخدمة الإسلام وإعلاء شأن العرب إذا هو خرج من عزلته، وترك القبوع في ربوع إمارته ، وإنما كنت أشك في خروجه منها ، كما كنت أشك في ميل الإمام يحيى إلى تجاوز حدود اليمن .

كان من عناية الله تعالى في ابن السعود أن استعمله وحده في إنقاذ حرمه وحرم رسوله، ممن سمى نفسه المنقذ، وقضى الله أمرا كان مفعولا، فلم يستجب لنا غيره من أمراء المسلمين وملوكهم، ولا من جماعتهم ودهمائهم، إلا أننا أسسنا الجمعية بمصر من رجال مختارين من أولي الكفاءة والكفاية، علما وعملا وهمة، فنقحوا نظامها في مجالس كثيرة عقدوها لذلك، وبتنا ننظر سنوح الفرصة للعمل، فكفانا الله تعالى ذلك بهذا الرجل العظيم الذي أنقذ الحجاز، وأمنه تأمينا لم يسبق له نظير إلا في صدر الإسلام .

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

ولكي نتصور حال الحجاز قبل مجيء الملك عبد العزيز نورد هنا بعض أبيات من قصيدة أحمد شوقي التي يصور فيها حالة المنطقة ويستنجد بالخليفة لإنقاذ الحرمين فيقول :

ضج الحجاز وضج البيت والحرم واستصرخت ربها في مكة الأمم
أهين فيها ضيوف الله واضطهدوا إن أنت لم تنتقم فالله منتقم
أفي الضحى وعيون الجند ناظرة تسبى النساء ويؤذى الأهل والحشم
ويسفك الدم في أرض مقدسة وتستباح بها الأعراض والحرم
خليفة الله ، شكوى المسلمين رقت لسدة الله ، هل يرقى لك الكلم
الحج ركن من الإسلام نكبره واليوم يوشك هذا الركن ينهدم
يد الشريف على أيدي الولاة علت ونعله دون ركن البيت تستلم
نيرون إن قيس في باب الطغاة به مبالغ فيه والحجاج متهم
أدبه ، أدب ، أمير المؤمنين فما في العفو عن فاسق فضل ولا كرم
لا ترج فيه وقارا للرسول فما بين البغاة وبين المصطفى رحم
عز السبيل إلى طه وتربته فمن أراد سبيلا فالطريق دم
محمد روعت في القبر أعظمه وبات مستأمنا في قومه الصنم

وننقل هنا تعليق التويجري عليها حيث يقول :

هذه القصيدة لا يمكن أن يتهم أحد أمير الشعراء أنه ارتشى من هذا أو ذاك ليقولها، ولكنه شاهد عيان أدلى بشهادته في ديوانه . وهي شهادة لا تحتاج منا إلى تعليق يكشف للقارئ غموضا فهي واضحة كل الوضوح وما هذه وسواها إلا نماذج فيها ملامح لواقع أليم ينادي على ضياع أمنه وروحه ، يصيح ويصرخ : ألا من يملأ الفراغ ؟ استجابت الدولة السعودية الأولى ثم استجاب الملك عبد العزيز وبعد ماذا ؟ بعد أن ضاق شبر عن مسير ، بعد أن استنفدت كل وسيلة من وسائل النصح للمسؤولين عن أمن المسلمين وقد أوردت هذه القصيدة اضطرارا كشاهد على واقع الأمن من رجل محايد وغير متهم في شرف الكلمة وصدقها .

أما ما جاء في حوادث دمشق اليومية عن الحج فقد أورد المؤرخ البديري في كتابه مثلا عن النكبة التي حلت بالحاج الشامي عام ١١٦٩هـ ووصفها وصفا مؤثرا ، قال :

إن الأعراب اعترضوا الحجاج ونهبوهم وشلحوا كبيرهم لباسه وخاتمه .. وأنزلوه من تخته وأخذوا أطواخه ومدافعه ثم ثنوا بقافلة الحج فأمعنوا فيهم قتلا وسلبا حتى إنهم ارتكبوا أفعالا لا يفعلها إلا عباد النيران ، وقد كانوا يشلحون الرجل ويفتشون تحت إبطه ودبره وفمه وتحت خصيتيه وإن وجدوا الرجل كبيرا بطنه شقوا بطنه ...وبقروا قره . ويدخلون أيديهم في دبر الرجال وفي فروج النساء ، حتى كانت المرأة تضع الطين قبلها ودبرها

سترا لعورتها فيكشفونها ومنهم من مات عطشا وبردا وذلك بعد ما شرب بعضهم بول بعض ، وقد فقد من الحجاج من النساء فقط ما يقارب ٥٠٠ امرأة ما بان لهم أثر مع الملكة أخت السلطان مصطفى .

كما جاء في كتاب حركات العامة الدمشقية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للدكتور عبد الله حنا :

عاشت دمشق في حالة من الحزن العظيم وازداد القلق مع انحباس أخبار الحجاج وماذا حل بهم . وفي ليلة ١٦ سنة ١١٧٨ هـ أتت أخبار السوء بأن الحج انتهب جميعه وأخذ الإبل وهرب الباشا برأسه ، وتواصل حضور المشلحين – أي المسلوبين – إلى دمشق في الخيش ، وحينئذ صار الحزن العظيم بدمشق والبكاء والصراخ والخوف . وقد لبست دمشق ثياب الحزن وتبرقعت ببرقع الذل .

أما المؤرخ البديري فيروي في هذه الحادثة التي وقعت بعد الأولى بسبع سنوات تفاصيل أوسع فقد سلبت النساء والأموال والحوائج . وضج العالم وتباكى الخلق وأظلمت الشام ، بعد هذه الكارثة بقيت دمشق بلا حاكم بسبب هروب الوالي قائد الحاج والتجائه إلى غزة .

كما ذكر طلعت حرب أن فريضة الحج كانت فيما مضى ضربا من الاستشهاد يودع الحاج أهليه ، ويودعونه كأنه ذاهب إلى غير رجعة ، وكانت الطريق شاقة غير مأمونة ، وكانت عصابات البدو تغير على قوافل الحجاج فتعمل فيهم القتل والنهب ، ولما استتب الأمر في يد الملك عبد العزيز استتب الأمن في طول الصحراء وعرضها ، فأصبحت الصحراء أكثر أمانا من أية مدينة في العالم .

ولما توجه الملك عبد العزيز إلى مكة في رحلته الأولى لها قال :

إني مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها ، بل لرفع المظالم والمغارم التي أثقلت كاهل عباد الله ، إني مسافر إلى مهبط الوحي لنبسط أحكام الشريعة ونؤيد أحكامها ، فبعد الآن لا يكون سلطان في مكة إلا للشرع، وجميع الرؤوس يجب أن تطأطئ للشريعة . إن مكة للمسلمين كافة ، إننا سنجتمع بوفود العالم الإسلامي هناك ، وسنتبادل معهم الرأي في كل الوسائل التي تجعل بيت الله بعيدا عن الشهوات السياسية، وتحفظ راحة قاصدي حرم الله . إن الحجاز سيكون مفتوحا لكل من يريد عمل الخير للأفراد والجماعات .

ومن خطابه رحمه الله بعد دخول الطائف لأهل مكة :

وأما الأمر الذي عندي لكم فهو أني أقول : لكم يا أهل مكة وأتباعها من الأشراف وأهل البلد عموما ، والمجاورين والملتجئين من جميع الأقطار ، عهد الله وميثاقه ، أن نحافظ على أموالكم ودمائكم ، وأن تحترموا بحرمة هذا البيت كما حرمه لله على لسان خليله إبراهيم ، ومحمد ، عليهما أفضل الصلاة والتسليم ، وألا نعاملكم بعمل تكرهونه، وأن لا يمضي فيكم دقيق أو جليل إلا بحكم الشرع ، لا في عاجل الأمر ولا آجله ، وأن نبذل جدنا وجهدنا فيما يؤمن هذا الحرم الشريف وسكانه وطرقه للوافدين إليه ، الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا ، وأن لا نولي عليكم من تكرهونه ، وأن لا نعاملكم بمعاملة الملك والجبروت ، بل نعاملكم بمعاملة النصح والسكينة والراحة .

وفي خطابه رحمه الله للملك فؤاد قال :

إني أشكركم من صميم فؤادي على غيرتكم الدينية، وإني أقدر ما شرحتموه في برقيتكم حق قدره .

إن حرم المدينة كحرم مكة نفديه بأرواحنا وكل ما نملك، وإن ديننا يحمينا عن الإتيان بأي حدث في المدينة المنورة، وسنحافظ على آثار السلف وكل ما هو في المدينة مما يهم كل مسلم المحافظة عليه .

إن العدو يحاول أن يشوه وجهة جهادنا بما يفتريه من الكذب والبهتان ، يحاول أن ينال بالبهتان ما عجز عنه بالسنان، ولكن الحق أبلج ، والله مؤيد دينه ولو كره المبطلون .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٢٦)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

ولما تم تسليم الحجاز جدد الملك عبد العزيز الدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامي بصورة رسمية لبحث شئون الحجاز وما يمكن أن يقدم للأماكن المقدسة من خدمات ولكن المهمة الكبرى للمؤتمر حسمت بمسارعة أهل الحجاز بنداء الملك عبد العزيز ملكا عليهم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قبل انعقاده ، وقد حضرته وفود من كل من مصر ، تركيا ، اليمن ، المملكة الأفغانية ، سوريا ، بيروت ، فلسطين ، الهند ، روسيا ، إندونيسيا .

وهذا نص خطابه رحمه الله الذي أرسله للرؤساء والملوك :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : فإننا نرجو لكم ولشعبكم النبيل كل خير وسعادة ويمن وتقدم، وإني لسعيد أن أمد يدي ليدكم الكريمة بالتعاون على خدمة الإسلام والمسلمين والبلاد الطاهرة، وإني مملوء ثقة أنه بتعاوننا على الخير سيكون السبيل السعيد لجميع الشعوب الإسلامية.

يا صاحب الشهامة إني لست من المحبين للحرب وشرورها، وليس لدي شيء أحب من السلم والسكون والصفاء والتفرغ للإصلاح، ولكن جيراننا الأشراف أجبروني على امتشاق الحسام، وخوض غمرات الحرب خمس عشرة سنة، لا في سبيل شيء سوى الطمع على ما بأيدينا، لقد صدونا عن سبيل الله والمسجد الحرام، الذي جعله الله للناس سواء العاكف فيه والباد ، ودنسوا البيت الطاهر بكل نوع من الموبقات ، مما لا يتحمله مسلم .

لقد رفعنا علم الجهاد لتطهير بلد الله الحرام، وسائر بلاد الله المقدسة من هذه العائلة التي لم تترك سبيلا لحسن التفاهم وحسن النية، ولما اقترفت من الشرور والآثام. وإني والذي نفسي بيده لم أرد التسلط على الحجاز ، ولا تملكه ، وإنما الحجاز وديعة في يدي إلى الوقت الذي يختار الحجازيون لبلادهم واليا عليهم .

وقد أرسلت الجمعية الإسلامية الكبرى في بومباي برقية تضمنت مايلي :

تقدم اللجنة شكرها الخالص لصاحب العظمة الملك عبد العزيز بن سعود لجعله بلاد الحجاز مطمئنة لأهلها وللحجاج ، كذلك نشكر له حكمته وسيرته في حادثة منى التي دلت على شجاعته وحلمه وطول أناته ، وتقديره لتكافل العالم الإسلامي، وذلك دليل على شدة عنايته بالشئون الإسلامية ، فتؤكد هذه اللجنة لصاحب العظمة إخلاص كل مسلم صادق له في الهند .

وحادثة منى المذكورة تشير إلى حادثة المحمل المصري التي وقعت في حج ١٣٤٤ هـ ومضمونها أنه تلفت عربان نجد وكانوا أكثر الحجاج عددا في ذلك العام فرأوا أمامهم المحمل القادم مع الحج المصري على جمل يتهادى بين الجموع تحيط به موسيقاه وعساكره ودباباته وتصايحوا: الصنم ....الصنم وتهافتوا يرشقونه بالحجارة وهم بملابس الإحرام ولم يكن من أمير الحج المصري إلا أن أمر بنصب المدافع والرشاشات وإطلاق نيرانها على الجموع .

والمحمل كما ذكر صاحب كتاب ماضي الحجاز وحاضره عبارة عن جمل عليه هودج له كسوتان واحدة قماش أخضر وهي لباسه اليومي الاعتيادي والثانية مزركشة يلبسها في الرسميات ووزنها مع المحمل لا يقل عن أربعة عشر قنطارا وتجدد كسوة المحمل كل عشرين سنة مرة ويبلغ تكليفها ألف وخمسمائة جنيه مصري (آنذاك) ويقام له احتفال عظيم يوم القيامة من مصر يحضره الخديوي أو نائبه ويأخذ بزمام الجمل الذي يحمل المحمل ويعطيه لأمير الحج وهذا يدور به سبع مرات ثم يسلم للموكل بذلك وهو رجل تقوم أسرته من قديم جدا بهذه الوظيفة (جمال المحمل) ويعتقد الناس في مصر من نساء ورجال البركة في هذا المحمل وجمله فيقبلونه ويتمسحون به كما أن عوام الحجاز كذلك ويستقبل في الحجاز استقبالا مدهشا تقام له الحفلات الرسمية ويدور في الشوارع العظيمة من جدة ومكة والمدينة وأمامها الموسيقى والجند ويجتمع أهل البلد تقريبا للفرجة وكذلك يلاقي تكريما في كل بقعة يمر بها وكان من سابق أمراء مكة وأشرافها يقبلون خف جمل المحمل حتى أعفاهم من ذلك السلطان جقمق سنة ٨٤٣هـ ويأتي مع المحمل أمير له وكثير من موظفين وحرس لا يقلون عن الثلاثمائة ومعه موسيقاه.

قال الزركلي :

وأخبرني ثقات من حجاج ذلك العام أن عبد العزيز لما علم بالخبر وهو على رأس الحجيج نهض من سرادقه وأسرع يعدو إلى أن توسط بين العربان ونار الجند وبسط ذراعيه يصيح : أنا عبد العزيز أنا عبد العزيز ..... وتدخل الجند السعودي وانكف الناس وأمر بحجز المحمل عن الأنظار .

ودعا عبد العزيز إلى تحكيم الشرع وقال : لا خلاف بيني وبين مصر وأمر المحمل متروك إلى الدين وإلى أحكام الشرع ، في مصر علماء علينا أن نستفتيهم وأنا معهم فيما يأتون به من الكتاب أو السنة . أبلغ مصر عني أن حكومتي على استعداد لأي تساهل تطلبه الحكومة المصرية يتفق مع الشرع .

وفي قضية المحمل دفع الملك ديات القتلى من الإخوان وعوضهم عما قتل من إبلهم .

وقد اختلفت وجهات نظر المؤتمرين في كيفية إصلاح العالم الإسلامي فبينما رأى النجديون أن التمسك بأركان التوحيد هو الوسيلة الرئيسية لإصلاح حال العالم الإسلامي الذي غرق في البدع والخرافات رأى أعضاء وبقية الوفود الأخرى أن الإصلاح يتم فقط عن طريق تأليف القلوب وجمع الكلمة ولن يتأتى هذا إلا عن طريق التسامح الديني ولذلك كان البون شاسعا بين وجهتي النظر .

وقال الملك عبد العزيز رحمه الله لحافظ وهبة موضحا السبب في قبوله النداء به ملكا على الحجاز :

أما السرعة في أمر النداء بملكيتنا على الحجاز ، فكنت أود من صميم قلبي أن لو تأخر ذلك ، ولكن ألجئونا إلى ذلك مضطرين ، فإن أهل الحجاز قاموا قومة رجل واحد يلزموننا قبول البيعة فطلبنا منهم التريث إلى أن يجمع المسلمون أمرهم فأجابونا : إنك أعطيتنا الحرية في اختيار حكم لنا ، وهذا حق لنا لا يشاركنا فيه أحد ونحن لا نبغي بك بديلا. ومع ذلك توقفت قليلا عن الجواب فبلغ أهل نجد توقفي فقامت قيامتهم علي وأعلموني أن حربهم في الحجاز ، لم تكن إلا لحفظ استقلال الحجاز، ومنع أي تدخل أجنبي فيه ، لتكون

كلمة الله هي العليا ، وليعمل في هذه الديار بشرع الله وسنة رسوله ﷺ ولتأمين الطرق، ومنع الإلحاد في الحجاز وهذا ما وعدتنا إياه وإن توقفك عن قبول البيعة يجعلنا نعتقد أنك لم تقاتل إلا لأغراض ولا تسعى لاستقلال الحجاز وإنك إن لم تقبل البيعة فقد فعلت معصية ولا طاعة لمخلوق لمعصية الخالق .

فإزاء هذا الموقف الحرج ، الذي يتوقف عليه أمن الحجاز الحاضر ، واستقرار الأمر فيه لم أجد بدا من تلبية الدعوة فقبلت البيعة متوكلا على الله . وإنني لا أزال على عهدي من رعاية ما للمسلمين من الحقوق المشروعة في هذه الديار المقدسة.

إسلاميات الملك عبد العزيز (٢٧)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

ومن اهتمامات الملك عبد العزيز بالحرمين الشريفين والتزامه وإلزامه الآخرين بالأحكام الشرعية المتعلقة بهما حظره دخول المشركين إليهما ومن ذلك ماقصه ناكانو الياباني في رحلته قال :

وفي بحرة زودنا السيارات بالوقود، إذ ينبغي لنا أن ننطلق إلى منطقة الوادي، والوصول إلى هناك يتطلب السير إلى الناحية الغربية ، غير أن هذا كان طريق الحج الذي لا يمكن أن يمضي فيه إلا المسلم ، ومن هنا كان علينا أن نأخذ الطريق من الناحية الشمالية، وهو ليس بطريق بمعنى الكلمة بل هو ممر ضيق، وعلى الرغم من أننا ضيوف جلالة الملك فإنه لم يكن مسموحا لنا بالسير في هذا الطريق الذي يسلكه الحجاج إلى مكة، وقد سمعت أن اثنين من عائلة إثلون الملكية البريطانية (وهما اللورد أنطون والأميرة أليس قاما بزيارة رسمية للمملكة العربية السعودية) حضرا إلى هذا المكان قبل عامين، ولم يسمح لهما بعبور طريق الحج المؤدي إلى مكة ، ولو حتى بطريقة سرية، مما جعلهما يسيران على الممر الضيق نفسه الذي سلكناه نحن أيضا ، لأن حكم الشريعة الإسلامية واضح، وقوانينها صارمة لا تفرق بين الناس مهما كانت منزلتهم .

كما أن الثابت قطعا أن الملك عبد العزيز رفض استقبال فيلبي والريحاني نفسه في مكة عندما جاء أثناء الحصار بحجة الوساطة بين الملك علي وعبد العزيز .

ومن ذلك أيضا منعه المنكرات الشرعية فيهما تطبيقا لقوله تعالى ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾

ونذكر في ذلك تلك القصة العجيبة التي ذكرها الشيخ محمد رشيد رضا في مناره فقال :

أرسل الملك عبد العزيز بن سعود رحمه الله برقية إلى الحكومة المصرية يبسط فيها القول في حكم الشرع في المسائل الثلاثة (وهي زيارة القبور والموسيقى وشرب الدخان) وغيرها، بسبب ما أذاعه دعاة السوء والتفرقة بين شعوب المسلمين من أن حكومة جلالته في الحجاز ستمنع كذا وكذا فسألت الحكومة المصرية حكومة جلالته عما يريد أن يتخذه من الإجراءات مما يتعلق بالحجاج، والمحمل على الأخص، فورد عليها جواب جلالته بالبرق، وهذا ملخصه كما نشرته جرائد القاهرة قالت :

أما البرقية فطويلة وقد استهل الملك ابن السعود برقيته بشكر الحكومة المصرية وجلالة ملك مصر وامتدحهما على ما بذلوه من المساعدة للحجاز وأهله، ثم قال: إنهم (أي حكومة مصر وملكها) ذخر الإسلام، ولذلك فإنه يرجو أن يكونوا عونا له في إقامة ما أمر به كتاب الله وسنة الرسول ﷺ .

تكلم عن حالة الأمن واستتبابه في البلاد الحجازية، وعدم وجود ما يخشى منه على سلامة الحجاج، وذكر أنه يقابل المحمل وركب المحمل على الرحب والسعة، ويرحب بهم الترحيب اللائق بمقامهم وبمصر وبأهل مصر وبملك مصر ويسمح بدخول البعثات الطبية كلها.

وذكر أنهم لا يتعرضون لعقائد الناس، ولا يتدخلون في معتقداتهم، ولكنهم يمنعون ما لا يقره الدين. وقال إنهم لا يمنعون أحدا من زيارة القبور، ولكنهم لا يسمحون بالغلو في ذلك مثل التمسح وتقبيل العتبة والحوائط، فإن الطواف لا يكون إلا ببيت الله الحرام فقط (أي الكعبة) وقد نهى الأئمة والسلف الصالح عن الطواف بالقبور.

وتكلم عن الموسيقى والدخان، وذكر أنه يلفت نظر الحكومة المصرية إلى ما سيذكره في شأنهما ويرجو الموافقة عليه حفظا لأواصر الصداقة والود.

وقال عن الموسيقى إنها ولو كانت مسلية للجند ومنظمة لسيرهم فإنها تلهي عن ذكر الله في البلاد التي أوجدها الله لذكره . وقال إنه يقبل مجيئها لغاية جدة فقط ، لأن فريقا كبيرا من أهل نجد وغيرهم يعدها من الملاهي التي لا يصح استعمالها لاسيما في أوقات العبادة .

وقال عن الدخان إنه شجرة خبيثة يجب أن نطهر منها البلاد المقدسة التي لا يحرق فيها إلا العود والند والمسك. وذكر أنه منع شرب الدخان جهرا .

ولما وصل الكتاب إلى وزارة الداخلية المصرية أحالتها على صاحبي الفضيلة شيخ الجامع الأشهر والمفتي لأن ذلك من شأنهما فكان جوابهما ما نصه :

علم ما جاء بخطاب سعادتكم في ١٥ مايو سنة ١٩٢٦ م ...المرافق له صورة من التلغراف المرسل من حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد لحضرة صاحب الدولة وزير الداخلية بمصر المطلوب به الإفادة عما تقضي به الشريعة الغراء فيما اشتملت عليه صورة التلغراف من الموضوعات والإفادة أيضا عما يتبع في إقامة الحج أو لا في هذا العام مع ما ذكره حضرة صاحب الجلالة الملك ابن السعود .

وبالنظر فيه وجدنا أن ما يصلح موضعا للاستفتاء هو ما جاء بالوجهين السادس والسابع مما يتعلق بزيارة القبور، والموسيقى، والدخان على الوجه المذكور بتلك الصورة .

فأما ما يتعلق بزيارة القبور فنقول: إنها مندوب إليها شرعا بقوله ﷺ : " كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها " وكان ﷺ يزور قبور المسلمين ببقيع الغرقد ويقول : " السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون أسأل الله لي ولكم العافية " وكان يزور شهداء أحد على رأس كل حول، ويقول : " السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار " ونقل محشي إمداد الفتاح عن القهستاني ما نصه : قال في الإحياء : (والمستحب في زيارة القبور أن يقف ولا يمسه) وبين الفقهاء جملة ما يكره عند زيارة القبور، ثم أجملوا ذلك بقولهم (وكذا كل ما لم يعهد من غير فعل السنة) وهي قاعدة كلية ينبغي تطبيقها على أي فعل لم يعهد في السنة، وقد مثلوا له بالمس والتقبيل ، ومعلوم أنه لم يعهد من فعل السنة الطواف بغير الكعبة.

وأما ما يتعلق بشرب الدخان فنقول: إنه لم يكن موجودا في عهد النبي ﷺ ولا في عهد خلفائه الراشدين ولا الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا في زمن الأئمة المجتهدين، وإنما حدث في القرون الأخيرة واختلف العلماء فيه اختلافا كثيرا ، فمنهم من قال بحرمته عملا بحديث أحمد المروى عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر . وقالوا : إنه إن لم يكن مسكرا كان مفترا . وجنحوا مع هذا إلى نهي ولي

الأمر عنه، والقواعد الفقهية تقتضي أن ولي الأمر لو نهى عن مباح لمصلحة دينه حرم . ومنهم من ذهب إلى أنه مكروه نظرا لما فيه من الضرر الظاهر للأبدان وإضاعة الأموال . ومنهم من لا يرى أنه مفتر، فقال بإباحته أخذا بالقاعدة العامة وهي أن الأصل في الأشياء الإباحة أو التوقف . ورد على من قال بالحرمة أو الكراهة بأنهما حكمان شرعيان لا يثبتان إلا بدليل ولم يوجد. والذي يظهر أن أعدل الأقوال هو القول بالكراهة فينبغي تركه وعدم الإصرار على تعاطيه، فإن الإصرار على الصغائر يقلبها كبائر.

وأما الموسيقى فحكمها من جهة الإيقاع والاستماع حكم اللهو واللعب والعبث وهو الكراهة التحريمية، فإن فقهاءنا نصوا على كراهة كل لهوكالرقص والسخرية والتصفيق ، وضرب الأوتار من الطنبور والبربط والرباب والقانون والمزمار والصنج والبوق، فإنها كلها مكروهة تحريما ، ولم يستثن من ذلك إلا ضرب الدف في الأعراس والأعياد الدينية، وإلا ملاعبة الرجل زوجة وتأديبه لفرسه ومناضلته بقوسه.

هذا ونرى أن تأخذ حكومتنا السنية حرسها الله تعالى بتسهيل أمر الحج على المسلمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مفتي الديار المصرية إمضاء (عبد الرحمن قراعة)

شيخ الجامع الأزهر ختم (محمد أبو الفضل) .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٢٨)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

والملك عبد العزيز يحب كل فنون العلم ويتفانى في حبه .

الملك عبد العزيز قل أن مرت عليه ليلة لم يستمع فيها إلى درس العلم من تاريخ وأدب وتفسير ودين ، وقد رتب له قارئا فصيحا يجيد أداء الألفاظ يقرأ لجلالته كل ليلة في مجلسه العام كتابا ضخما من كتب التاريخ أو التفسير أو الأدب، مثل تاريخ ابن جرير وتفسيره ، أو تاريخ ابن كثير وتفسيره ، أو كتاب الآداب الشرعية، أو نحو ذلك، فيقرأ له كل ليلة في كتاب أو كتابين من هذه الكتب في حال وجود الزائرين، فإذا ما دخل داخل أثناء القراءة جلس بصمت وهدوء حيث انتهى به المجلس. وبعد الفراغ من الدرس يقرأ السلام على الداخلين، ثم يفاوض الجالسين في بعض مباحث الكتاب الذي جمعوه ، ويبدى الملاحظات، ويطلب إلى الحاضرين إبداء آرائهم ويهبهم الحرية المطلقة في ذلك . فالملك في هذا الصنيع يعيد عهد خلفاء صدر الإسلام، ويبعث حقائق لأسلاف المسلمين كان المسلمون من قبله لا يظفرون بها إلا في بطون الكتب والتواريخ .

وقد كان الملك عبد العزيز خلا علاقته بكتاب الله التي سوف نفردها بمقالة خاصة إن شاء الله يحفظ الرحبية في الفرائض ، وتعلم زاد المستقنع في الفقه ويحفظ من كتب الأحاديث الأربعين النووية وبلوغ المرام

وكان له ورد خاص يقرؤه يوميا عن ظهر قلب .

وفي رسالة للملك عبد العزيز وجهها لكافة المنتسبين لطلب العلم يقول:

وأنا عرفت المشايخ بما اقتضاه نظرنا ونظرهم من خواص الإخوان لطلب العلم والاجتهاد ونرجو أن الله يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه ولكن ليس خافيكم مكائد الشيطان وخصوصا على المنتسبين ، والله يعيذنا منه ، إنها كثيرة لكن من أخصها ثلاثة أمور الأول : الكسل عن الاجتهاد . والثاني : الإعجاب . والثالث : تدخل طالب العلم فيما ليس يعنيه . فهذا من أهم كل شيء لأنه يبطل به العمل ويدرك الشيطان به مقصوده . نرجو أن الله يعيذنا وإياكم منه . فأنا ملزم من عينا وتقرر منكم لطلب العلم ولا لأحد عذر ومن تخلف من ذلك فأنا ملزم أجبره على ذلك فإذا خالف أبعدته عن محله لمحل ما يرضاه . وتعرفون ليس من حياة كريمة إلا بالله ثم بالعلم . والعاقل منكم يحمد الله ويشكره على هذا العلم الذي هو خير الدنيا والآخرة . والله يوفقنا وإياكم للخير والصواب.

ومن رسالة له رحمه الله إلى علماء المسلمين ومن ينتسب للعلم ننقل هذا المقطع :

وليس بخاف عليكم اختلاف العلماء في أمور الفروع ، فلا بد أن كل إنسان يدعي المعرفة عن جهل أو يسمع حديثا أو قولا من أقوال العلماء ما يعرف حقيقته فيفتي به ، أو يكون أحد له قصد يبحث عن الأقوال لمخالفة وقصده الخلاف : إما مخالفة أحد من علماء المسلمين أو يريد أن يقال : هنا فلان يبحث بذلك عن الرئاسة أو شيء من أمور الدنيا . نعوذ بالله من ذلك

والآن يكون الأمر على مثل ما ذكر المشايخ .... فمن أفتى أو تكلم بكلام مخالف لما عليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده : عبد الله وعبد الرحمن وعبد اللطيف وعبد الله بن عبد اللطيف ، فهو متعرض للخطر في دينه ودنياه لأننا نعرف أنه لا يخالفهم إلا إنسان يريد الشر والفتنة بين المسلمين .

ثم أوصيكم يا علماء المسلمين بالقيام لله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الناس خصوصا الأصل ، وأن تجتهدوا وتديموا الجلوس والمباشرة بتعليم إخوانكم المسلمين أمور دينهم ، ومن كان من طلبة العلم فيه سداد فثبتوه ، ومن كان متكاسلا ترفعون أمره إلينا حتى نلزمه بطلب العلم .

وينص التمهيد لسياسة التعليم في المملكة في عهده رحمه الله على أنها تنبثق من الإسلام الذي تدين به الأمة عقيدة وعبادة وخلقا وشريعة وحكما ونظاما متكاملا للحياة .

ومن أسسها التعليمية :

- الإيمان بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا.
- التصور الإسلامي الكامل للكون والإنسان والحياة .
- الرسالة المحمدية هي المنهج الأقوم للحياة الفاضلة .
- العلوم الدينية أساسية في جميع سنوات التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي بفروعه والثقافة الإسلامية مادة أساسية في جميع سنوات التعليم العالي .
- الثقة الكاملة بمقومات الأمة الإسلامية وأنها خير أمة أخرجت للناس والإيمان بوحدتها على اختلاف أجناسها وألوانها وتباين ديارها .
- الدعوة إلى الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها بالحكمة والموعظة الحسنة من واجبات الدولة والأفراد .

وقد كان الملك عبد العزيز يقضي معظم وقته في سفره وحضره في طلب العلم النافع ومن ذلك أنه كان بعد تناول طعام الضحى الذي يتناوله بعد أذكار الصباح التي تعقب الاستماع إلى تلاوة القرآن يركب وينادي ابن الشيخ فيحضر أحد طلاب العلم من أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويأخذ بزمام ناقته أحد الخدم فيتناول من حقيبته لأول الأمر صحيح مسلم ويقرأ فيه ما شاء الله ، وبعد ذلك يأخذ تاريخ ابن الأثير فيقرأ فيه ، وكان يقرأ لهم في الطريق من السيرة النبوية التي كان لها في نفوسهم أثر عظيم ، يدعو إلى التأسي بأفعال الرسول ص وأصحابه الذين لاقوا من النصب والتعب في سبيل الدعوة الإسلامية ما لاقوا . وقد ينتهي القارئ الساعة الرابعة من النهار .

ثم يستأنف ابن الشيخ قراءته بأمر من الملك عبد العزيز رحمه الله بعد صلاة العصر فيتناول من حقيبته كتاب الترغيب والترهيب فيقرأ منه طائفة طيبة ، ثم يتناول بعده كتاب آداب ابن مفلح فيقرأ منه ما شاء الله إلى قرب مغيب الشمس .

وهذه قائمة بالكتب التي كانت تقرأ في مجالس الملك عبد العزيز :

التفسير : الطبري ، القرطبي ، البغوي

الحديث : المسند ، مختصر البخاري للزبيدي ، رياض الصالحين ، فضائل الإسلام ، الترغيب والترهيب ، سنن أبي داود

التوحيد والعقائد : قرة عيون الموحدين ، فتح المجيد ، اقتضاء الصراط المستقيم ، رسائل علماء نجد

السير والمغازي والتاريخ : سيرة ابن هشام ، البداية والنهاية ، شرح الملك ، مروج الذهب ، الكامل ، تاريخ ابن غنام ، تاريخ ابن بشر ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ، شذرات الذهب ، الروضتين في أخبار الدولتين.

السياسة الشرعية : السياسة والرئاسة لابن قتيبة ، الأحكام السلطانية لابن أبي يعلى ، السياسة الشرعية لابن تيمية ، الطرق الحكمية لابن القيم ، سياسة الملك لابن الوردي ، مقدمة ابن خلدون

الأدب والطرائف : روضة المحبين ، الأغاني ، الإمتاع والمؤانسة ، ديوان الحماسة ، ديوان المتنبي ، ديوان ابن مقرب ، ديوان ابن مشرف ، روضة العقلاء .

الوعظ : أهوال القبور ، الجواب الكافي ، وظائف رمضان ، التخويف من النار ، التذكرة .

كما كان يُقرأ كتب أخرى مثل الآداب الشرعية لابن مفلح وغيرها.

وكانت أحكام الملك عبد العزيز المروية كلها تكشف عن معرفة بأحكام الشريعة وقد روى مجموعة منها آرمسترونج في كتابه سيد الجزيرة .

ومن نماذج فقهه تلك القصة التي ذكرها جلال كشك فقال :

قال فيلبي للملك : ماذا تفعل إذا كنت في القطب الشمالي حيث الشمس لا تغرب ستة شهور . في البداية نظر إلي شذرا متحفزا ظانا أنني أحاول التطاول على الإسلام ، فلما تبين أنني جاد ، تلا الأحاديث التي تحدد الصيام من الشروق إلى الغروب ، وأضاف : ولكن إذا وجد مسلم صادق الإيمان في مكان لا تغرب فيه الشمس ، فإن عليه صيام اثنتي عشرة ساعة من الأربع والعشرين ، ويعتبر الاثنتي عشرة ساعة الأخرى كأنها ليل .

ولم تعجب الفتوى فيلبي الذي عز عليه أن السلطان البدوي أثبت تفوقه العقلي على خريج كمبريدج بل وأثبت أنه أكثر مرونة ، وأكثر حرية واطمئنانا وألفة في التعامل مع النص الديني .

ولما توسع فيلبي في ألاعيبه : هل تعرف أنك تستطيع الذهاب إلى أمريكا سواء سافرت شرقا أو غربا ؟ هل ذكر الله أمريكا في القرآن ؟ أنهى الملك هذا الهذر قائلا : والله ؟ على أية حال أنا لا أشغل بالي بهذه الأمور ، فلدي ما يكفي من مسئولية حكم هذه البلاد بما يرضي الله حتى تأتي ساعتي ، فلا شيء يفرق الإنسان عن الحيوان ، إلا الإيمان بالله والعالم الآخر ، أما ماعدا ذلك فالإنسان والحيوان سواء.

وكان الملك في زيارته لمصر يجلس للمسلمين عليه مجلسا عاما في قصر الزعفران وجاء وفد من المتعممين فسألوه عن قضية فقهية انفرد بها مذهب الإمام أحمد فأشار إلى أخيه الأمير عبد الله بن عبد الرحمن وقال : هذا أخي هذا فقيه آل سعود وعالمهم اضربوا معه موعدا للحديث إنه أعلم مني بما تذكرون وصمت السائلون .

قال التركي :

ومما هو معلوم ومعروف وذائع أن الملك عبد العزيز كان ذا ثقافة إسلامية عريقة وعميقة ومتنوعة وكان على علم بالأمهات والأصول والمقاصد .

وهو يبدأ إذا ما احتج لمسألة سياسية كانت أو اجتماعية بكلام الله وبكلام رسوله وصحابته إذا ما حضره شيء من ذلك ، ثم يحتج بما يحضره من كلام العلماء والشعراء والحكام والناس . فللملك عبدالعزيز الشرف الأكبر أن يحفظ الحجج من كلام الله ورسوله فيدلي بها في المحافل. ولهذا فإنك إذا جلست بحضرته لم تسمع غير: قال الله وقال رسول الله وقال الخلفاء وقال الأئمة وقال الشاعر العربي . فمجالسه حفلة من حفلات العلم والأدب .

وأما مكتبة الملك عبد العزيز الخاصة فكانت تحتوي على كم هائل من الكتب الشرعية وهي التي تشغل الجانب الأكبر من كتب تلك المكتبة العظيمة ويكفي أن نذكر أسماء كتب التفسير وعلوم القرآن التي احتوتها البقية الباقية منها مع ملاحظة قلة المطبوعات في ذلك الوقت :

- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية : تفسير سورة الإخلاص .
- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية : جواب أهل العلم والإيمان من أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن .
- إسماعيل بن عمر بن كثير : تفسير ابن كثير
- إسماعيل بن عمر بن كثير : فضائل القرآن
- جول لابوم : تفصيل آيات القرآن الكريم . ترجمة أحمد فؤاد عبد الباقي
- عبد الحميد الخطيب : تفسير الخطيب المكي .
- عبد الرحمن بن ناصر بن سعدى : القواعد الحسان في تفسير القرآن
- عبد الرحمن السيوطي : الإتقان في علوم القرآن.
- علاء الدين علي بن محمد الخازن : لباب التأويل في معاني التنزيل
- علمي زاده فيض الله الحسني : فتح الرحمن لطالب آيات القرآن
- فؤاد إسماعيل شاكر: أدب القرآن
- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية : كتاب أقسام القرآن المسمى بالتبيان.
- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية : كتاب الفوائد.
- محمد بن أحمد القرطبي : التذكار في أفضل الأذكار
- محمد بن أحمد القرطبي : الجامع لأحكام القرآن.
- محمد بن جرير الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن
- محمد رشيد رضا : تفسير الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن.
- محمد رشيد رضا : تفسير المنار.
- محمد بن عبد العزيز المانع : إقامة الدليل والبرهان على تحرير أخذ الأجرة على تلاوة القرآن .
- محمد بن علي صديق حسن خان : فتح البيان في مقاصد القرآن
- محمد بن عمر الرازي : مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير
- محمد فارس بركات : المرشد إلى آيات القرآن الكريم وكلماته
- محمد بن معصومي الخجندي : أوضح البرهان في تفسير أم القرآن
- محمد منير الدمشقي : إرشاد الراغبين في الكشف عن آي القرآن المبين

- محمد نووي : التفسير المنير لمعالم التنزيل
- محمد بن يوسف بن حيان : البحر المحيط
- مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن
- ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل
- يحيى بن حسين قسطموني : مصباح الإخوان .

يقول الدكتور فهد السماري :

من الأسباب التي تدعونا إلى القول بأن مكتبة الملك عبد العزيز الخاصة تعد من أغنى المجموعات ؛ احتواؤها على مؤلفات نادرة ذات قيمة علمية وزمنية قام جلالته باقتنائها خلال حياته بهدف الاطلاع عليها والإفادة من محتواها. وتتضمن معظم هذه المؤلفات نصوصاً هامشية ووقفيات مسجلة واثبات ملكيات تمثل مجالاً مهماً يستحق الدراسة والتحليل خصوصا موضوع رعاية العلم والاهتمام بالمعرفه في المملكة العربية السعودية والنهضة العلمية والفكرية التي كانت تعيشها في تلك الفترة المبكرة. وباستعراض هذه المؤلفات النادرة المحفوظة في مكتبة الملك عبد العزيز الخاصة نلحظ وبشكل واضح وجود نشاط علمي واسع يتمثل في تملك الكتب ووقفها في المملكة العربية السعودية لإتاحتها بين أيدي الكثير من طلبة العلم المحتاجين إليها. كما تبرز لنا هذه المؤلفات سعة اطلاع الملك عبد العزيز وحرصه على نشر العلم والمعرفة.

و باستعراض نماذج عدة من المؤلفات النادرة و أوائل المطبوعات المحفوظة بمكتبة الملك عبد العزيز الخاصة نجد أن الاهتمام بالعلم كان أمرا بارزا و جزءا من حياة أهل المنطقة . و تعكس بعض هذه المؤلفات حرص الملك عبد العزيز و أسرته المالكة و التجار على نشر المعرفة والمساهمة في توفير الكتب لطلاب العلم عن طريق وقفها ونسخها.

كما تتسم المؤلفات الموجودة ضمن هذه المجموعة بأنها نادرة من حيث الطباعة، و مهمة من حيث الموضوع و المحتوى. لذا فإن هذه المؤلفات تشمل موضوعات في الدين و الأدب و الرحلات و التاريخ و غيرها. ويمكن لأي باحث أن يخضع هذه المؤلفات لدراسة علمية واسعة بهدف التعرف على قيمتها العلمية و الفنية.

وليس غريبا أن نجد هذه المؤلفات النادرة و المهمة ضمن مكتبة الملك عبد العزيز الخاصة و ذلك لأن جلالته كان معروفا بحرصه الشديد على الاطلاع و القراءة في شتى التخصصات و الموضوعات. كما يدل وجود عدد من المؤلفات العائدة لأشخاص آخرين ضمن مكتبة الملك عبدالعزيز الخاصة على تقديرهم لاهتمام جلالته بالعلم ورغبتهم في إضافة بعض ما لديهم إلى مكتبته الخاصة العامرة بالمؤلفات المتعددة. ونتيجة لاهتمام جلالة الملك عبد العزيز بالعلم و المعرفة تم حفظ نسخ من هذه المؤلفات النادرة إلى يومنا هذا ليفيد منها الباحثون و طلاب العلم.

إسلاميات الملك عبد العزيز (٣٠)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

وللملك عبد العزيز في التعليم ثمان تجارب أساسية وهي :

نظام الهجر ، نظام التعليم في المسجد الحرام ، المعهد العلمي السعودي، مدرسة تحضير البعثات ، مدرسة الأمراء ، دار التوحيد ، مدارس البترول ، كلية الشريعة .

وأعظم تجربة فيها هو نظام الهجر :

قال كينث وليامز : إن ابن سعود أدرك أنه إذا أراد لحكمه البقاء فلابد له من إنشاء نظام جديد لم تعرفه الجزيرة من قبل وبدأ يتساءل : لماذا لا يعلم أولئك البدو الدين والولاء ؟ لماذا لا يلهب حماسهم الديني ، ويحوله إلى طلقات مفيدة نافعة ؟ وفي سنة ١٣٣٠ هـ قام بذلك الإجراء الهام وذلك بتأسيس حركة الإخوان الشهيرة .

وقال جلوب : إنها من ابتكارات عبد العزيز فهي وإن كانت قد اعتمدت على إحياء التعليم الوهابية إلا أن إنشاء وحدات الإخوان في الهجر كانت من ابتكار عبد العزيز ويقول : بمساعدة رجال الدين في الحركة شكل القبائل البدوية الموالية له في جماعات دينية أطلق عليها الإخوان حيث حرمت الموسيقى والدخان ولبس الحرير

وإن الحقيقة التي تستند إلى الواقع وإلى روايات المعاصرين لهذه الهجر وإلى كتابات المحققين المحللين لهذا المشروع تؤكد أن الهجر كانت هجرة بالمعنى الديني غرسها علماء الدعوة في قلوب البدو مما جعل من هذه التجربة ظاهرة لم تتكرر منذ عصر النبوة .

وقد تحدث عبد العزيز نفسه عن الهجر فلم يشر من قريب ولا بعيد لمشروعات الزراعة ، أو بناء المدن ، بل شرح طبيعتهم التطوعية أو الفدائية قال :

يجيئوننا في السلم فنعطيهم كل ما يحتاجون إليه من كسوة ورزق ومال ، ولكنهم في أيام الحرب ، لا يطلبون منا شيئا في أيام الحرب يتزنر الواحد مهم ببيت الخرطوش ، ويبادر إلى البندق ، ثم يركب الذلول إلى الحرب ومعه شيء من المال والتمر . القليل عندنا يقوم مقام الكثير عند غيرنا ، كنا نمشي ثلاثة أيام بدون أكل ، ويأخذ الواحد منا تمرة من حين إلى حين يرطب بها فمه . نعم كانت الحاضرة أثبت قدما وأشد بأسا من البادية ، أما الآن فالبادية المتحضرون ، أهل الهجر في القتال أثبت من الحاضرة وأسبقهم إلى الاستشهاد .

وقال راندال باكر عن الإخوان : وهابيون متعصبون وهبوا أنفسهم لنصرة الدين بالكلمة والسيف .

قال كشك :

من المؤسف بالطبع أنه لم تتح لنا الدراسة الوافية عن الحياة في ذلك المجتمع النموذجي الفريد من نوعه ولكن الأخبار المتناثرة تؤكد حالة عقائدية من اللواتي تغير مجرى التاريخ ، وقد وصف هاريسون الرياض عام ١٣٣٦هـ فقال :

هذه المدينة يعيش سكانها للعالم الآخر . المئات يدرسون في المساجد ليتخرجوا وعاظا يتوجهون لهداية القبائل البدوية ! إنها مركز نظام تعليمي ديني يمتد إلى كل قرية في وسط الجزيرة ، ويقدم التعليم للجانب الأكبر من

ذكور المدن والذي يتغيب عن الصلاة يضرب . ومن الممكن القول بأنه ما من مدينة يهتم رجالها بالعالم الآخر أكثر من اهتمامهم بهذا العالم مثل الرياض ، وهم لا يعرفون العشاء المتأخر بل يأكلون الوجبة الأخيرة قبل الغروب بساعة ليكون لديهم الوقت الكافي للقراءة والعبادة قبل النوم . وهذا هو البرنامج المعتاد حتى في بيت عبدالعزيز نفسه .

ويحدثنا الريحاني عن المطوعة :

أما العمامة البيضاء الشبيهة بالضماد ، فإن هي إلا نصف ذراع من الخام يلفه المطوع فوق الغترة على رأسه ويشكر الله ثم يحمل عصا من الشوحط أو قضيبا من الخيزران ، ويجوب البلاد في سبيل التوحيد .

المطوعة يعلمون الناس الدين ، والعلماء يعلمون المطوعة ، وكلهم يوم الجهاد لخيال التوحيد أخو من أطاع الله . وكلهم في أيام السلم فلاسفة في التقشف والقناعة ، في الشدة والصبر ، في الفقر والتقوى ، ترى الأخ في الطريق حافيا لا يحمل غير عصاه ، ينفخ الهواء في أطماره فيكشف عريه ، وقد يكون مشي يومين أو ثلاثة دون أن يذوق الخبز أو التمر فتسأله بعد السلام كيف أنت ؟ فيجيبك بصوت عريض ، وقلب وطيد كأنه يمثل دورا في رواية : بخير ونعمة والحمد لله وقلما تسمع كلمة منهم في اليأس والشكوى .

وقال جون حبيب :

الحياة الدينية في الهجر كانت مطابقة لمثيلاتها في أي تجمع ديني متطهر، حياة مكرسة للصلاة والتأمل ، إذا لم تقطعها غارة .

الحياة اليومية لا تتوقف إلا بوصول رسول يحمل أنباء من الرياض ، أو بتعليق بندير الحرب في ميدان المدينة وهي تعني إعلان التعبئة . وليس في المدينة موسيقى ولا رقص ولا رياضة ، وحتى لَعِب الأطفال لم يكن يُشَجع

ويقول الملك عبد العزيز رحمه الله :

إن السلفية القديمة متحدة بحماسة الإخوان ، تشكل أصفى وأنقى الحركات الدينية في العالم .

وروي عنه أيضا قوله :

إن الإخوان مهما فعلوا فيجب احتمالهم ، وأنا لا أنسى أعمالهم وأعتقد أنهم حسنو النية ، أما هذه العصبية والشدة، فالزمن كفيل بتخفيف حدتها .

ومعروف أن عبد العزيز كان لا يسمح لأحد بأن يتطاول على الإخوان في مجلسه إلى أن مات .

وكان الهدف من إنشاء دار التوحيد تخريج جيل عالم ليقوم بسد احتياجات الأمة

ولما أبرق إليه أولياء الأمور بإعفاء أولادهم من دار التوحيد قال ما معناه :

يا أشباه الرجال ولا رجال ، أنتم تريدون أن يكون أولادكم من الثيران والبهائم ونحن نريد أن يكونوا علماء أفاضل ينيرون السبيل ويفهمون أمر دينهم ودنياهم لا سبيل إلى الإعفاء .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٣١)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

قال تعالى ﴿ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور * ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور ﴾ فاطر ٢٩-٣٠

وعن أبي أمامة الباهلي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ''اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه ...''

وقد قدمنا في المدخل أن الملك عبد العزيز كان قد ختم القرآن وهو في الحادية عشرة .

وكان في مجلسه الليلي يقرأ له واحد من قرائه المشهورين مثل الشيخ عبد الرحمن القويز أو الشيخ عبد الله خياط حيث كان كثيرا ما يقول لهذا الأخير : اقرأ علينا وطول .

وكان الملك عبد العزيز حتى في أسفاره يتلو كتاب الله كثيرا ويسمعه من غيره :

فمن ذلك أنه كان رحمه الله وقت السحر عندما تستوي الرواحل للسفر ينادي (العجيري) فيردد الخدم النداء حتى يسمع المنادى فيقبل وإذ ذاك تسمع من الشيخ العجيري طائفة من الذكر الحكيم بصوته الجهوري بترتيل تكاد تعد منه حروفه وهو يلاحظ المعنى الذي تفيده الآية ويشعر به ، فإذا كان الكلام وعيدا رجف صوته ، وإذا كان وعدا برقت أسارير وجهه ، ويظل في تلاوته حتى يأتي وقت صلاة الفجر فيؤذن .

ثم ينادي رحمه الله بعد الصلاة (ابن الشيخ) فيجيب ويأخذ في تلاوة طائفة من القرآن بصوت يحدث في النفس كثيرا من الخشوع والخشية حتى يسفر .

ثم يعود القارئ لقراءته بعد صلاة المغرب فيقرأ جزءا آخر من حيث انتهى في الصباح .

أما في نزوله فكان رحمه الله يشق بصوته الرخيم الذي يختلج سكون المكان مع مافية من الرقة والعذوبة والخشوع في آن واحد ، وهو يقرأ القرآن كما هي عادته في كل صباح قبل طلوع الفجر ، وكان رحمه الله يتلو القرآن تلاوة يتخللها بكاء بخشوع عند قراءة آيات الترهيب خوفا من الله عز وجل ، فمما لا ريب فيه أنه ليس هناك إنسان يسمع هذا الصوت بخشوع وقلبه يشعر إلا وعينه تدمع لمجرد سماع هذه القراءة الصادرة من ثغر ملك عظيم ملأت عدالته جزيرة العرب من مشرقها إلى مغربها .

وعلاقة الملك عبد العزيز بكتاب الله علاقة قوية فهو لا يفارقه في حضر ولا سفر ومصحفه دوما على الطاولة التي أمامه .

وكان كثيراً ما يردد على ظهر المدمرة التي استقلها لمقابلة روزفلت قوله تعالى ﴿ الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره..... يتفكرون ﴾

وقد اعتاد جلالته أن يقرأ القرآن في فجر كل يوم وفي أوقات الفراغ وكانت هذه الرحلات البحرية التي قضى فيها ليلتين على ظهر المدمرة فرصة لتلاوة جانب كبير من القرآن الكريم .

قال محمد المانع :

كان نادرا ما تحدث مع أحد دون أن يستشهد بآية من القرآن الكريم الذي كان يستقي منه فيضا لا ينضب من الحكمة والإلهام وكان ماهرا في تفسير الآيات وشرحها بطريقة تخلب انتباه جلسائه .... وكانت معرفة الملك بالدين وإخلاصه للإسلام من الأمور التي جعلته يعتبر من أعظم قادة المسلمين عبر التاريخ وكان قادرا على شرح القرآن وتفسيره بطريقة ممتازة مفهومة لدى أبسط رجال البادية وفي اعتقادي أنه قدم للعقيدة الإسلامية خدمة لم يقدم مثلها أي رجل في هذا الزمن .

وقال فيلبي :

إن عبد العزيز لم يكن يستطيع أن يختم القرآن أكثر من ٤ مرات في رمضان كل سنة بسبب مشاغل الدولة وفي رمضان ينام ساعة بعد الفجر، وساعتين ونصف بعد الضحى ، وساعة بعد صلاة العصر ، وثلاث ساعات على الأكثر في الليل . وقد عود نفسه طوال حياته على نوم ساعات قليلة تقسم على فترات .

ومن نماذج كلامه في تفسير كتاب الله : يقول رحمه الله :

إن سورة الفاتحة يرددها المسلم في صلاته وهي جامعة للحكم البينات.. إن قوله تعالى ﴿الحمد لله﴾ إخبار بأن الذي يستحق الحمد هو (الله).. ﴿رب العالمين﴾ أي أنه مالك العالمين وربهم، فهو رب المسلم والكافر.. رب الإنس والجن.. رب كل شيء في الوجود من حيوان وجماد ونبات ﴿الرحمن الرحيم﴾ ومعنى الرحمن رحمان الدنيا ورحيم الآخرة ﴿مالك يوم الدين﴾ إقرار بأن الذي يملك يوم الدين هو الله وحده رغم أنوف الجاهلين والجاحدين ﴿إياك نعبد﴾ أي نوحدك ونطيعك طائعين ﴿وإياك نستعين﴾ أي دلنا وأرشدنا وثبتنا على طريق السنة والجماعة ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ أي مننت عليهم بالهداية ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ أي الذين غضب الله عليهم لمخالفتهم أوامره وأضلهم عن طريق الحق .

إن سورة الفاتحة التي يرددها المسلم في صلواته فيها ما لو تدبره المسلم لما كان يقول شيئا ويعتقد خلافه، يجب على المسلم أن يتبع قوله بالعمل وقراءة الكتاب والسنة بالاعتقاد الصحيح، أما الأقوال بغير الأعمال فهذه من صناعة الشيطان..

ويقول أيضا : لقد افتتح الله كتابه الكريم بهذه السورة ﴿الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم﴾..

أي توجيه الحمد لرحمن الدنيا ورحيم الآخرة ، ﴿مالك يوم الدين﴾ أى تثبيت وجود البعث في ذلك اليوم الذي قال عنه ﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ ﴿إياك نعبد واياك نستعين﴾ معناها معاهدة الإنسان ربه على العبادة، وقد قال تعالى: ﴿وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون﴾ أي يوحدون... فإذا قلت : ﴿إياك نعبد﴾ معناها لا تعبد إلا الله، وآمنت بما جاء في كتابه، وما جاء به الرسول وأحببت من أحب الرسول وصدقته وهو المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى .

لا والذي بيديك طهر كتابه تصحو على ترتيله وتنام

ما شاد مجدك غير فكر دونه تتضائل الأفكار والأفهام

صنعت به يمناك كل عجيبـة طال السؤال بها والاستفهام
فعنت لك الدنيا فقيل : ملكيها وعنوت للأخرى فقيل : إمام

إسلاميات الملك عبد العزيز (٣٢)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ‘‘من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر’’.

وعن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال : ‘‘ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه ’’

وقد كان التمكين للملك عبد العزيز نصرا مؤزازا لعلماء الحق والعقيدة السلفية ، واعتبر عهده رحمه الله عهدا ذهبيا للعلم وأهله ، وبعد أن كان بعضهم يذوق الويلات بسبب منهجه القويم ، أصبح معززا مكرما لا ترد له كلمة ولايغلق دونه باب .

ومن الأمثلة على ذلك ما حصل للشيخ أبي بكر خوقير من علماء مكة الذي سجنه الشريف حسين وعذبه بسبب التزامه بعقيدة السلف الصالح وقد مكث في السجن حتى فتح الملك عبد العزيز مكة وأخرجه من السجن.

ومن أقوال الملك عبد العزيز رحمه الله :

وإن من طرق الخير اتباع الأخيار، والأخيار هم العلماء العاملون وهم مغناطيس القلوب، لكن إذا عملوا بما أنزل الله .

وفي كتابه رحمه الله للشيخ مصطفى المراغي شيخ الأزهر قال :

وإننا نرى أن العناية بالعاملين في سبيل الله وفي سبيل الدين واجبة ، وأن مالقيه رجال بعثة الأزهر أثناء إقامتهم في الحجاز هو من هذا القبيل ، فالبلاد بلادهم وهم أبناؤنا وإخواننا نسأل الله تعالى السداد في القول والعمل ، والتوفيق في سبيل خدمة هذا الدين الحنيف .

وفي مؤتمر الشورى المنعقد في الرياض بشأن الحج كان من كلامه رحمه : إن مسألة الحج هي من أهم المسائل التي يرجع الفصل فيها إلى علمائنا حفظهم الله ، وها هم حاضرون ، فيتكلموا ونحن نتبع خطاهم.

وكان لعلماء الدين المقام الأول عند الملك عبد العزيز يقدمهم على إخوانه وأبنائه وكبار جلسائه ويصغي إلى آرائهم ويبالغ في إكرامهم . وقل أن يجادلهم في أمر يرون فيه مالا يرى قبل أن يفسح المجال لهم للمناقشة فيما بينهم . فإن انفرد بعضهم أو أحدهم بما يوافق رأيه ، لم يعجل في الأخذ بما قال ، وتريث إلى أن يقنع الآخرون .

وعودهم إذا بدا لهم أمر ورأوا فيه النصيحة له أن يجتمعوا فيما بينهم، ويكتبوا خطا (كتابا) يذيلونه بتوقيعاتهم ، ثم يحضرون لمقابلته . أو يكلفون واحدا منهم أن يعرضه عليه .

وكان لكبارهم هيبة في نفسه لا يصطنعها ولا يتعلمها ولا سيما آل الشيخ.

سمع مرة يقول : ما لقيت الشيخ يعني عبد الله بن عبد اللطيف إلا تصبب العرق من إبطي .

ومن رسالة للملك عبد العزيز لفيصل الدويش يقول :

ولا يقطع عقلك يا فيصل ياخوي أن على الإسلام وأهله أضر من أهل الجهل والبدع ..... أما من قبلي أنا فصحيح أنك خوي وتعرف مقامك عندي ولكن ذلك يحتمل دينا ودنيا لكن إذا أردت أن تعرف قلبي وقالبي وما أنا عليه وما أنا فاعله فمثل ما عرفتك سابقا ولاحقا فأنا خادم لأهل العلم ، والله بحوله وقوته إن شاء الله لأمضي ما قالوا وأحب من أحبوا وأبغض من أبغضوا وأمضي أمرهم على نفسي وعيالي ومن أحب .

وكان لمجلس العلماء رهبة ووقار منقطعا النظير فإن أحدًا لا يستطيع أن يحيي الملك أو الحاضرين إذا كان أحد العلماء يقرأ أو يحدث ولا تدار القهوة إلا قبيل الدرس أما إذا بدأت الساعتان فلا قهوة للضيفان حتى يختم الملك مجلس العلم بقوله للقارئ أو المتحدث (بارك الله فيكم)

وأبصر الملك يوما عالما من العلماء بعيدا عنه وقد زاحم الناس في مقامه منه واضطر الرجل للزحمة أن ينأى عن الملك ومجلسه فغضب عبدالعزيز لذلك غضبا شديدا ونهر المزاحمين وبكتهم قائلا : ألا تعلمون أنه ليس منا من لم يوقر كبيرنا .

وسمعت الأمير سلطان بن عبد العزيز حفظه الله وهو يتحدث عن والده في مجلسه العامر يذكر حادثة وقعت في الرياض مضمونها أن سيارة محملة بالدخان كانت في طريقها من الحجاز إلى المنطقة الشرقية ، فوقعت في يد رجال الإخوان ، فسجن قائد السيارة وتحفظ عليها ، فحدث تدخل من أحد الأمراء أبناء الملك عبد العزيز للإفراج عن الرجل ، فغضب المشايخ من ذلك التصرف وعلم به الملك عبد العزيز رحمه الله فعنف ولده وقال له : لا تغضب المشايخ ، لا تخالفهم . فمازال به يشرح له الموقف حتى قرر الملك عبد العزيز إنهاء الأمر بطريقة حكيمة وأصدر أمره بسرعة مغادرة السيارة بقائدها للمنطقة لتطهير الرياض من هذا الخبيث .

ومن أقواله رحمه الله :

متى اتفق العلماء والأمراء على أن يستر كل منهما على الآخر فيمنح الأمير الرواتب والعلماء يدلسون ويتملقون ضاعت أمور الناس وفقدنا والعياذ بالله الآخرة والأولى.

ومن مظاهر احتفائه رحمه الله بالعلماء وتبجيله لهم أنه لما عرف مكانة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي من العلم أهدى له الهوية السعودية بأمر ملكي خاص ، ولم يكتف بذلك بل أمر بمنح التابعية لكل من يثق به وينتمي إليه مبالغة في إكرامه .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٣٣)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

عن أبي موسى قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ما القتال في سبيل الله فإن أحدنا يقاتل غضبا ويقاتل حمية ؟ فرفع إليه رأسه فقال : ''من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل''

.

وكان الملك عبد العزيز رحمه الله يقول :

اللهم إن كان قصدي إعلاء كلمة الله ونصرة الإسلام والمسلمين فأرجو منك التوفيق والتأييد والنصر وإن كان قصدي خلاف ذلك فأرجو منك أن تريحني بالموت العاجل .

قال الدكتور محمد بن ناصر الشثري :

الملك عبد العزيز رحمه الله ، قام ببناء هذه الدولة الإسلامية لإعلاء كلمة الله ، حيث إنه رفع راية التوحيد ، وجند الجنود حولها ، وسار بهم لتطبيق شرع الله في البلاد ، وليس كما قال المستشرقون لاستعادة ملك آبائه وأجداده .

ومن أقواله رحمه الله :

والمسلم لا يبيت في فراشه إلا على نية الجهاد، وكذلك من لا يود أن يموت مجاهدا في سبيل الله لا يكون صحيح العقيدة . ولقد سبقت لي في الجهاد صفحات ماضيات ما باليت إن قطعت عضدي في سبيل الله ، لأنني لا أقبل في الله لومة لائم، ولأن أكثر ما يهمني هو المحافظة على كلمة التوحيد ثم على محارم المسلمين، ونسأل الله أن يحيينا عبيدا خاضعين مطيعين له ، خاشعين في عبادته صادقين في إيماننا .

ويقول :

هؤلاء هم جنود التوحيد إخوان من أطاع الله يقاتلون ويجاهدون في سبيل الله ولا يريدون من وراء ذلك إلا رضا الباري جل وعلا وإن هذه القوة موقوفة لتأييد الشريعة ونصرة الإسلام في الديار التي ولاني الله أمرها أعادي من عادى الله ورسوله وأصالح فيها من لا يعادينا ومن لا يناوئنا بسوء .

ويقول :

إن أعظم من حاربناهم أجداد هذا الرجل (وأشار جلالته إلى الأمير أحمد وحيد الدين حفيد السلطان عبد العزيز العثماني) ولم يقاتلونا إلا لأننا امتنعنا أن نقول للسلطان بأننا (عبيد أمير المؤمنين) لا .لا.لا. لسنا عبيدا إلا لله تعالى ﴿ وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴾ .

ويقول :

ليس لدينا أحب من السلام يغمر هذه الربوع فنحن لسنا طالبي حرب، ولا نشهر سلاحنا إلا في وجه من يبادرنا بالسلاح ، لقد آن لهذه البلاد الحبيبة أن تعرف السكينة وتنعم بالسلام ، فلنوحد صفوفنا وسلاحنا

وكلمتنا وإذا كان لابد للسلاح العربي من أن يشهر فليشهر في وجه الأجنبي دفاعا عن العربي والعروبة والإسلام .

وكان الحسين على الرغم من مصافاة الملك عبد العزيز ووده له قد قام بأعمال خطيرة ضد أهل نجد :

ـ فأوعز لأبنائه : ضيقوا الدائرة على نجد وحاصروها .

ـ ودخل جيشه تربة وهي تحت حكم نجد وقتل المصلين في صلاة الصبح عن آخرهم ثم عاد .

ـ وطمع بنجد وعزم على فتحها وأرسل ابنه عبد الله لذلك .

ـ ومنع أهل نجد من الحج وتعرض لهم بكلمات الزندقة والكفر ووسمهم بأقوال بذيئة لا تليق بعظمة الملك وذلك في جريدة القبلة .

وظللت في أمن أظلك فيؤه إن قيل : حرب قلت أنت : سلام

ويقول كشك :

بعد توقيع اتفاقية الطائف بين عبد العزيز وابن الوزير والتي أنهت حرب اليمن وأعادت الحديدة لليمن ، سمع بكاء خارج الخيمة الملكية فتساءل الملك : من هذا الذي يبكي ؟ قالوا : عبد الله فيلبي .. يبكي قائلا : هل تتاح لأحد فرصة ضم اليمن ويتركها ؟ ضيعت ملك أجدادك يا عبد العزيز !!

فناداه الملك وقال له :

أولا : آبائي وأجدادي لم يملكوا اليمن ولا استطاع أحد أن يوفر الأمن والاستقرار فيها . فمن يحكم اليمن بزيودها ومشاكلها ؟ وسترى ما سيجري فيها .

ثانيا : إن حربي هذه لم تكن لضم اليمن بل لإنهاء المطالب والمشاكل اليمنية في عسير ونجران وجيزان وكل الأراضي السعودية التي لم تعترف بها اليمن وهذا ما حققناه .

وفي إعداد العدة يقول رحمه الله :

المسلمون اليوم قائمون من نوم وغفلة ، فيجب عليهم أخذ سلاحهم، والسلاح سلاحان..

إما سلاح العدة من طيارات وما إليها ، فهذا ما لا يستطيع المسلمون أن يستحوذوا على مقادير منها بقدر ما استحوذ عليه أعداؤهم إلا أن يشاء الله .

أما السلاح الثاني- وهو الأعظم- فالذي أوصي به نفسي وأوصيكم به، هو التقوى والاعتصام بحبل الله جميعا، فإذا عملتم ذلك نلتم العزة في الدنيا والعفو في الآخرة ورحمة الله وسعت كل شيء، ولا صلاح لهذه الأمة إلا بما صلح به أولها وكل طريق غير ذلك لا يفيد.

وإني أقول بوجوب القوة في كل شيء ، في الزراعة وفي السياسة وفي الصناعة وفي كل أمر فيه طاعة لله ، أما ما يخالف ذلك فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، وقد أمر رسول الله ﷺبتعليم اللغات الأجنبية لأنها من ضمن القوى على العدو لئلا يظهر عليهم ، وكذلك أصحابه من بعده .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٣٤)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

وكان الملك عبد العزيز يرسل مع كل جيش عالما ويكون هذا العالم هو الموجه للجيش قي جميع الأمور الشرعية وكانوا يعمرون مجالسهم وجميع أوقاتهم بدروس العلم والوعظ فيرجع الجنود بحصيلة دينية جيدة، وأيضا فإن جيش الملك عبد العزيز إذا فتح بلدا أزال عنها جميع ما فيها من شرك وبدع ومعاصي وجميع ما يخالف الدين وما زالت بحمد الله آثار هذه الجيوش على البلدان إلى يومنا هذا بإقامة الدين وترك ما يضاده ، ولا يقتصر دور العلماء عند هذا الحد ، بل كانوا يرسلون القواد يحثونهم على الثبات والصبر وامتثال أوامر الإمام ويحذرونهم من التنازع والتفرق.

وكان رحمه الله إذا ضبط جنديا يدخن منعه من الجهاد معه ، إلا إذا تاب وكسر السبيلة (الغليون)

قال يوسف ياسين :

سمعت الملك يقول غير مرة : إذا أراد المسلمون والعرب قتال أعدائهم فإن أعد المسلمون والعرب آلة واحدة من آلات الحرب أعد لهم أعداؤهم مئات وألوفا ، ولكن قوة واحدة إذا أعدها المسلمون والعرب لا يمكن أعداءهم أن يأتوهم بمثلها ، هي إيمانهم بالله وثقتهم به . هذه القوة لا قبل لأحد بها .

وقال :

سمعته ذات يوم يملي أمرا حربيا لقادة جنده في تهامة عسير ، يوم نقض الأدراسة عهدهم . فبعد أن رسم لهم خطة الهجوم وأحكم تدبيره قال : عليكم أولا أن تقدموا للقتال وأنتم موقنون بالنصر من ربكم ، وأن لا يخامركم شك في نصره وتأييده .

وقال يوسف : خاض عبد العزيز أكثر من مائة معركة ولما مات وجدوا على جسمه ثلاثا وأربعين ندبة وأثر جرح .

ومن فقهه رحمه الله للإعداد ما توحي به هذه القصة :

أوفد رئيس سوريا شكري القوتلي أمين سره للملك عبد العزيز يقول له: إنه يرى للحد من مساعدة الأمريكيين لإسرائيل أن يقطع البترول عن أمريكا فانتفض عبد العزيز وقال : يا الله البترول منحة من الله كانت أمي حين تدعو لي تقول : اللهم ملكه ما فوق الأرض وما تحتها وهل تحتها إلا البترول ؟ قل لشكري : لا تعلم عبد العزيز الوطنية ، نضالنا في القضية ونحن أغنياء خير لها من نضالنا ونحن فقراء .

قال حافظ وهبة : والرجل واقعي وعملي يقف عند الحد الذي تؤهله له قوته ولا يستمسك بالخيال وكان دائما يكرر القول المنسوب لعلي بن أبي طالب : ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه.

ومن تعقلاته السياسية أنه عرف حدود قدراته ولما أرسل له أحد كبار السياسيين السوريين يستحثه على غزو سورية ويقول : إن جميع العرب سيكونون بجانبه قال : إنه لا يعيش في هذا العالم فهو لا يعرف وسائل مواصلاتنا ولا وسائل تموينا ولا من أين نشتري أسلحتنا.

وفي التزامه بآداب الإسلام في الجهاد

يقول التويجري :

كان الملك عبد العزيز- رحمه الله- زاهدا في سفك الدماء والبطش.....فقبل أن يدخلوا معركة من المعارك، مع مخالف له، يخطب في رجاله أن يتحاشوا سفك الدماء- ما أمكنهم ذلك- وأن لا يطلق سهم واحد على مقاتل أدبر وأعطى ظهره، وكذا أي أسير لا يجهز عليه في أسره إلى أن يأتي به إلى الملك عبد العزيز ، وإلا سوف يعاقب آسره وإن كان ابنه!!

وكان حريصا كل الحرص على محارم المسلمين ونسائهم غيورا علىالعرض ، لا يجرؤ جندي واحد مهما كان جاهلا وقليل حياء ودين أن يمس امرأة وإن كان قد هزم رجالها . هذه أخلاق وصفات عرف بها نقاء جيش الملك عبد العزيز . يأمنه خصمه ويثق بعفوه . لذلك ما أكثر من استسلم من خصومه له طوع اختيارهم.... فالملك عبد العزيز لم يبن هذه الدولة الحديثة ويستعدها بعد اليأس والقنوط بسفك الدماء والثارات ولكن بنتها أخلاقه وقيمه وتوفيق الله له.

قال رحمه الله في إحدى معاركه :

إننا هاجمون على البلد (بريده) فاحذروا أن تؤذوا من لايعترضكم أو تسيئوا إليهم بشيء حاربوا من حاربكم وسالموا من سالمكم . أما البيوت فلا تدخلوها والحريم لا يعتدي أحد عليهن ومن يعتدي عليهن فيعتدى عليه

ورأى عددًا من القتلى من جنود خصمه الحسين فلم يطق منظرهم وقد جيفت أجسادهم وأطرق محزوناً يشب الدمع إلى عينيه بالرغم من جلده وقال – والدمع ينحدر من وجنتيه – : ما كان أحرى بأخي الحسين ألا يلقي بهؤلاء البؤساء إلى هذا المصير الأليم ويكون سبب هلاكهم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وقد بكى السلطان عبد العزيز مما عمل في الطائف وحزن له حزنا شديدا وقال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنعه أي رجل من عمالي وقوادي . وواسى منكوبي الطائف بعد تسليم جدة .

وقد اقتدى في ذلك برسول الله ﷺ فعن ابن عمر قال : بعث النبي ﷺ خالد ابن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ودفع إلى كل رجل منا أسيره حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره فقلت : والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره حتى قدمنا على النبي ﷺ فذكرناه فرفع النبي ﷺ يده فقال : ''اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد مرتين''

وقال أحمد عطار :

وأنا كمؤرخ — وهو من أهل مكة — أبرئ ابن سعود من مسئولية مذبحة الطائف فمن وصاياه ونصائحه لجنوده ألا يتبعوا مدبرا وألا يجهزوا على جريح وألا يهاجموا بيتا وألا يقتلوا شيخا ولا طفلا وألا يعترضوا امرأة ولو قاتلت وألا يؤذوا المدنيين من السكان ، وأحملها لسلطان بن بجاد الذي دخل الطائف بنفسه الأثيمة التي سولت له بعد ذلك الخروج على ولي نعمته حتى أهلكه الله .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٣٥)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

ونستكمل حديثنا عن التزام الملك عبد العزيز بآداب الجهاد

يقول التويجري :

لم يعرف أحد في جميع حروب الملك عبد العزيز أنه اقتحم قرية أو مدينة ، بل يتركها أو يتدخل فيها الزمن فيحل المشكلة باستسلام كريم وأمن وأمان . فمثلاً كان أمير تيماء عبدالكريم بن رمان مغاليًا في استقلاله ببلدة (تيماء) متعصبًا بشكل أغضب الكثيرين من رجال الدولة وغاظهم ، فأخذوا يحملون الملك عبد العزيز على تأديبه ويجيزون له اقتحام البلد . فسأل الملك عبد العزيز : هل منه أذى على أحد ؟ هل آذى مسلمًا ؟ هل قطع طريقًا ؟ هل قام بعصيان معلن ؟ هل اتصل بعدوّ خارجي وتآمر ؟ قالوا : ما حصل شيء من هذا . فقال : اعتبروه موظفًا لنا . بارك الله في رجل ترضى له جماعته ولا يظلمهم . دعوه على صلة دائمة هو وقومه بمدن المملكة ، لا يحاصَر ولا يعترضه أحد .

بقي ابن رمان وقتًا طويلاً على هذه الحال ، حتى جاءت الأخبار إلى عبد العزيز أن جماعته ثاروا عليه وقتلوه وطلبوا من الملك عبد العزيز إرسال رجل يحل محله . فأرسل إليهم أميرًا بدلاً منه ، ونقل عائلته وأسرته إلى الرياض مكرمين معززين . والواقعة هذه مشهورة في جميع أنحاء المملكة ، بل وفي بعض البلاد العربية المجاورة .

قال عبد الله الفيصل متحدثا عن جده :

كان العداء مستحكما بينه وبين سعود بن رشيد ، فزحفت قبيلة الرولة على مدينة الجوف واحتلتها ، فخرج سعود بن رشيد من حائل مع جنده، ودخل الجوف . وحوصر فيها ، فأشار بعض الناس على الملك عبد العزيز ، بأن هذه الفرصة للهجوم على حائل : فرفض بشدة ، وقال: لو هاجم حائلا أحد ، وابن رشيد في محنته ، لدافعت عنها ، وأنا لست ممن يطعنون من الخلف .

ودخل أحد الأشراف المعروفين ، على الملك عبد العزيز يهنئه باغتيال الملك عبد الله فنهره وطرده من مجلسه ، وقال : لا يشمت بالموت إلا خسيس جبان .

وكانت نخوة الإخوان وأهل الهجر :

خيال التوحيد ، أهل التوحيد ، صبي التوحيد ، أخو من أطاع الله .

ويتنادون عند لقاء العدو : هبت هبوب الجنة ، وين أنت يا باغيها ؟ يا ويل عدوان الشريعة منا .

وكان الملك عبد العزيز يشاركهم في قولهم إخوان من أطاع الله .

ولم يكن في أيام القتال وخوض المعارك يهجع على فراش أو يطمئن به مرقد، بل يستلقي على سجادة تفرش له فوق الرمال وسيفه المسلول بجانبه لا يبرحه ، بل لم يكن أحيانا يستلقي، وإنما يجلس القرفصاء معتمدا ذقنه بكفيه وهما ممسكتان بمقبض سيفه مغروزا في الرمل ملتمع النصل منزوعا من القراب ، لكي يستطيع أن يهب من نومه مستويا على ساقيه متحفزا للطعن والضرب والنزال .

وكان جواده أبدا بالباب لا يغادره، وعلى صوت النذير يهب إليه فيعلو صهوته وينطلق مارقا به لا يستأني حتى يتوافر له السرج أو يؤتى له بلجام .

وقد أمسى من كثرة جهده وحركته الدائمة نحيفا مفتولا، فقد تركت الحياة في الصحراء بدنه مشدود الأوتار صلدا كالحجر أوكالرخام ، وكان أكره ما يكون لعيش الحضر والمقام في ظلال السكون ، وهو المقل من الطعام والشراب ، القوي ذو المرة الثابت الأوصال ، يشتغل طيلة النهار وزلفا من الليل ، ويجلس على باب خيمته يستمع إلى الشكاوى والمظالم ويحكم في القضايا المرفوعة إليه ، ويتحدث إلى الوافدين عليه..... فقد عرف البلاد حق المعرفة ، ووعى تواريخ القبائل كلها وأساليب عيشها وعاداتها .

وقد اعتاد أيضا أن يشرف بنفسه على مطالب المعسكرات وتموينها، وبضع الخطط والتصميمات للمعارك المنتظرة ، ولم يكن يترك فرائض دينه حتى في أشد مشاغله ، فهو يصلى ويصوم ويتلو القرآن الكريم .

وهو أول من يخرج من أصحابه إذا طلبوا الغارة، وفي صدر المقاتلين إذا بدأت المعركة وآذن القتال....

وكان الذين حوله مجهودين منه ، وقد ظل يحارب ابن الرشيد بثبات ودأب حتى استطاع في النهاية أن يحدق به ويقضي عليه .

وكان إذا نام فرفيقه في نومه سيفه ، أيسر حركة توقظه .....وقد عودته حياة الكر والفر أن يستيقظ من نومه فجأة ليثب على جواده المربوط عند باب خيمته ثم ينطلق كالريح إلى حيث يريد .

وكان رحمه الله شغوفا بالسيوف وله خبرة واسعة في أصنافها وأحبها إليه سيف اسمه الرقبان وآخر اسمه صويلح وثالث اسمه ثويني ورابع اسمه ياقوت .

وكان عبد العزيز ، من بدء حياته وإلى ما بعد ظهور السيارات والطيارات كثير العناية بالخيول الأصيلة .

وكانت اصطبلات خيوله الخاصة في الرياض ، كما وصفها خبير بالخيل سنة ١٣٥٥هـ تحوي أشهر المرابط.

وكان في غزوة من غزواته وما كاد ينتهي من المعركة منتصرا حتى دخل حجرة أعدت له وأخذ يصلي وغرق في صلاته فأسرع إليه رجاله يدعونه ليبايعه كبار أهل المدينة المغلوبة فألفوه غارقا في صلواته .

وأما صفاته القيادية العسكرية التي استقى جلها من الهدي النبوي فقد استفاض في الحديث عنها كثيرون ممن كتب عن معاركه وغزواته .

قال محمد أسد :

أثار وصول ابن سعود إلى الحكم الأمل في العالم العربي . أن قد جاء أخيرا زعيم وقائد عربي . يخلص الأمة العربية كلها من عبوديتها ، وتطلعت إليه جماعات إسلامية عديدة من غير العرب لإحياء الفكرة الإسلامية بأكمل معانيها ، وذلك بإقامة دولة تكون فيها الكلمة العليا لروح القرآن وحده .

يا من أعاد لدين الله بهجته حتى استقام له بين الورى شان

وشاد مملكة للعرب زاهرة يزينها خلق ســام وإيمان

إسلاميات الملك عبد العزيز (٣٦)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

عن عائشة أن رجلا استأذن على النبي ﷺ فلما رآه قال : ''بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة '' فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه فلما انطلق الرجل قالت له عائشة يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه فقال رسول الله ﷺ : ''يا عائشة متى عهدتني فحاشا ؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره .''

وقال أبو الدرداء ﷺ : إنا لنكشر – أي نضحك – في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم.

يقول التركي :

وعلاقات الملك عبد العزيز الخارجية تقوم على ما يسمى بالدبلوماسية الوقائية .

وقالت جريدة الإيفننج وورلد :

ابن السعود لا يحابي في دينه ولا يعرف فيه رحمة ولا هوادة .

وكان رحمه الله لا يبالي أحدا ولا دولة في سبيل الله لأن الإسلام كان عميق الجذور في نفسه ، واستكباره على الدنيا جعلها تصغر في عينيه فلا تفتنه فكان لا يداهن في دين الله مهما كان الأمر .

ولما مات الملك جورج الخامس نكست كل دول العالم أعلامها حدادا على وفاته وأبى الملك عبد العزيز ذلك ولم يجامل ولم يخف بل أعلن ذلك على رءوس الأشهاد .

وقبيل وفاته علم أن الخمر ترد إلى المملكة للسفراء والهيئات الدبلوماسية فتألم كثيرا فقد كان لا يعلم بذلك فأصدر أمرا بمنع ذلك وغضب السفراء والممثلون والقناصل واحتجوا فلم يبال وأطاع ربه وعصى من سواه وبقيت الخمرة ممنوعة .

قال الزركلي :

سمعته مرة في مجلس ديبلوماسي والحديث عن حلف أوروبي يضم دولة لا تتفق أهدافها مع الآخرين يروي أن حية فرت من عدو لها فلقيت إنسانا فتضرعت إليه أن تختفي في جوفه فرق لها فدخلت في أمعائه فلما مر عدوها وأمنت ، خيرت الإنسان في الميتة التي يفضلها أتعضه فيتألم ويموت أم تنفث فيه سمها فيفقد الحياة ، فذكرها بإحسانه إليها وإيوائه لها فقالت : أنسيت عداءنا القديم من عهد آدم ؟ ... فقال : هذا جزاء من يجعل عدوه في قلبه .

ويقول رحمه الله :

لا أقصد أنني أحارب أهل الأرض أو أقاتلهم ، وإنما أعمل في مجاملة الناس بما يأمرني به الإسلام ما لم يبلغ الأذى ديني وعقيدتي ووطني ، وهناك أعمل كما قال الصحابي : فإن بلاء فأفد مالك دون نفسك ، فإن تجاوز البلاء فأفد بنفسك دون دينك .

وفي مواقف الملك عبد العزيز مع الكفار من الإنجليز والأمريكان ما يشهد له بالحنكة السياسية ، فقد كان يجيد حساب مواقع القوة والضعف ولا يدخل في مغامرات وهذا هو سر خلافه مع الإخوان فلم يغب عن عقله وهو يؤسس دولته الحديثة أن يحميها من الأغلاط والعثرات السياسية والمجازفات غير المحسوبة .

إن بريطانيا لم تكن راضية عن تجاوز الملك عبد العزيز بعض حدود نجد وكانت متوجسة منه يوم خرج من الكويت أن يعمل على توحيد شبه الجزيرة العربية وكانت تريده أن يأخذ إمارة كغيره ليظل دور المشاغب لأخيه أمير القرية الأخرى ولم تكن تريده أن يبني دولة وكانت تريد لخارطة هذه المملكة ثلاثين علما على سارية الأمم المتحدة . ولكن الملك عبد العزيز رحمه الله بحكمته استطاع احتواء بريطانيا وتوظيفها في تأييده .

إنه لم يشارك في الحربين العالميتين الأولى والثانية بجندي واحد .

إن بريطانيا لم تستطع جره إلى خطأ سياسي يضعف من هيبته ويفسد عليه تصلبه في سياسته .

كان منذ عام ١٩٠٣ م على صلة بالبريطانيين والروس والأتراك تقوم على حسابات ذكية .

إن طباعه كانت تسمح له بالتكيف مع كل الأوضاع .

ومن كلامه رحمه الله :

إن للدول الأجنبية المحترمة علينا حقوقا ، ولنا عليها حقوق .

لهم علينا أن نفي لهم بجميع ما يكون بيننا وبينهم من العهود ﴿إن العهد كان مسئولا﴾ المسلم العربي ليشين بدينه وشرفه أن يخفر عهدا أو ينقض وعدا . وإن الصدق أهم ما نحافظ عليه ، إن علينا أن نحافظ على مصالح الأجانب ومصالح رعاياهم المشروعة محافظتنا على أنفسنا ورعايانا بشرط : لا تكون تلك المصالح ماسة باستقلال البلاد الديني أو الدنيوي .

وأما حقوقنا على الدول ....نطلب منهم أن يسهلوا علينا السبل إلى هذه الديار المقدسة للحجاج والزوار والتجار والوافدين ثم إن لنا عليهم حقا فوق هذا كله . وهو أهم شيء يهمنا مراعاته ، وذلك أن لنا في الديار النائية والقصية ، إخوانا من المسلمين ومن العرب ، نطلب مراعاتهم وحفظ حقوقهم .

فإن المسلم أخو المسلم ، يحنو عليه كما يحنو على نفسه في أي مكان كان .

يقول جلال كشك :

كان يتمتع بصفتين نادرتين وضرورتين في بناة الدول ومحركي التاريخ . الأولى : هي القدرة على فهم حركة التاريخ ، ومن ثم ربط مصلحته بالقوى الصاعدة المنتصرة ، فيصبح شريكها في النصر ليس عميلا ولا أداة ، بل ويفرض على خصومه المحالفات الخاطئة ، مع القوى المنهارة فيسقطون معها . والميزة الثانية هي قدرة عجيبة على إقناع الآخرين بأن مصلحتهم هي في تبني مصلحته هو ، فيعملون على تحقيق أهداف عبد العزيز ، وهم على قناعة تامة ، بأنهم يحققون أهدافهم هم ! ثم موهبة شخصية ، أجمعت كل المصادر على تأكيدها ، وهي تمتعه بطاقة الشموس الكبيرة ، أعني القدرة على إدخال أي كائن يقترن منه في فلكه، ليتحول إلى كوكب يدور

سعيدا حول ابن سعود أو كما قيل ، لم يجتمع أحد بابن سعود ، إلا وخرج مبهورا ، وبتعبير شيخ القبيلة : " قالوا عنك سحار يا عبد العزيز والله صح ! سحرتني يا عبدالعزيز".

إسلاميات الملك عبد العزيز (٣٧)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

يقول كشك :

لو راجعنا تاريخ العلاقات السعودية – البريطانية في عهد عبد العزيز، لما وجدنا واقعة واحدة ، يمكن أن يصنف بها ابن سعود أو الدولة السعودية كأداة في خدمة الامبراطورية البريطانية ، ولا وجدنا موقفا تطوع فيه عبد العزيز ، أو أرغم ، على التضحية بمصلحة بلاده في سبيل مصلحة بريطانية ، بل على العكس يمكن أن نحصي ... العديد من المواقف ، التي استفاد فيها عبد العزيز من قوة بريطانيا لتنفيذ برنامجه ، والعديد أيضا من المواقف التي فاجأ فيها بريطانيا بتنفيذ مصالحه على حساب تخطيطها ومصالحها .

وفي اللحظة المناسبة تماما استطاع أن يتخلص من الصداقة البريطانية ، ليبدأ علاقة جديدة مع القوة الصاعدة في السياسة الدولية ، وهي الولايات المتحدة الأمريكية. حتى قيل : إنه شهد نهاية امبراطوريتين واستفاد من سقوطهما أكثر من أي حاكم آخر .

وإذا كان من الصعب القول بأن عبد العزيز قد استفاد من صداقته مع الولايات المتحدة لتحقيق كل أهدافه ، فلا شك أنه استفاد منها ، وأفاد بلاده بأكثر مما استطاع أي حاكم في العالم الثالث ، الاستفادة من صداقة دولة كبرى ، وخاصة الولايات المتحدة التي اشتهرت بالإضرار بأصدقائها ! إلا أن الأكثر صعوبة ، هو إثبات واقعة واحدة تشير إلى نجاح الولايات المتحدة في تسخير صداقة عبد العزيز لخدمة مصلحة أمريكية أو هدف أمريكي يتعارض مع مصالح وأهداف ابن سعود .

ولا عجب فهو الذي ، في عام ١٩١٥، ولم يك شيئا مذكورا ، استطاع أن يفرض على بريطانيا ، النص في معاهدته معها ، على عدم قبول أية نصيحة منها ، إذا كانت تتعارض مع مصلحته !

ويمكن أن نفهم وعيه السياسي من نقده لسياسة عمه عبد الله بن فيصل، التي وصفها بأنها كانت السبب في زوال ملكهم ، عندما قال : من الخطأ المراهنة على الجواد الخاسر وخاصة إذا كنت ضعيفا ويمكن القول أنه لم يدخل معركة خاسرة في حياته ، ولا استطاع العدو أن يجره إلى معركة خاسرة .

ولا يجري وراء أوهام ، ولا يخطئ تقدير قوته ، ولا يحارب طواحين الهواء ، وليس في تاريخه مغامرة طائشة أو استجابة لإغراء غير محسوب العوامل والنتائج . يعرف متى يتحدى ، وكيف يتراجع ، دون السقوط في مخاطرة لمجرد الشعار ، ودون أن يفرط في مبدأ أو حق من حقوقه الأساسية : " لا نتنازل عن شيء من حقوق أجدادنا . أما إذا قال الإنجليز نبغي هذا منك وجاؤوني بأمر محتوم ، فأنا ابن سعود ، أسلم لهم ، ولكن في أول فرصة أسعى لاسترجاع حقوقي المهضومة ." ولكنه أيضا يعرف متى يقول : " لو ملأت بريطانيا البحر بالبوارج من لندن إلى جدة فلن يتغير موقفي" .

ويقول كشك : كان شيخ البحرين يلعب لعبة الحرباية ، لحفظ استقلال الجزيرة ، برفع علم فارس من ناحية البحر ، وعلم تركيا من ناحية البر ، فانتهى بالخضوع لراية بريطانيا وحدها . وشيخ الكويت يفاوض الإنجليز

سرا ، ويقسم للمقيم البريطاني أنه قطع كل صلة بتركيا ويقول للأتراك إنه مازال يرفع الراية التركية فانتهى بأن كبل الكويت بقيود الاستعمار البريطاني ستين عاما . أما ابن سعود فلم يرفع لا راية إنجليزية ولا تركية ، بل راية السعوديين التي لم تتغير خلال ثلاثة قرون لا إله إلا الله .

رفض أن تكون علاقته مع حكومة الهند فهو ليس كشيوخ الخليج ، ورفض أن يسمح بوجود قنصل بريطاني في بلاده . في وقت كان الجيش المصري يشرف عليه السردار البريطاني والسودان له حاكم عام بريطاني ، وجيش العراق تديره بعثة عسكرية بريطانية ، والأردن جهازه الإداري بالكامل في يد البريطانيين وجيشه إنجليزي ، وفي سوريا وفي لبنان جندرمه ضباطها فرنسيون ، والجزائر جزء من فرنسا ، والمغرب وتونس تحت الحماية ، وليبيا قطعة من إيطاليا ، أما عبد العزيز فلم يكن في جيشه بريطاني واحد ، بل كان جنوده يبصقون في اتجاه فيلبي ، ويعتبرون الأوعية التي يشرب منها نجسة .

عبد العزيز هو الذي طبق ممثلي الإمبراطورية البريطانية . أول ممثل جعله يكتب من التقارير ما يحتار المورخ في تفسيره .. حتى ليكاد يقول إنها مدفوعة الأجر من ابن سعود وذلك لتحيزها الصارخ لوجهة النظر السعودية ، وقد تورط شكسبير في انبهاره وتحيزه لابن سعود حتى كاد أن يفقد منصبه ، ثم قتل تحت راية ابن سعود .

والثاني شهد لعبد العزيز بأنه لم يخطئ قط .

والثالث : استقال من خدمة حكومته ، واتهم بأنه متحيز لدرجة العمالة لابن سعود ، وانتهى به المطاف موظفا عنده يجلس بين حاشية الملك وسماره ، ويصرخ فيه الملك : اخرس فيخرس سعادة الصاحب وينسحب فلا يعود لمجلس الملك حتى يأذن له .

واستطاع أن يقنع الإنجليز – بمنطقه العجيب – أن مصلحتهم هي في عدم انضمامه إليهم . قال لشكسبير : نحن متهمون بالدعوة إلى مذهب خامس فقيامي معكم ورفع رايتي المنقوش عليها "لا إله إلا الله " إلى جانب رايتكم أمر غير نافع لي ولا لكم .. والحقيقة هي ما قاله لكوكس رئيس شكسبير : لن يقول الناس عني إنني ثرت على دولة تحمل اسم الخلافة في محنتها . فاضطر شكسبير أن يقاتل هو تحت راية لا إله إلا الله وضد ابن الرشيد في سبيل الإمبراطورية السعودية !!

وقال الشيخ محمد رشيد رضا : وأما معيد هذه النهضة _ أي الدعوة للإسلام على مذهب أهل السنة والجماعة الذي كان عليه السلف الصالح وأئمة الحديث في القرون الثلاثة المفضلة _ ومجدد دولتها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود فهو على شدة تمسكه بالسنة ونصرها واسع الصدر ، عارف بحاجة الأمة العربية والشعوب الإسلامية إلى التعاون والتكافل في هذا العصر ، وقد استولى على بلاد الإحساء التي كانت تحت تصرف الدولة العثمانية ، وفيها كثير من الشيعة ، ولم نسمع أن أحدا منهم شكا منه ، أو من عماله اضطهادا أو ظلما أو محاباة لأهل السنة دونهم، وقد عنى أشد العناية بالتواد والموالاة بينه وبين الإمام يحيى حميد الدين إمام الزيدية ، فارتاح لذلك عقلاء المسلمين وأهل الرأي فيهم من أهل مصر والهند وسوريا وسائر الأقطار.

إسلاميات الملك عبد العزيز (٣٨)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

وكان الملك عبد العزيز معتزا بإسلامه أيما اعتزاز وكان يقول :

أنا مسلم أولاً وعربي ثانيا وأنا أبداً خادم الله .

وفي لقائه مع روزفلت تتجلى عزة المسلم الأبي فإذا به يقول للرئيس الأمريكي : لقد سعدت باستقبالكم الودي ولكن ليس لي أي مطلب أتقدم به وأنتم الذين رغبتم في رؤيتي ولهذا أفترض أن لديكم ما تقولونه لي !

وفي هذا يقول هاري هوبكنز : لا ريب أن الرئيس كان يجهل تماما حقيقة الرجل الذي دعاه لزيارته ! إنه ملك مهيب ذو سلطة كبيرة ، جندي بالفطرة وعربي صميم أولاً ، لقد طلب إليه الرئيس أن يوافق على مجيء مهاجرين جدد من اليهود إلى فلسطين فأصيب بصدمة عندما سمع ابن سعود يجيب : لا ... وأعلن الملك بصراحة أنه سيكون بصفته الدينية والسياسية في طليعة المحاربين إلى جانب إخوانه في فلسطين .

إن قضية الملك عبد العزيز الأولى هي قضية فلسطين وقد بدأت تستأثر باهتمامه أكثر فأكثر منذ سنة ١٩٣٦ م ومن مواقفه الحازمة تجاهها ما جاء في الوثائق البريطانية أن ابن سعود يخطط لمقاطعة بريطانيا وإرسال أسلحة للفلسطينيين إذا لم تصغ إلى مطالبه في فلسطين .

ومن أقواله المأثورة :

لو قلت لكم إن هناك ذرة واحدة في جسدي لا تدعوني إلى قتال اليهود لكنت أكذب ، لو ذهبت كل أملاكي وتوقف نسلي لهما أسهل علي من أن أرى موطئ قدم لليهود في فلسطين . وكان تعليق البعثة البريطانية في جدة على ذلك بأنه غدا أصوليا متشددا.

وقد رفض الملك عبد العزيز رحمه الله إجراء أي اتصالات مع وايزمان وقال : إنه عدو ديني ووطني .

ولما طلب منه روزفلت أن يكون أكثر تساهلا في السماح بهجرة اليهود لفلسطين بدعوى معاناتهم من الألمان رفض طلبه وقال له : أعطوا اليهود وأحفادهم من بيوت الألمان الذين اضطهودهم .

وكان رده على البعثة البريطانية الأمريكية عام ١٩٤٦ م عندما أثارت مسألة اليهود :

اليهود أعدائي أينما كانوا ، وفي كل بقعة دخلوها أدخلوا معهم فسادهم وعملوا ضد مصالحنا .

فوصفته تلك البعثة بالحدة والتهور .

وأعلن في استقباله لبعثة من الضباط الأمريكيين أنه فيما يتعلق بفلسطين فإن أمريكا وبريطانيا أمامهما حرية الاختيار بين عالم عربي هادئ ومسالم، أو دولة يهودية غارقة في الدم .

وقال لهم أيضا :

إن أمريكا إذا اختارت أن تمالئ اليهود الملعونين في القرآن إلى آخر الدنيا فستخسر صداقتها معنا وتندم على ذلك .

ولما لوح تشرشل له بأن بريطانيا أيدته في الأيام الصعبة وتطلب منه أن يساعدها في موضوع فلسطين كان رده رحمه الله إن مايطلبه عمل من أعمال الخيانة لرسول الله ﷺ ولكل المسلمين وأنه لو فعل ذلك لضيع شرفه ودمر روحه وأنه لايوافق على تنازل للصهيونيين فضلا عن أن يقنع به . وعندئذ تراجع تشرشل وانتهز الملك عبد العزيز الفرصة ليطلب منه تقديم تأكيدات بوقف الهجرة اليهودية لفلسطين لكنه رفض أن يعده بشيء .

وعندما بحث مع عزام باشا إنشاء الجامعة العربية طلب الملك عبدالعزيز إنشاء تحالف عسكري بين الدول العربية يحميها بالسلاح إذا دعت الحاجة والحصول على تعهد من أمريكا بالدفاع عن عرب فلسطين ضد الصهيونية وبالسلاح إذا اقتضت الضرورة .

ومن تصريحاته رحمه الله قوله :

كنت ولازلت أضع قضية عرب فلسطين في قلبي ، فأعمل لخيرهم وأرجو الله أن يوفقني لما فيه الحق، وإنني دائم الاتصال بمن في يده الأمر، وما كنت لأرغب في الأقوال ، فطريقتي هي العمل الصامت، وسوف يأتي يوم قريب تنشر فيه الرسائل مع من بيده الحل و الربط .

وإنني أتابع بذل الجهد في هذه القضية لحلها حلا يتفق مع مصلحة العرب، وثقوا أن الحق لابد أن يسود ، وعليكم- أنتم عرب فلسطين- أن تكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

ولست أخدم هذه القضية حبا بفلسطين فحسب ، بل بدافع الإيمان بالدين الحنيف فضلا عن أن قضية فلسطين هي قضية العرب كلهم .

وأعتقد أن واجبي يقضي علي بالمحافظة على ديني وأولادي وشرفي وبلادي ، وعرب فلسطين كأولادي، ويأتي أمر المحافظة عليهم بعد المحافظة على الدين، وإن عرب فلسطين لم يقصروا في بذل الجهد وهم جديرون بالمناصرة .

وفي لقائه مع روزفلت يقول وليام إيدي :

قال روزفلت : ماذا لدى الملك من اقتراح لحلها (أي القضية الفلسطينية)؟ وكان جوابه سريعا مقتضبا : فلتعطهم وذريتهم خير أراضي وخير بيوت الألمان الذين اضطهدوهم .

وقال روزفلت : إنه يعتمد على الكرم العربي وعلى عون الملك في حل المشكلة الصهيونية ولكن الملك أعاد القول : لنجعل العدو الظالم هو الذي يدفع الثمن وهذه هي الطريقة التي يتبعها العرب في حربهم ، على المجرم أن يدفع هو التعويضات وليس على المشاهد البريء ! وما هو الضرر الذي أنزله العرب على يهود أوربا ؟ إن الألمان المسيحيين هم الذين سرقوا بيوتهم وأرواحهم فليدفع الألمان الثمن .

وعاد روزفلت مرة ثانية شاكيا أن الملك لم يعاونه بأية وسيلة في حل مشكلته ولكن الملك وقد فقد بعض صبره لم يفض في شرح وجهة نظره مرة أخرى أكثر من أن قال بنبرة من السخرية في صوته : إن هذا الاهتمام المفرط بالألمان يتعذر على بدوي غير مثقف أن يفهمه ! إذ أن للأصدقاء لديه منزلة لا ينالها الأعداء .

يقول وليام : وبدا أن الملك في حديثه لم يكن يفرق بين روزفلت بصفته الشخصية وروزفلت بصفته الرسمية كرئيس للولايات المتحدة وذلك لأن الحاكم المحب للخير يرى أن رئيس الدولة والدولة هما شيء واحد.
وقال الملك عبد العزيز : شرف لي أن أموت شهيدا في ساحة القتال دفاعا عن فلسطين في معركتها مع اليهود .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٣٩)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

قال ناكانو الياباني : وعن اليهود قال الملك : اليهود كانوا دائما أساس الصراعات التي تدور في أوربا، وهم أساس الصراعات التي تدور الآن ، وفيما يتعلق بإخوتنا في فلسطين سوف نساعدهم بكل ما لدينا ، ولقد أوضحت هذا تماما حين كتبت إلى الرئيس الأمريكي روزفلت ، أرسلت له رسالة خاصة ، وقلت له : إن اليهود سوف يتسببون في إيجاد مشكلات عديدة في جميع أنحاء العالم .

ثم قال الملك لنا مباشرة : وأنا آمل أن تقوموا في اليابان بدعم رأيي هذا.

وشعرت بأنه كان منفعلا وعاطفيا حين كان يتكلم عن اليهود .

وسئل جلالته عن رأيه في القضية الفلسطينية قال:

إنني أتمنى لفلسطين كل خير وسعادة لأنها بلد عربي.. وفيها ثالث الحرمين الشريفين ، وهو المسجد الذي قال الرسول ﷺ " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى ".. ففلسطين من بلاد العرب، والذي يسر العرب يسرني ، والذي يؤلمهم يؤلمني ، ولكن مصيبة العرب في جميع بلدانهم وأقطارهم من أنفسهم ومن تخاذلهم.. والذي أتمناه أن يجمع الله كلمة العرب على الاتفاق بينهم ليسلموا من شرور أنفسهم ، فإذا سلموا من شرور أنفسهم سلمت نيتهم وأمكنهم أن يحفظوا أنفسهم من الأذى.. فالعرب بتخاذلهم آذوا أنفسهم أكثر مما آذاهم الأجنبي .

وقال :

إن مسألة فلسطين هي أهم مايشغل أفكار المسلمين والعرب في هذه الأيام ، وهي المسألة التي يجب أن تكون موضع عناية الجميع ومدار اهتمامهم، ومع أنني لا أحب كثرة الكلام وأفضل على الدعاية العمل الصامت المثمر ، فإنني أقول بصراحة إن السكوت عن قضية فلسطين لا يوافق المصلحة ، وقد سبق لي أن تكلمت مع أركان الحكومة البريطانية كما تحدثت مطولا مع الرئيس روزفلت ، وذكرت بكل صراحة الحيف الذي أصاب إخواننا عرب فلسطين والإعنات والقهر اللذين خضعوا لهما، وطالبت وطلبت من الرئيس الراحل إنصاف عرب فلسطين إن لم يكن بالمساعدات الفعلية فعلى الأقل بالوقوف على الحياد وعدم مساعدة اليهود عليهم، لأنه ما من شك في أن الحركة الصهيونية تجند الأنصار والأتباع بالدعايات الواسعة في كل بلاد العالم ، بينما أن العرب ليس من يعضدهم إلا الله ثم حقوقهم الصريحة في أوطانهم ، وإن الحق والعدل والإنصاف تقضي بعدم إعانة اليهود على العرب ، وأنا لا أخشى اليهود لأن الله سبحانه وتعالى قد ضرب عليهم الذلة والمسكنة إلى يوم القيامة ، فإذا كنا متمسكين بمعتقدنا عاملين بأوامر ديننا بإذن الله لا نخشى اليهود ولا نبالي بهم، لأن الله تعالى معنا، وهو ناصر دينه ومعل كلمته إن شاء الله .

إن الصهيونيين باذلون أقصى ما عندهم من جهود للتأثير على الحكومة البريطانية والرأي العام البريطاني لتبديل السياسة البريطانية بما يوافق منافعهم ومطامعهم، وهم لم يستنكفوا – ولا يستنكفون– عن مقابلة إحسان

الإنجليز الذين أحسنوا إليهم وساعدوهم في فلسطين بالإساءة، فضربوا بذلك المثل الصريح على نكرانهم للجميل ونسيانهم للأيادي البيضاء، وقد أصبحوا يهددون الإنجليز من غير تورع ولا وجل، ولذا فإننا نعتقد أن البريطانيين يدركون الآن تمام الإدراك المخاطر التي تنطوي عليها سياسة مجاراة اليهود في مطامعهم السياسية الواسعة . فإن وجدنا أن العدل والإنصاف قد ضمنا ، وأن حقوق الوطنيين في بلادهم التي لا ينازعهم فيها منازع لا يشاركهم فيها أحد فهذا هو أملنا، وإن كان الأمر غير ذلك فالواجب يقضي علينا ألا نحشم أنفسنا عناء قتال اليهود ، لأننا لا نراهم أهلا لأن يقاتلونا إن شاء الله ولا هم أكفاء لنا، ولكن المسألة- بطبيعة الحال- إنما هي بيننا وبين بريطانيا، والمهم أننا إذا وثقنا بربنا وبما ضمنه لهذا النبي الكريم ولأمته بالنصر عليهم فلا حول ولا قوة إلا بالله أن يظهر ذلك عاجلا أو آجلا...

وإنني أوصي الجميع بالرجوع إلى الله تعالى ، فهو القادر على كل شيء ، وهو الذي بيده كل شيء، ويجب أن نتمسك بديننا وبما جاء به كتاب الله تعالى وشريعة نبينا ﷺ وهذا ما أوصي به نفسي وأوصيكم به، وأسأل الله تعالى أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويعز الإسلام وينصر المسلمين، ويؤيدهم بروح من عنده.. إنه سميع مجيب .

ومن كلامه رحمه الله للجنة التحقيق البريطانية الأمريكية :

ولقد بلغ مني الأمر ، أن تكلمت أمام جمع من المسلمين في مكة المكرمة ونصحتهم بأن يكونوا إلى جانب بريطانيا وحلفائها . تكلمت بهذا في وقت كان يجب به علي أن أكتفي بالدعوة إلى كلمة الله ، والتمسك بكتابه وبشريعة نبيه . والناس جميعًا يعلمون أن برنامجي الذي تسير عليه حكومتي هو برنامج ديني خالص . لا مطمع لي في مال أو زيادة ملك .

وقد وقعت الآن في مشكل أمام شعبي وجماعتي ، وأمام العرب والمسلمين . فإذا كانت بريطانيا تريد أن تعدل عن الحق الواضح ، وأن تذهب مواعيدها أدراج الرياح ، فليس أمامي إلا أن أقول للمسلمين : دونكم ونفسي ، اقتلوني .. أو أنزلوني عن الملك .. لأني مستحق لذلك.. وأنا الذي جنيت عليكم وثبطت عزمكم ..

لماذا تعمل بريطانيا ، بمساعدتها للصهيونية ، على تأليف مجموعة ضدها من كل مسلم يوحد الله في الشرق والغرب : وليس هذا من مصلحتها ؟

وقد كنت ذكرت للرئيس روزفلت عندما اجتمعت به في العام الفائت مطامع اليهود ومقاصدهم . وأشار في أثناء حديثه إلى أنه يرغب بتزويدنا بمكائن وآلات زراعية حتى تنتج بلادنا ثمراتها ، فأجبته : ما دام اليهود في بلادنا ، فلا نريد زراعة ، ونفضل الموت على الزراعة. الموت خير لنا من قبول الهجرة . وكل جهادنا هو لئلا يهاجر اليهود إلى فلسطين ، ولا يمتلكوا أرضها ... إذا أرادت بريطانيا أن تحافظ على صلاتها الحسنة مع العرب فلتوقف الهجرة في الحال ولتمنع بيع الأراضي .

وعندما انعقد مؤتمر هيئة الأمم المتحدة واتخذ قرارا بتقسيم فلسطين كما أوصت به لجنة التحقيق استنكر فيصل بن عبد العزيز رئيس وفد المملكة ذلك وقال : تسجل المملكة العربية السعودية الحقيقية التالية وهي أنها غير مقيدة بهذا القرار وأنها تحتفظ لنفسها بكامل الحق في أن تتصرف حرة مختارة على الطريقة التي تراها مناسبة .

وغضب الملك عبد العزيز وأمر وفده بمغادرة نيويورك واستدعى الوزير المفوض الأمريكي بجدة وأفضى إليه ببعض التصريحات التي أعقبها جمع تبرعات سخية من الشعب السعودي بطريقة رسمية وحولت دفعاتها إلى الجامعة العربية .

وتقدم كثير من أبناء المملكة للتطوع بالنفس للجهاد في سبيل الله وكانت قوات الأمن الإنجليزية تتصدى للمتطوعين السعوديين الذين اجتازوا الحدود وقاموا بأعمال بطولية رائعة فيشتبكون معها في قتال عنيف إلى أن رفع السفير البريطاني مذكرة لوزير الخارجية فيصل بن عبد العزيز تشير إلى تلك التشكيلات العسكرية وتطلب إيقافها فرد ببرقية جوابية ترفض ذلك جاء فيها :

إنه ليس هناك علاج للموقف إلا منع اليهود من إجرامهم .

وعندما حددت بريطانيا ميعاد إنهاء انتدابها على فلسطين دخلت وحدات الجيش النظامية السعودية فلسطين وأبلت في القتال بلاء حسنا وكان ذلك تحت إمرة القيادة العامة للقوات المصرية إلا أن اليهود استطاعوا المطالبة بهدنة عن طريق الأمم المتحدة ووافق عليها الأردن ثم مصر باسم الجميع مما أدى إلى توقف الحرب التي نشبت مرة ثانية وأعقبها هدنة أخرى تبعها كثير من المفاوضات لم تنته حتى وفاته رحمه الله ولم تقر عينه باسترجاع فلسطين .

وقد أمر الملك عبد العزيز رحمه الله بترقية جميع الضباط الذين اشتركوا في حرب فلسطين مع صرف مرتبات ومكافآت لهم على خدماتهم التي أدوها بكل شجاعة وإخلاص وأما الذين استشهدوا فقد أمر بدفع رواتبهم الأصلية إلى عوائلهم بصورة مستمرة على الدوام .

ولم يكن عبد العزيز هو المحامي لقضية فلسطين ولم يأخذ العرب برأيه فيها لا في قتال الفلسطينيين بأنفسهم ولا في إعلان حكومة فلسطين وظل هو معترفا بفلسطين كدولة في حين أنكرها آخرون .

وقد حفظت لنا وثيقة تبين أسلوبه رحمه الله المتميز للوصول إلى غايته المشروعة لنصرة الحق مع اكتفاء أكبر قدر من المفاسد التي قد تترتب على ذلك وهي برقية بعث بها عبد العزيز إلى أمراء المناطق ومن بينهم والد الشيخ عبد الله بن عبد العزيز السديري الذي يمتلك نسخة من هذه البرقية وهي :

لابد عندكم خبر من الجرايد والإذاعات عن مشكلة فلسطين بين اليهود والعرب وقبل يومين أصدر الإنجليز قرارا بأن تكون فلسطين ثلاثة أقسام، قسم لليهود وقسم للعرب وقسم يكون للانتداب . وهذا لا شك قرار مضر بالإسلام والعرب ، عاجلا أو آجلا . ووجود حكومة يهودية في بلاد العرب ضرر ظاهر لا يقبل

السكوت عليه ، وهذا أمر مخل علينا ، فأنت تقوم بالمسألة وتتكلم مع إنسان طالب علم وتصير كأن المسألة منك أنت ، وإن هذا أمر بلغك وأنه مجزعك ، وأنت تبغي تكتب لنا عنه أنت وأهل الجوف . وتروي بالمسألة عالم . وتستلحق عقلاء وكبار أهل الجوف ، وتكلم معهم وتقول لهم بأنكم تكتبون لعبدالعزيز احتجاجا على القرار الذي صدر، وأنه أمر مخل بالدين والعروبة ويطلبون منا أننا نقوم بالمسألة ونعاضد أهل فلسطين ولابد عندكم من يعرف يكتب في مثل هذه المسائل واكتبوا إقرارات الاحتجاج مفتوحة ممضاة بأسماء كبار أهل الجوف وعلمائهم واحرص أنه لا يصير لنا واسطة في المسألة . قف ثم بعد ذلك خلي يصير شهامة وتحمس لأهل فلسطين في البلاد والبرقيات تكون تصلنا بكرة .

وهناك لقاءات وخطابات (دبلوماسية) مسجلة توضح مدى اهتمام الملك عبد العزيز بالقضية مع استخدام الحنكة السياسية والأدب الرفيع مع اختيار الألفاظ التي لا تتعارض مع منهجه السلفي ، والتي ظهر في آخرها شيء من الحدة مع التهديد عندما رأى رحمه الله الصلف ونقض العهود ولكن ليس المجال هنا متسعا لذكرها فلتراجع في مظانها.

وننقل منها هذا المقطع :

أما دخولي في مذاكرات لحل قضية فلسطين بصورة عملية- غير إبداء الرأي والنصائح- فذلك غير ممكن، ولا أستطيع أن أعمل أي عمل إلا بعد استطلاع أفكار ذوي العلاقة الذين في أيديهم الحل والعقد في هذه القضية، وبذلك يمكن توجيه الآراء لحل المشكلات على ضوء هذه الأفكار، فإذا رأى فخامته أن نقوم بمراجعة العرب للاستفسار عن آرائهم فنحن نقوم بذلك إن شاء الله .

وأما ما ذكر فخامته من جهة مقابلتي للدكتور حاييم وايزمن، فأحب أن يعلم فخامة الرئيس بأننا نقابل كل من يأتي إلينا من جميع الأديان بكل ترحاب مع القيام بالواجب لهم حسبما يقتضيه مقامهم من الإكرام، أما اليهود بصفة خاصة فلا يخفى على الرئيس ما بيننا وبينهم من عداوة سابقة ولاحقة، وهي معلومة ومذكورة في كتبنا التي بين أيدينا، ومتأصلة من أول الزمان، فمن هذا يظهر جليا أننا لا نأمن غدر اليهود ولا يمكننا البحث معهم أو الوثوق بوعودهم ...

أما الشخص الذي هو حاييم وايزمن فهذا الشخص بيني وبينه عداوة خاصة، وذلك لما قام به نحو شخصي من جرأة مجرمة بتوجيهه إلي من دون جميع العرب والإسلام تكليفا دنيئا لأكون خائنا لديني وبلادي ؟ الأمر الذي يزيد البغض له ولمن ينتسب إليه، وهذا التكليف قد حدث في أول سنة من الحرب إذ أرسل إلي شخصا أوربيا معروفا يكلفني أن أترك مسألة فلسطين وتأييد حقوق العرب والمسلمين فيها ويسلم إلي عشرين مليون جنيه مقابل ذلك، وأن يكون المبلغ مكفولا من طرف فخامة الرئيس روزفلت نفسه ! فهل من جرأة أو دناءة أكبر من هذه ؟.. وهل من جريمة أكبر من هذه الجريمة يتجرأ عليها هذا الشخص بمثل هذا التكليف، ويجعل فخامة الرئيس كفيلا لمثل هذا العمل الوضيع ؟.

إنني لا أشك بأن فخامة الرئيس روزفلت لا يقبل هذا ، لا في حقي ولا في حقه، فهذه من جملة الأسباب التي أريد أن تعرضوها على فخامة الرئيس حتى يرى إلى أي حد يتجرأ اليهود للوصول إلى غاياتهم الباطلة، وينظر برأيه السديد في هذه الأعمال التي يغني بيانها عن وصفها .

وفي ١٩ ربيع الثاني ١٣٦٥ هـ وجه جلالته مذكرة إلى اللجنة البريطانية- الأمريكية المكلفة بتقصي الحقائق حول القضية الفلسطينية ، ويلاحظ في هذه المذكرة الصراحة التامة التي عرض بها جلالته رأيه والتي تكلم فيها باسم مئات الملايين من العرب والمسلمين دون أدنى محاولة "للمجاملة " أو استخدام الأسلوب " الدبلوماسي " المتبع عادة في مثل هذه الأحوال.

ومما جاء فيها قوله :

أنا صديق لبريطانيا وصديق لأمريكا، وسياستي قائمة على تحسين سياستي مع هاتين الدولتين، بل مع سائر الدول، وقائمة على تحسين السياسة بين العرب وهاتين الدولتين أيضا ، ولا أريد أن تضطرني الأيام، بالرغم عنا وبغير إرادتنا، أن نتعادى مع بريطانيا وأمريكا لدفع هذا الضرر المميت لنا جميعا ، وأحب أن تكونوا على يقين بأنه إذا استمرت هذه السياسة في استمرار الهجرة وبيع الأراضي ومنع العرب من حقوقهم الطبيعية والتي وعدوا بالمحافظة عليها، فإن الحكومتين البريطانية والأميركية لا تستهدفان لنقمة العرب وحدهم فحسب، بل إنهما تستهدفان لنقمة كل من يقول " لا إله إلا الله محمد رسول الله" من عرب وعجم وهند وصين وكل مسلم على وجه الكرة الأرضية في شرق الأرض ومغربها وشمالها وجنوبها، وهذا لا مصلحة لأحد فيه ومنه كل الضرر على المسلمين والعرب وعلى أمريكا وبريطانيا، والصهيونيون لا تهمهم مصلحة بريطانيا ولا أمريكا ولا العرب ولا يهمهم إلا مصلحة أنفسهم، ولو تقوى اليهود في هذا المكان الدقيق وصارت لهم دولة- لا سمح الله- فمن السهل عليهم أن يكونوا في جانب أية قوة تعادي بريطانيا وأمريكا، لأن الذين يقاتلون البريطانيين الذين أحسنوا إليهم وآووهم وقاموا في وجوههم أيام الحرب من السهل أن يقوموا عليهم في أحرج من هذه الأوقات .

ومن مواقفه رحمه الله من سائر القضايا الإسلامية ما يدل عليه كلامه في المذكرة المرسلة للمفوض العراقي :

قال رحمه الله :

الموقف الحاضر ليس موقف أطماع للعراق في ضم سورية وفلسطين إليها، كما أنه ليس هذا هو الوقت الذي يجوز فيه أن نفكر في مثل هذه الأطماع لأنفسنا، ونحن- كما تعلمون- نحب أن نتباعد على الدوام عن مثل هذه الأطماع ، لا ضعفا في عزائمنا ولا جبنا فينا عن تقحم مشاق الأمور لإدراك أسمى الغايات- قد كانت المغامرات بعون الله وتوفيقه هي أسباب انتصاراتنا- وربنا الذي عودنا الجميل من قبل هو الذي نتوكل عليه في سائر الأمور، ولا نبالي بعد ذلك بما قد يكون.

ونرى أن كل هذا في غير وقته ولا محله، وأن الخطر المداهم لا يجيز بأي حال من الأحوال مثل هذا التسابق، فلسطين مهددة بالإبادة من اليهود، وسورية مهددة بخطر الإفرنسيين والأتراك، كما أن العراق مهدد بخطر الترك والعجم .

إن هذا الموقف عندما نتصوره يقض مضاجعنا ويحرمنا لذيذ الكرى، ونحن إذا لم نلتفت للأمر من الآن، ونتفق اتفاقا جديا لاتخاذ خطة مشتركة، نحن والعراق وسورية وفلسطين، فإن الخطر محيق بالجميع .

إن الخطر الذي نتصوره ، نكن آخر من تصيبه مرارته، لأننا وراء الجميع، ولكن ما نحمله في قلوبنا من غيرة إسلامية وعربية، يجعلنا نحرص على البلاد الإسلامية والعربية كما نحرص على بلادنا.

وغير خاف على حكومة العراق، بل على كل عربي عاقل، أن علينا أن نتفق على سياسة حازمة لكبح جماح الشر الحاضر والسير بحزم وجد لإحلال السلام في البلاد العربية وللوصول إلى نتيجة تزيل النزاع الحاضر وتحفظ لسورية وفلسطين حقوقهما.

فإذا وافقت الحكومة العراقية على هذه الخطة فليخبرونا بما يرونه للتقدم في هذا الأمر بشكل يؤمن الغاية المطلوبة.

ولما ذكرت الجرائد أنه أذاع راديو بغداد أن جلالته يوافق على ضم الكويت إلى العراق فقال : كذبوا ما نشرته الجرائد عن موافقتنا على إلحاق الكويت بالعراق فإنا ما وافقنا على هذا ولن نوافق عليه لأن الكويت لأهله .

قال غلام رسول مهر :

وكان سردار كل محمد خان السفير الأفغاني السابق قد قدم للحج هذا العام ... وكان السفير قد التقى بالسلطان المعظم فسأله السلطان عن أحوال محمد نادر شاه غازي وأحوال أفغانستان ثم قال : إنني أرى أن الانضواء مجاهدا مسلما يحارب من أجل الإسلام تحت راية يرفعها نادر شاه غازي مبعث فخر لي .

كما ناقش ابن سعود وروزفلت موضوع استقلال سوريا ولبنان .

كما وقف الملك عبد العزيز بجوار القضية المصرية وكذا القضية السورية آنذاك .

وكان جلالة الملك عبد العزيز يواسيهم – أي السوريين – ويخفف من آلامهم بجميع الوسائل الممكنة كما كان يمدهم بالسلاح في بعض الأحيان ولذلك ليس من الغريب أن يعده الزعماء السوريون واللبنانيون أبا لهم، وما من زعيم عربي إلا ولجلالته يد عليه وهو لا يرى ذلك إلا واجبا عليه أوجبته عليه قيادته ومركزه العربي الخطير .

ولقد عمل الملك عبد العزيز يرحمه الله على نشر الثقافة الإسلامية بين أبناء شعبه كما حرص على نشرها بين أبناء العالم الإسلامي، فقد أمر بطبع الكتب الدينية وتوزيعها على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها مجانا طلبا لمرضاة الله ، فكان ما طبعه من هذه الكتب حوالي مائة ألف كتاب ، وقد طبع الكثير منها بلغات مختلفة كالإنجليزية والهندية والجاوية، كما طبع للقرآن الكريم كتب تفسير باللغة الإنجليزية وتم توزيعها في الهند وإندونيسيا والبلاد الأوروبية بالمجان .

ولقد سن الملك عبد العزيز يرحمه الله سنة حسنة بطباعة الكتب الدينية ونشرها بالمجان فسار على نهجه أبناؤه وكثير من العلماء والمؤلفين ومحبي الخير مما أدى لزيادة الكتب الدينية الموزعة بلا مقابل مما أثرى عملية الدعوة الإسلامية ونشر الثقافة الإسلامية بين أبنائها .

وسوف يأتي الحديث عن تلك الكتب باستفاضة عند حديثنا عن جهوده في الدعوة إلى الله .

بث المعارف في أرض الحجاز وفي نجد نثر لك منها أمــة عجب
والعلم غيث إذا ما انهل ساكبه فالنضر أحسن ماينمو به العشب
هذي حياض علوم الكون مترعة ونحن عطشى وقد أودى بنا القرب

إسلاميات الملك عبد العزيز (٤٢)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

قال تعالى ﴿إنما المؤمنون إخوة ﴾ الحجرات ١٠

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : " لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه".

ومن قناعات الملك عبد العزيز أنه لا أهل له غير العرب والمسلمين ، ولا وطن له إلا وطنهم ، ولا عز إلا بعزهم ولا حرية إلا بحريتهم .

ولم ينشغل الملك عبد العزيز– طيب الله ثراه – عن مشاكل المسلمين وقضاياهم بل كانت شغله الشاغل وهو يقيم هذا الصرح الكبيركما ظلت أسلوبا يميز حكمه . كيف لا ؟ وهو قد أقام دولته على أساس تعاليم الإسلام التي تأمر بالتعاون بين المسلمين، والتراحم بينهم، والسعي لتفريج الكرب عن المكروبين منهم .

ويمكن أن يلحظ المطلع على حياة الملك عبد العزيز تاريخا حافلا بالمواقف المشرفة في المجال الإسلامي والتي تنم عن شخصية مسلمة عرفت واجبها نحو المسلمين ، وقامت به على خير وجه رغم قلة الموارد وقتها. ويمكننا أن نستخلص بعض ما قام به رحمه الله في هذا المجال من خلال النقاط التالية :

بعد أن تمت البيعة للملك عبد العزيز رحمه الله على الحجاز بدأ يعمل على التواصل، وتوثيق عرى المحبة بين المسلمين، فدعا إلى عقد أول مؤتمر إسلامي، ولبى الدعوة تسعة وخمسون عضوا يمثلون جمعية الخلافة الهندية وجمعية العلماء الهندية وجمعية أهل الحديث الهندية وجمعية الخلافة بوادي النيل وجمعية الإرشاد الجاوية وجمعية بيروت ووفود من مصر وجاوا وسوريا والسودان ومن مسلمي روسيا وتركستان والأفغان واليمن وتركيا... وقد اجتمع هذا المؤتمر يوم الاثنين ٢٩ ذو القعدة ١٣٤٤هـ ، وترأس جلسته الأولى الملك عبد العزيز رحمه الله وحث المشاركين على التعاون والتكاتف والاعتصام بحبل الله . ولقد كان لهذا المؤتمر أثره في توطيد دعائم الجهود الموفقة التي قام بها الملك عبد العزيز للقيام بخدمة الحجاج وتوثيق العلاقات بين المسلمين في الأقطار المتعددة وبين الدولة الفتية التي بدأ يرسي دعائمها ويقيم أركانها الملك عبد العزيز رحمه الله ، كما كان المؤتمر فرصة ليتعرف العالم عن قرب على شخصية الملك عبد العزيز، فقد صرح يرحمه الله للجميع عن طموحاته ووسائله لإقامة الدولة الجديدة على أسس من الدين الحنيف، فقد قال في تصريحه لوفد من العلماء الهنود ما نصه :

أعترف أمام الله وأمام كل المسلمين بأني أريد العودة إلى دين الإسلام الصحيح القويم، البعيد عن العقائد الوثنية التي ليست من الإسلام في شيء ، وإن عقائدي هي عقائد أجدادي الأطهار الأتقياء ، عاداتنا هي عاداتهم ، شعائرنا هي شعائرهم، وأننا نعود في كل شيء لأحكام القرآن الكريم والسنة ونحاول أن نعيش كما عاش

الخلفاء الراشدون، وكل ما نطمع فيه أن يتحد العلماء المسلمون فيتحد العالم الإسلامي، نريد أن يكون اتحادنا قويا متينا وأن يخضع العالم الإسلامي خضوعا تاما لأحكام القرآن والسنة .

ولقد حرص الملك عبد العزيز في كل مناسبة من المناسبات أن يبين أن الأخوة في الإسلام تسمو فوق كل الروابط مهما تباعدت الديار أو اختلفت الأوطان ، كما حرص يرحمه الله على التصدي لمشكلات العالم الإسلامي، وإيجاد الحلول لها وجعل من توحيد كلمة المسلمين سبيلا لحل مشكلاتهم وعبر عن ذلك حين قال :

أنا مسلم وأحب جمع كلمة الإسلام والمسلمين وليس أحب عندي من أن تجتمع كلمة المسلمين ولو على يد عبد حبشي ، وإنني لا أتأخر عن تقديم نفسي وأسرتي في سبيل ذلك .

وقال :

فإذا فهمنا ذلك وعلمنا أن الخير بحذافيره فيما أمرنا الله وجبت علينا طاعته، وطاعته كما قلت هي الاعتصام بحبل الله، وذلك باجتماع المسلمين وتعاضدهم وتكاتفهم بأن يكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، ولكننا أضعنا أوقاتنا في شقشقة بدون فائدة، لقد تراشقنا بالكلام فتنابذنا فكانت الفرقة هذه وكان الهوان، ولو تركنا هذه الأمور التي لا طائل تحتها لكانت رحمة ربي علينا عظيمة.

يجب أن نعبد الله ونطيعه كي يوفقنا، فعلى كل إنسان أن يحاسب نفسه فيتجنب المعاصي والمنكرات ويتبع أوامر الله عز وجل.. هناك أحزاب تتطاحن.. على أي شيء ؟.. لا أدري.. لقد أدخل الشيطان وساوسه في عقولنا فتركنا حبل الله المتين فتفرقنا أيدي سبأ.

وقال : يا إخوان... يجب علينا أن نحترم أنفسنا ونتكاتف ونتعاضد، فإذا نحن سرنا على هذه الطريق وفقنا الله سبحانه وتعالى واحترمنا العدو قبل الصديق.. يجب أن نداوي أنفسنا بطاعة الله سبحانه وتعالى.. فطاعته مصدر كل عز وخير لنا..

وقال : والذي نشهد الله عليه ونحن أوسطكم في الإسلام وأوسطكم في العروبة أننا ما ننام ليلة إلا وأمر جميع المسلمين يهمنا، يهمنا أمر إخواننا السوريين، وأمر إخواننا الفلسطينيين، وأمر إخواننا العراقيين، وإخواننا المصريين، تهمنا حالتهم ويهمنا أمرهم، ويزعجنا كل أمر يدخل عليهم من ذل أو خذلان، إننا نرى أنهم منا ونحن منهم ، كما تهمنا جميع بلاد المسلمين، وإننا نرجو الله أن يوقظ المسلمين من غفلتهم ليتعاضدوا ويتعاونوا .

يجب على كل مسلم أن يأمر بالتآخي والتآزر لتكون كلمة الله هي العليا، وأن نكون مصداقا لقوله ﷺ : "المؤمن للمؤمن كالبنيان"... فالغفلة غير طيبة، وإني أخاطب إخواننا في مصر والعراق وسوريا وفلسطين فنقول لهم إن المصلحة واحدة والنفوس واحدة...

وقال الشيخ محمد رشيد رضا عن هذا المؤتمر :

ثم ألف فيه (أي في الحجاز) المؤتمر الإسلامي العام ، وقد كان هذا المؤتمر أهم مقاصد جمعيتنا هذه، فلم نحتج إلى استيكاف الأكف لجمع المال له، ولا لدعوة رجال الخافقين إليه، فقد أنفق هو بسخائه وجوده الواسع على إنشاء المؤتمر وضيافة رجاله، هم ومن كان مع بعضهم من أهل وخدم منذ وصلوا إلى الحجاز إلى أن خرجوا منه ما لم يكن تيسر لنا جمع بعضه من العالم الإسلامي إلا في عدة سنين .

وقال الشيخ محمد رشيد رضا :

كيف لا أنصر ابن السعود وأناضل خصومه من المبتدعين والخرافيين وقد فعل كل هذا، ويرجى أن يفعل ما هو أتم منه وأكمل ؟ وهو ما أفنيت شبابي وكهولتي في الدعوة إليه، فإنني أدعو إلى مؤتمر إسلامي يعقد في مكة من زهاء ثلاثين سنة، وهو من وسائل الإصلاح الذي أدعو إليه من التوحيد وإقامة السنن، وتقويض هياكل الوثنية والبدع، وتجديد إصلاح الإسلام ومجد العرب، وقد أيقنا بطول الاختبار، وبما ورد في دلائل النبوة من الأخبار، أن هذا الإصلاح والتجديد لا يأتي إلا من الحجاز، وإن كل ما قمنا به من الدعوة إليهما لم يكن إلا تمهيدا لتأييد العالم الإسلامي لهما، فقد صح في الحديث : "أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، وأنه يأرز إلى الحجاز" وفي رواية في الصحيحين "إلى المدينة، كما تأرز الحية إلى جحرها " " وأنه يعقل بين المسجدين معقل الوعول من رؤوس الجبال" .

وقال محمد العدوي ضمن كلام له :

..... ذلك المؤتمر الإسلامي الذي دعا إلى عقده بمكة المكرمة المصلح الكبير ملك الحجاز عبد العزيز آل سعود لينظر فيما تطلبه الحجاز من إصلاح وما يحتاج إليه من مساعدة . وقد وفق الله شعوب المسلمين لإجابة دعوته فأرسلوا من الوفود من يمثلهم ونظر المؤتمر في أمور مهمة وله قرارات ذات شأن خطير ، ونرجو أن يكون فاتحة خير للحجاج خاصة ولشعوب المسلمين عامة .

ومن كلام الملك عبد العزيز رحمه الله :

نحن جنود لخدمة الوطن العربي في كل بقعة من بقاعه ، نشأنا على هذا وسنظل على ذلك حتى ينال العرب استقلالهم جميعا . أنا لا يهمني ترف الحياة ، فطالما تركت الغذاء أياما ، وأنا أجاهد والآن لا أزال مستعدا أن آكل يوما وأجوع يوما لتعيش بلاد العرب جميعا .

ولما زار الملك عبد العزيز مصر كان من كلامه قوله :

ليس البيان بمسعف في وصف ما لاقيت ولكن اعتزازي أني كنت أشعر بأن جيش مصر العربي هو جيشكم وجيشكم هو جيش مصر وحضارة مصر هي حضارتكم وحضارتكم هي حضارة مصر والجيشان والحضارتان جند للعرب .

وقال الزركلي : لم تقم حركة وطنية في بلد عربي إلا شد أزرها .

وقال المصمودي وهو من كبار أعوان بورقيبة أيام رفعهم راية الجهاد :

إن كل من قابلناه من الزعماء كان يفت عضدنا ويخذلنا تخذيلا إلا الملك عبد العزيز رحمه الله فقد شجعنا وأمدنا بآرائه وتجاربه ودهائه في السياسة والحرب ودفع لزعيمنا المجاهد الأكبر الحبيب بورقيبة عشرة آلاف جنيه ذهبي للحركة الثورية التونسية التي حمل لواءها الرئيس بورقيبة .

قال أحمد عبد الغفور عطار :

قال لي بورقيبة نفسه عندما دعاني إلى بيته المتواضع سنة ١٣٨١هـ :

جئت إلى عبد العزيز مشردا منفيا فوجدت لديه ما لم أجد لدى أحد؛ أخوة صادقة وفضل وكرم وعون جميل وتشجيع يفوق الوصف وجدني مشردا فآواني ونصرني وأضافني وأشعل ضرام الأمل والعزيمة في نفسي بما لقيت منه من العون المادي والأدبي.

أما حركة الإسلام في كل أقطار الدنيا فالفضل فيها لله ثم لعبد العزيز كان يمدها بماله ورأيه حتى نجحت كل الحركات الإسلامية في آسيا وأفريقية بل أعان حركة الإسلام في أوربا وأمريكا حتى نجحت هي أيضا .

وله يد كريمة وقوية في استقلال كل بلد عربي فوقف في وجه الظهير البربري في المغرب كما وقف في وجه الإيطاليين عندما بلغت بهم الوحشية إلى قذف المجاهد عمر المختار من الطائرة .

ولقد تألم أشد الألم يوم هجم السفير البريطاني على قصر عابدين واعتبر هذا العمل حماقة كبرى من بريطانيا فهي إهانة لمصر في شخص مليكها وكان من مساعيه غير الظاهرة أن نقل السفير البريطاني من مصر .

وأقنع تشرشل بأن ما عمل مع ملك مصر إهانة لشعبها مما جعله يعتذر للملك فاروق في دخولهم القصر.

وقال :

أتعرفون مادمر الدين وأكثر الفتن بين المسلمين ؟ لم يكن ذلك إلا من اختلاف المسلمين وعدم اتفاق كلمتهم.. وإذا أعدنا النظر إلى أيام الإسلام الأولى وما افتتحوا من أقطار وما كسروا من أصنام وما نالوا من خير عميم .. نجد هذا كله ما حصل إلا باجتماع الكلمة على الدين والإخلاص في العمل والخلوص في النية.

وقال الفيصل في تصريح له باسم حكومة أبيه :

منذ بضع سنين قام نفر من إخواننا يطالبون باستقلال العرب وينادون بوجوب اتحاد أمراء العرب فشكرنا سعيهم وحمدنا عملهم، وسألنا الله أن يحسن قصدهم، وبرشدهم إلى خير العرب. عرضنا عليهم مساعدتنا على أن نضع حدا لمطامع الأجانب ومقدار مداخلتهم في بلاد العرب فأبوا إلا أن ينفردوا بهذا العمل الخطير، ويأخذوا على عاتقهم مسئوليته ويجوزوا هم وحدهم فخر تحرير بلاد العرب، فقلنا أنجح الله استقلال العرب، أيا كان المحرر والمنقذ، ولكن ما كاد السيف يوضع في غمده حتى رأينا الاستقلال والتحرير وصاية وانتدابا، وحتى رأينا شباب العرب وأحرارهم يقادون إلى السجون ويجلون عن بلادهم، ويمنعون من الإقامة في ديارهم. فهل الاستقلال أن يصبح العرب غرباء في بلادهم، ومرافق الحياة في يد غيرهم؟ ولولا أن الحجاز يمس شعور المسلمين احتلالة لرأينا الانتداب قد ضرب عليه .

ظننا أن القوم بعد هذه الكوارث يفيقون من نومهم، ويثوبون إلى رشدهم، فيعتصمون بحبل الله المتين، ويستعينون بإخوانهم لإنقاذ البلاد العربية وتحريرها من كل مغتصب، ولكن القوم ما زالوا في طغيانهم يعمهون ما حرك شعورهم احتلال بلاد العرب، وما آلم نفوسهم ما يعانيه إخوانهم العرب، ولكن استولى عليهم الهلع،

وفقدوا الراحة حينما رأوا جارتهم نجد قوية مستقلة، لم تنفذ إليها مطامع المستعمرين، فقاموا يناوئونها، ويكدرون صفو راحتها، فهل هذا هو التحرير؟ وهل تعد هذه الأعمال من وسائل الاستقلال؟

ويقول الفيصل في تصريحه باسم حكومة أبيه :

إن نجدا قد حافظت على استقلالها في جاهليتها وإسلامها، ولم يدنس أرضها قدم أجنبي مغتصب ، وستبقى محافظة على حقها إن شاء الله ما بقي في شعبها عرق ينبض .

إن نجدا تمد يدها لكل من يريد خير العرب، ويسعى لاستقلال العرب، وتساعد كل من ينهض لتحرير العرب ، واتحاد العرب.

إن نجدا ترحب بكل عربي أبي ، وتعد أرضها وطنا لكل عربي سوري، أو عراقي، أو حجازي ، أو مصري. إن نجدا لا تطمع في امتلاك أرض خارجة عن حدودها الطبيعية، ولكنها لا تقبل إلا أن تستقل بلاد العرب كلها استقلالا صحيحا، لا يكون لغير أبنائها سلطان عليها .

ثم تكلم عن الخلافة فقال :

ليست الخلافة من الوظائف الروحية التي يقصد بها مجرد التبرك، ولكنها وظيفة سامية ، لجميع المسلمين حق النظر فيها، فليس لجماعة أو شعب حق البت فيها بدون أخذ رأي باقي الشعوب الأخرى ... إن أهل نجد يوافقون إخوانهم أهل مصر والهند في وجوب عرض هذه المسألة على مؤتمر يمثل الشعوب الإسلامية تمثيلا صحيحا ، وهنالك يسند هذا المنصب إلى الكفء الذي يستطيع أن يصون حقوق المسلمين ويبعث فيهم روح الحياة والنشاط ويربطهم برباط الأخوة الذي كاد ينحل ...

ولما سئل الملك عبد العزيز عن أثر ردود فعل المسلمين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي في نفسه بعد فشل المحاولة اليمنية لاغتياله قال :

لقد رأيت من شعور العالم الإسلامي أجمع من سائر أجناسه ما أثلج صدري وأشعرني باتحاد المسلمين واتفاقهم.. وإن هذا الأمر أهمهم كثيرا.. وظهر منهم من الاهتمام به أكثر مما كنا نتصور ونظن.. والمصريون بصورة خاصة إخواننا وقد عودونا أن نلقى منهم في كل فرصة ومناسبة ما تنشرح له صدورنا من الألفة والمحبة بيننا وبينهم لأنه لا يوجد بيننا وبينهم ما يدعو إلى خلاف أو شقاق.. والعراق منا ونحن منه..والذي يؤلم العراق يؤلمني والذي يسره يسرني.. فالعنصر واحد.. والأمة واحدة..وما يريد أحد بالعراق شرا إلا وهو يريد بي مثله .

وقد سعى الملك عبد العزيز لإنشاء الجامعة العربية فكانت من حسناته العظيمة ومن أقواله في الحث عليها :

ونحمد الله على أن المسلمين نشأت فيهم روح طيبة، وهي روح تبشر بزيادة الخير للمسلمين، لأنه ما بينهم تخالف ولا تنافر ولا تخاذل .

والاتحاد العربي، أو الاتفاق العربي، الذي يتكلم فيه الناس روح طيبة وعمل طيب وأقل مراتبه أنه يجمع الكلمة، ولا بد أن إخواننا الذين تكلموا معي من المصريين أو السوريين عرفوا ما قلت من أنه يجب علينا- نحن

المسلمين- أن نتخذ لنا جامعة من عقلائنا الذين ليست لهم مطامع ، حتى تلتئم الأحوال، وهذا هو رأيي من الأول وبيناه في الاجتماع الأخير .

ويذكر العقاد أن حديثا دار في مجلس الملك عبد العزيز وهم متجهون من جدة إلى السويس على يخت المحروسة وكان الحديث عن الجامعة العربية فقال الملك : إنها منار لنا ، لأنها تصدر في أعمالها عن بحوث مشتركة بين ذوي الرأي و البصيرة ، يرون في جملتهم مالا يراه أهل كل بلد على انفراد . وإنها دريئة للدول العربية ، لأن حجة الدولة التي تحتج بقرار الجامعة قائمة ، وعذرها فيما ترضاه أو تأباه مقبول .

قال العقاد : وشفع جلالته هذا البيان بمثل بليغ كعادته في توضيح آرائه بالمواعظ والأمثال ، فقال :

كان في مملكة من الممالك منار مغناطيس ، يكشف البحار من حولها ، وينتزع الحديد من السفن التي تغير عليها ، فلا يقدر أحد على فتحها، واشتدت شوكة هذه المملكة ، فحسدها جيرانها وأخذوا في تدبير المكايد لهدم منارها فدسوا عليها جاسوسا من جواسيسهم يتزيا بزي النساك الصالحين ثم تركوه يقيم فيها ردحا من الزمن حتى يستجمع الثقة والمودة من أبنائها ، وطفق هذا الجاسوس يصنع لهم الكرامات ويدلهم على مخابئ الكنوز ويمخرق عليهم بالعجائب حتى أنسوا به واطمأنوا إليه . فلما عرف مكانته عندهم ، جاءهم في بعض الأيام برؤيا يزعم أنه رآها ، ويزعم لهم أنه يخاف عقباها . وسألوه عما يخافه، فأحجم ثم أحجم وهو يغريهم بالإلحاح عليه كلما اصطنع لهم الإحجام وتردد في الجواب .. فلما شوقهم غاية التشويق إلى استطلاع الخبر قال لهم : إني مطلعكم عليه والعهدة عليكم ، وإن تحت هذا المنار كنزا من الذهب والجوهر يغنيكم عما في الأرض وما رحبت من النفائس والخيرات ، ولا تنالونه إلا بهدم المنار ، ولكن حذار حذار من الإقدام على هدم المنار .

وكان الرجل كاذبا في نية التحذير صادقا في نية الإغراء ، فما هو إلا أن سمعوا منه إغراءه بالنفائس والخيرات حتى دكوا المنار دكا ، فعرفوا غفلتهم واستبيحت حوزتهم ، وفقدوا الدريئة وفقدوا النور ، فتمكن منهم من كان يتقيهم من الجيران والأعداء .

قال جلالته : وكل عربي يمس هذا المنار طمعا في المال والحطام ، إنما يصيب قومه بمثل ما أصاب أولئك الغافلين .

وعندما أرسلت حكومة مصر بعثه طبية للحجاز بدون تأشيرة من وكالة الحجاز في مصر لأن حكومة مصر لم تكن اعترفت بحكومة الحجاز فأقامت البعثة في باخرتها ليلتين حتى رفع الأمر للملك فقال : المصريون إخواننا فلا تعملوا ما يكدر خواطرهم . ودخلت البعثة .

وفي العلاقات المصرية بينه وبين فؤاد يقول حافظ وهبة :

وأشهد هنا وأنا أدون هذه الصفحات للتاريخ وكلا الرجلين قد لقي ربه أن الملك عبد العزيز قد بلغ أقصى ما يمكن من الجهودات لإزالة كل أثر من سوء التفاهم إن كان هناك سوء تفاهم ولكن جميع المجهودات باءت

بالخيبة . لقد أرسل الملك عبد العزيز عدة كتب إلى الملك فؤاد في ظروف مختلفة ولكن الملك فؤاد لم يجب عن أي كتاب من هذه الكتب.

ومن الأدلة العملية على اهتمام الملك عبد العزيز بالأقليات المسلمة استقباله لوفد إسلامي بولندي عام ١٣٤٩ هـ ، ١٩٣٠ م برفقة سماحة المفتي الدكتور سينكيافتش والكونت راشنسكي وذلك قبل الإعلان الرسمي عن توحيد المملكة ليتباحث معهم في همومهم وليناقش احتياجاتهم بالرغم من قلة الإمكانيات ، وضآلة الموارد في ذلك الوقت ، فلم تشغله الهموم الداخلية للدولة الناشئة عن الاهتمام بالإسلام والمسلمين .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٤٥)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

قال تعالى ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ الحجرات ١٣

وقال ﴿ فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ﴾ المؤمنون ١٠١

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ''لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخراء بأنفه إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء إنما هو مؤمن تقي وفاجر شقي الناس كلهم بنو آدم وآدم خلق من تراب ''

وعن أبي نضرة قال : حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق فقال : ''يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى أبلغت ؟ '' قالوا : بلغ رسول الله ﷺ ....

وفي خطاب الملك عبد العزيز في الحفل الذي أقامته أمانة العاصمة المقدسة له في غرة ذي الحجة سنة ١٣٤٨ هـ قال :

وقد جعل الله الفخار لأي كان بالتقوى لا بغيرها ، فلم يكن في الإسلام تفاضل بين العربي وغير العربي إلا بها، وفخار العرب وعزهم بالإسلام وبمحمد ﷺ .. والكريم عند الله هو التقي الورع ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾، وقد أنزل الله على رسوله محمد ﷺ خير الكتب، فأمرنا بهذا الكتاب المبين وبرسوله ﷺ ، وهذا خير فخار لنا.

وقال رحمه الله :

أنتم تعرفون أن هناك قبيلا من البشر يسمونهم العرب .. ولوكان لأحد أن يفتخر بهم لوجب أن أفتخر أنا بهم.. وكانوا في ظلمات الجهل والضلالة ولكن الله من عليهم بنعمته وبرسالة محمد ﷺ.. وليس من شك في أن أفضل قبيلة في الدنيا هي القبيلة التي بعث منها محمد ﷺ وأفضل بقعة هي البقعة التي بعث منها ﷺ فالشرف العظيم لا ينال بالانتساب إلى الآباء وإنما ينال بالتقوى ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.. والشرف يكون بأمرين : بالدين ثم بالصدق في الأقوال والأفعال.. وأفضل شيء يقام هو تنفيذ أوامر الله تعالى في هذه البقعة المباركة التي أنزل بها الوحي وبعث بها محمد ﷺ ، وهي مسقط رأسه ومدفنه.

وقال :

انظروا إلى نعم الله.. هل فاضل في أحكامه بين غني وفقير؟.. فأوجب على الثاني الصلاة- مثلا- وترك الأول؟.. وهل أباح للأول ما حرمه على الثاني من المسكرات مثلا؟.. لا.. لا تفاضل إلا بالتقوى ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.. لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى.. كلكم لآدم وآدم من تراب..

وقال :

لا نفضل أحدا على أحد، ولا كبيرا على صغير ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، وهل يقبل العقل أن هناك من هو أفضل من محمد ﷺ ، وأن هناك قبيلة أعز من قبيلة محمد ﷺ وهي قريش .. ولكن النسب لا يغني عن الإنسان شيئا .

وقد أعز الله الإسلام بسلمان الفارسي وبلال ، وأذل الشرك بأبي جهل وأبي لهب، ولم تنفع هؤلاء قرابتهم من رسول الله ﷺ ولا عمومتهم وذهبوا إلى النار، وهذا فخر للإسلام لأنه لا يبالي بالأحساب والأنساب، وليس معنى هذا أن يترك الإنسان نسبه بل يجب عليه أن يعرفه ولا يفتخر به بل يفتخر بطاعة الله وبالإسلام الذي ينتسب إليه.

ويقول رحمه الله :

وهل الحرية إلا أن تكون حرا في نفسك ؟.. وهل الإسلام ملك أحدا أو استعبد أحدا ؟.. وهل سمعتم أبلغ من قصة النبي ﷺ يوم اشترى فرسه فجاء أعرابي وقال له : إنني اشتريتها قبلك.. فقال ﷺ : من يشهد لي؟ فقال واحد من العرب : أنا أشهد لك.. فقال له: وكيف تشهد لي وأنت لم تكن حاضرا ؟.. قال: وكيف لا أشهد لك وأنا أشهد لك وأصدقك وأطيعك وأصدق فيك خبر السماء ولا أصدقك؟.. فليتأمل الإنسان فضل الرسول ﷺ وتواضعه وحرية الأعرابي معه.. هل سمعتم أن ملكا من الملوك يفعل هذا مع رعاياه ؟.. فما أجل هذه الحرية التي تسوي بين الكبير والصغير .

ولقد كان للمنافقين دور كبير في إشاعة الشائعات عن الملك عبد العزيز ودعوته السلفية وأكثروا من الإرجاف حوله وهم مع الأسف من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ولكن يأبى الله إلا أن يعز من نصره ويخذل من عاداه.

ومن كلام الملك عبد العزيز رحمه الله عن طائفة من هؤلاء الذين عانى منهم يقول : سكتنا من قبل ومن بعد لأننا كنا في ريبة من أمر الناس ، وأريد "بالناس " أكثر الذين يدعون الإسلام، وهؤلاء هم الذين أخشى شرهم وأراقبهم قبل غيرهم .....إنهم إذا أرادوا التكلم عن نصراني تأدبوا وأحسنوا الرد ، ولكن إذا تكلموا عن المسلمين رموهم بالبهتان كأنهم أعداء لهم.. يقولون " ابن سعود قال كذا ".. و " فعل كذا!.. وكله زور... زور.. لماذا كل هذا؟.. هنا رجال نقموا منا لما أعطانا الله إياه، فسول لهم الشيطان من الوسواس الشيء الكثير، ولم أر أحدا من أولئك دافع عني ولا مدافعة واحدة، بعضهم منعوا عن الحرمين الصدقات والأوقاف وأخذوا يمنعون الناس عن حج بيت الله.. كله لأجل ابن سعود.. فما هو العمل الذي عمله ابن سعود؟.. هل نصب ابن سعود صنما يعبده من دون الله؟.. هل أباح الخمور؟.. هل أباح الزنا والفجور؟.. هل ترك ابن سعود الأشرار يفسدون في الأرض؟.. أم ماذا صنع ابن سعود مما ينكره الشرع وتأباه المروءة العربية؟.. إني والله أخاف الأجنبي مرة واحدة، وأخاف الذين يدعون الإسلام ثلاثة آلاف مرة.. وأرجو أن يعذرني المسلمون في قولي هذا.. وإني والله صادق فيما أقوله وما تكلمت به..

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته : ''القط لي حصى'' فلقطت له سبع حصيات هن حصى الخذف فجعل ينفضهن في كفه ويقول : ''أمثال هؤلاء فارموا '' ثم قال :'' يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين ، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين''.

واعترض بعض المحافظين المتشددين وأنكروا على جلالته استماعه للراديو واستعانته باللاسلكي والهاتف لأنهم يظنون أن بها شياطين تنقل الحديث فسألهم جلالته يومذاك : هل الشيطان يطيق كلام الله ؟ فأجابوا بالنفي . قال : اسمعوا ... فإذا المذياع يذاع منه القرآن الكريم بصوت عذب رخيم تعد حروفه وأمر أحد أتباعه بأن يسمع المعترضين في الهاتف بعض آي الذكر الحكيم فدهشوا وأيقنوا أنه لا شيطان ولا سحر .

وقال رحمه الله :

أيها الإخوان إن أهل العلم في مكان الرعاية منا وهم على رؤوسنا ولكن حذار أن يهزونا بالغضب فيسقطوا من مكانهم هذا إلى الأرض ومن سقط إلى الأرض فلن يعود إلى مكانه فوق الرؤوس .

ومكث رحمه الله يجاهد ويجالد في سبيل التلفون والتلغراف واللاسلكي عشر سنوات وقد ذكر الشيخ حافظ وهبة قصة في التلغراف مع أحد المشايخ كان يظن أنه يذبح للجن ذبائح حتى تعمل .

وقد قامت بسبب ذلك التطرف حرب فكرية وعسكرية بين الملك عبدالعزيز رحمه الله وبين أنصاف المتعلمين والجهلة من الإخوان .

يقول فلبي :

إن أول سيارة دخلت الحوطة (حوطة بني تميم) قد أحرقت علنا، في السوق العام ، وكاد سائقها يلقى مصيرها أيضا ! وما حدث للسيارة ، حدث للتلغراف، وللهاتف وللدراجة النارية . على أن هناك ما لا ينبغي إغفاله ، وهو أن الملك عبد العزيز كان يعلم أن المرء عدو ما جهل ويعلم أن أكثر من عارضوه في استخدام الآلات الحديثة إنما كانوا يصدرون عن نية حسنة ، ويعلم أن هؤلاء ذوي النيات الحسنة خاصة ، لم تكن معارضتهم لرغبة في الشغب أو لعرقلة تقدمه الاجتماعي والنظامي بالدولة ، بل يعارضون لأن الواجب دينا ، ولأن من مقتضيات الإخلاص للإمام ، أن ينصحوه فيما يعن لهم أنه انحرف فيه عن نهج السداد .

ولا شك في أنه بعد أن رسخت دعائم الدولة، كان من اليسير عليه أن يقابل المتدخلين منهم فيما لا يعنيهم بالإعراض ، ويتابع سيره فيما يعتقد صلاحه لبلاده ، ويأخذ متشدديهم بالزجر . ولكن عبد العزيز الحكيم المتأني الحريص على أن تلتف قلوب الناس حوله قبل جسومهم،كان يكبر . في دخيلة نفسه _ جرأتهم ويجل صراحتهم ، ويطيل التفكير في حل عقدهم النفسية ، ويلتمس العذر لمن عادى ما يجهل منهم ، ويقدم الإقناع على الإسراع . فعمد إلى شتى الوسائل لإزالة ما علق في أذهان فريق منهم من أن الآلات الحديثة ضرب من السحر أو عبث من الشيطان فلما أدركت كثرتهم بطلان ذلك مضى في سبيله يبنى ويجدد ويصلح .

ويتحدث كشك عن غلو بعض الإخوان في المخترعات ونحوها فيبررها نوعا ما فيقول :

هي وجود دافع وطني ، هو الرغبة في الاحتماء خلف أسوار التخلف خوفا من أن تسهل هذه المخترعات للأجنبي ــ وهي فعلا تسهل ــ غزو بلادهم ، فالأجنبي هو مخترعها ومالكها ومستخدمها ضدهم ولذلك فهم ضد هذه المخترعات لأنها تأتي بالعدو ، ولأنها أيضا تأتي في شكل امتيازات وإدارات أجنبية ، وكل المنطقة فقدت استقلالها ، وكانت البداية امتيازا حصل عليه خواجا مثل فيلبي وحتى اليوم ، مازلنا نتخوف عن حق ، من عقد صفقة سلاح مع دولة كبرى .

ويسوق التويجري رسالة من جمع من العلماء إلى كافة الإخوان من أهل الهجر تنهاهم عن الغلو في بعض الأمور التي ليست من الدين في شيء ثم يعلق عليها قائلا :

من هذه الرسالة يرى القارئ ما وصلت إليه الأمور من ظاهرة التحليل والتحريم في كل شيء : الأكل ، اللباس ، سكنى الصحراء ، الذبائح إلى غير ذلك ، لقد شمل الخلاف كل شيء بأسباب من يدعون العلم من طلبة الحضر وهم جهال كما قال العلماء الكبار .

وما هذه التساؤلات التي أخذ الملك رأي العلماء فيها ، إلا من أجل أن يأخذ فتوى شرعية تعمم على كل المتشددين ومن يحرمون ويحللون دون أمر شرعي يستندون إليه ، لأن ظاهرة التحليل والتحريم في ذلك الوقت خلقت متاعب للناس وللملك عبد العزيز لذلك فإنه سيتكئ على هذه الفتوى ويعتمد عليها في مؤاخذة من لا يرتدع ويقبل بها .

ثم نقل رسالة أخرى من جماعة من العلماء إلى بعض العلماء الآخرين يخبرونهم بالمخالفات التي وقع فيها الغلاة جاء فيها :

ومن فضل الله قام الإمام والعلماء بالنصيحة لهم والشفقة عليهم حتى تبين لهم الحق وتبعوه وإن بقي شيء فهو قليل من جاهل أو صاحب هوى إلا أهل الأرطاوية تبين بعضهم وجاهر بعدم قبول النصيحة حتى آل الأمر إلى طلب الاستبداد والخروج عن الطاعة ولا قبلوا النصائح التي تجيئهم من العالم الذي عندهم ، وصار يظهر عندهم أمور تردها الفطرة ويقشعر منها الجلد .

ثم قام كبار العلماء بتوجيه رسالة للملك عبد العزيز للحد من تصرفات الغلاة وخروجهم عن طاعة الإمام بحجة الجهاد في سبيل الله جاء فيها :

فالواجب عليك حفظ ثغر الإسلام عن التلاعب به وأنه لا يغزو أحد من أهل الهجر إلا بإذن منك وأمر منك ولو راعي مطية وتسد الباب عنهم جملة لئلا يتمادوا في الأمر ويقع بسبب تماديهم وتغافلكم خلل كبير وذكرنا هذا قياما بالواجب من النصيحة لك وخروجا من كتمان العلم .

وقد أفاض في مسألة الإخوان وتحليلها أكثر من واحد ومنهم التويجري في كتابه "لسراة الليل هتف الصباح" وكشك في كتابه "السعوديون والحل الإسلامي" وقد عقد كل منهما لها فصلا مستقلا .

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

ومن أساليب الملك عبد العزيز رحمه الله في معالجة ذلك التيار – أعني تيار الغلو والتطرف – ما تضمنه هذا البيان الذي أعلنه ونقتطف منه ما يلي : قال رحمه الله : إن أصل الدين كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ وما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان فهم السلف الصالح ثم الأئمة الأربعة من بعدهم أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل ﷺ وعن سلف الأمة من الصحابة ومن تبعهم إلى يوم الدين فإن هؤلاء الأئمة المقتدى بهم عند جميع المسلمين من أهل الكتاب والسنة فإنه لا خلاف بينهم في أصل الدين من توحيد الله تعالى في ربوبيته وفي ألوهيته وأسمائه وصفاته وهذا والحمد لله ثابت في كتبهم الموجودة بين أيديكم وإن حصل بينهم اختلاف في الفروع فما ذاك إلا من شدة حرصهم وتمسكهم بكتاب ربهم وما صح عن نبيهم ﷺ واستخراج معانيها كل منهم على قدر ما آتاه الله من العلم والفهم في دينه وكلهم إن شاء الله تعالى على حق ومن سلك طريقهم وحذا حذوهم إلى يوم القيامة فهذا الذي ندين الله به وهو اعتقادنا نحن واعتقاد مشايخنا وأسلافنا وهو الصراط المستقيم والميزان العدل فمن استقام عليه فهو المتبع المهتدي ومن حاد عنه وهو جاهل فيجب عليه الرجوع والتوبة إلى الله تبارك وتعالى ومن خالفه معتقدا بطلانه فهذا ليس على شيء من الدين لا أصل ولا فرع ونعوذ بالله من ذلك .....

وإني أحذركم من التفرق في الدين وتتبع الخلافات فيه فإن هذا من أعظم أسباب الهلاك . وإنكم في زمن قد تشعبت فيه الأمة الإسلامية وكثرت فيه الفرق وفشت فيها البدع ودنس وجه الدين بما ليس منه وكثرت فيه شبه الضالين المضلين . غير أنه بحمد الله لم يخل زمان من قائم لله في أمر دينه ينفي عنه غلو المغالين وانتحال المبطلين أولئك هم علماء الدين وهم ورثة الأنبياء وهم المحافظون لدين الله تعالى حيث أقامهم لذلك .....

إني أرشدكم إلى أعظم قائم لله تعالى في النصر لدينه بعد الأئمة الأربعة رضي الله عنهم ... ذلك هو : شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الإمام محمد ابن قيم الجوزية رحمهما الله تعالى ومن هو على طريقتهم في الدعوى والتحقيق إلى يوم القيامة فقد قام هذان الشيخان بما أوجبه الله على العلماء من بيان الحق وعدم كتمانه ولم تأخذهما في الله لومة لائم فقد توفي الشيخ ابن تيمية رحمه الله بينما كان محبوسا في قلعة دمشق وما ذنبه إلا بيان الحق والدعوة إليه وإبطال ما خالفه من العقائد الزائفة والطرق الضالة الفاسدة فهذه كتب هذين الشيخين بحمد الله بين أيديكم قد سهل الله نشرها بعد أن كانت مدفونة في زوايا الترك والإهمال فعليكم بمطالعتها فإنها بأدلة الكتاب والسنة تجلو عن القلوب صداها وبمآثر الصحابة وهديهم تميط عن الأبصار غشاها ...فلا يتمسك أحدكم بأمور دينه برأيه وليس الدين بالاستحسان فكل طريق إلى الحق غير طريق نبيه ﷺ فإنه مسدود وكل عمل على غير سنة فهو إلى صاحبه مردود فاتبعوا ولا تبتدعوا وقاربوا فمن سار على الدرب وصل . وهذا ما يجب لكم علينا من النصيحة فمن خالف ما بيناه لكم بقول أو فعل فذمتنا وذمة المسلمين منه بريئة ولا يأمن البطش في مآله ومن أنذر فقد أعذر .

ومن أساليبه أيضا تلك الحادثة التي ذكرها جلال كشك :

قال كشك : وقد عثرنا علي تقرير أمريكي يروي قصة جديرة بأن تروى عن الجمع بين العدل وهيبة الملك . وفن كسب المعارضين .

فقد زعم التقرير أن أحد المشايخ وكان واعظا في الخرج ، خطب يحرض ضد الملك الذي كان قد استقدم خبراء أمريكيين لتطوير الزراعة في المنطقة وهذا هو الهم الدائم لعبد العزيز من أيام محمد أسد فلما تفجر النفط لم ينس الملك الزراعة، بل حاول أن يوظف مال النفط في الزراعة ، ولكن الشيخ رأى الأمريكيين يسقون ويزرعون ، فهب يحرض ضد الملك (الذي خان الأمانة وباع الوطن للأجنبي ، وقد رأيت بعيني الأمريكان يستولون على الأرض ويزرعونها في الخرج ويسخرون العمال السعوديين ويشقون الطرق ، ويستعملون الماء النفيس كما يحلو لهم .. فهل من حق الملك أن يبيع بلادنا وميراث أجدادنا للمشركين؟) .

ويمضي التقرير : وهنا أرسل الملك يطلب إحضار الشيخ في سيارة خاصة، ولكن الأمر لم ينفذ فأرسلوا له سيارة نقل ، وقد رفض الشيخ أن يركبها مصرا على أن يعامل باحترام . فاستجاب الملك وأرسل له السيارة الخاصة وعندما جاء الشيخ استقبله الملك محاطا بالأمراء ورجال البلاط والمستشارين والحرس والعلماء . وهنا قال الملك : إذا كان لديك ما تعترض عليه فقله علانية ، لأن الإسلام يطلب مواجهة الحاكم لا توجيه الاتهامات من خلف ظهره . ووقف الشيخ في مواجهة هذا الحشد الملكي وقال : إن الملك يبيع البلاد والناس للكفار ، وهذا يخالف التزاماته كحاكم مسلم وحامي الحرمين والمشاعر . وقد تركه الملك يتكلم بدون أن يقاطعه ، فلما سكت كرر عليه الملك السؤال : هل قلت كل ما عندك ؟ فأجاب بالإيجاب . عندها نزل الملك عن العرش وتقدم فوقف إلى جانبه قائلا : أنا لست الآن إلا مجرد مسلم أطلب أن يحكم بيننا بالشرع ، أنا عبد العزيز أطلب من القضاة والعلماء أن يفصلوا فيما بيننا . ثم التفت للعلماء وقال : أفتوني .. هل استخدم النبي ﷺ غير المسلمين من أهل الكتاب والمشركين ؟ ثم استعرض الملك الحالات التي وردت في السيرة . فرد العلماء بالإجماع .. إن الملك صادق فيما قال .. فعاد الملك يسأل: فهل خرجت أنا على الشرع .. إذا تبعت سنة رسول الله ﷺ واستخدمت خبراء أجانب للعمل لحسابي تحت توجيهاتي لزيادة موارد البلاد ، ويستخرجون لصالحنا المعادن والنفط والماء وما سخره الله من خير لبلادنا . فرد العلماء أنه لم يخطئ .

هنا انتهى دور العدل وحكم القضاء بتجني الشيخ ، وجاء دور هيبة الملك ونستمر في النقل من التقرير الأمريكي : هنا اعتلى الملك العرش واسترجع لقب الملك وسأل الشيخ هل رضيت ؟ قال الشيخ : إنه يطيع قرار العلماء ولكن (لم يطمئن قلبي !) قال الملك : لقد احتكمت للشرع وقرر علماء الشرع أنني على حق وأنت المخطئ .. فإذا لم تعتذر خلال ٢٤ ساعة فسأقطع عنقك . وأخذ الشيخ تحت الحراسة وانفض المجلس . وبعد أن أعطى الدرس علنا ، عرفنا أن الملك استدعى الشيخ إلى مجلسه الخاص ، وتحدث معه متلطفا وشرح له أن مسلكه يسيء إلى دينهما ودنياهما . وأغدق عليه الهدايا وبعثه مكرما معززا إلى منزله .

قال كشك : هذا والله هو الملك ؛ سيف المعز وعدل عمر وذهب الرشيد .

وقد نصح المشايخ هؤلاء الغلاة المتطرفين وهذا جزء من رسالة الشيخ عبد الله بن عبدالعزيز العنقري إليهم يقول فيه :

فكانت سيرة السلف الصالح رضي الله عنه معهم معروفة وهي مراعاة حق ولاة الأمور وعدم منازعتهم الأمر مع ما فيهم من الأمور التي لا تخفى على من طالع فكيف وإمامكم ولله الحمد متمسك بالشريعة الغراء جاد في نصرة هذا الدين ؟ فلا يجوز لأحد مخالفته ولا الاعتراض عليه في ولايته التي ولاه الله تعالى إياها .

وقد لجوا في عنادهم وركبوا رؤوسهم مما جعل المشايخ ينفرون منهم وهذا جزء من رسالة الشيخ عمر بن محمد بن سليم للملك عبد العزيز يقول فيه :

المؤمل من جنابكم المسامحة من جهة أهل الأرطاوية ولا ظنيت يجيني من جنابكم إلزام بالمراح لهم بعد ما مضى . وأيضًا مقامي عندهم لا يحصل به انتفاع لهم في طلب العلم والرغبة فيه ولا حسن أدب والأمر شاق علي غاية . هذا ما لزم تعريفه منا.

ويعلق عليها التويجري قائلا :

هذه الرسالة من الشيخ عمر المعروف بتقاه وطهارته التي يشير فيها إلى أنه يائس ، فتجربته مع الإخوان في الأرطاوية تجعله يؤكد أنه لا فائدة ويطلب المسامحة من عدم العودة إليهم .

رحمك الله يا عبد العزيز ما أوسع أفقك وما أكثر صبرك وما مقدار سداد الرأي في حساباتك !! صبرت ودفعت بالعالم وراء العالم إليهم للمناصحة وأعطيت من نفسك ومن تسامحك ومن تقديرك وحكمتك لما يحققه الصبر والتسامح ، ولكن هي أقدار الله التي ليس لك فيها خيار بل فرضت عليك !! .

وهذا جزء من رسالة مشاري بن علي بن بصيص من كبار مطير للملك عبد العزيز يشرح فيه بعض أمور هؤلاء المتطرفين وعدم إذعانهم إلا لعقولهم :

ليس خافيًا عليك بعض الأمور التي تصدر من جهال الإخوان ويتعصبون ويرونها دينًا ولا يقبلون فيها كلام شيخهم أو طالب العلم الذي عندهم وهذا في بعض البلدان وهذا أمر يشق علينا ولا نرضى به، وسببه ما جرى من الربع الذي رحلوا من الداهنة. من هذه الناحية اتفقنا نحن والأمير عبد الرحمن بن ربيعان وعلوش بن سقيان وحضر معنا الشيخ عبد الله بن زاحم عند الشيخ عبد الله العنقري واتفقنا على أن الشوفة واحدة وأن الذي يخالف ما عليه علماء المسلمين ولا يسمع للولاية أننا ضده بحول الله وقوته وجندنا الذين مساعدينا على هذا الأمر كثير وهؤلاء الجهال ليسوا بشيء ولكن نخاف أن حضرتكم تغافل عنهم وتراءى لهم في أنفسهم أنه على حق ، وردعهم سهل على جنابكم.

وفي رسالة للشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم للملك عبد العزيز يقول :

وبعد ذلك أدام الله وجودك من قبل الربع شدوا من عندنا ونزلوا وشيقر طب عليهم قبل يشدون علوش بن سقيان وأشار عليهم بعدم المخالفة وأنهم يتعوذون من الشيطان ويتركون هالأمور التي عنت أو بسبب الجهل والهوى والشيطان وقال : إن كان مشكل عليكم شيء في أمر دينكم أو دنياكم أن وإياكم والمشايخ أي شيخ تبونه نروح يمه ويبين لكم الحق ، ولا أطاعوا . وأصل ذلك كله يبون أمرهم هو التام وهو أهم ، هو المقدم والحاكم عليهم.

ومن رسالة للملك عبد العزيز لوالده يشرح فيها بعض أوضاع تلك الفتنة يقول :

قال الجلد (يعني شجاع الجلد من أهل الغطغط) للشيخ عبد الله : إن هناك خمسة من علماء الرياض محرمين هالتيل — يعني الهاتف – وتكلم معنا وقلنا له العمدة على ما في كتاب الله وسنة رسوله . الذي عنده تحريم من كتاب الله وسنة رسوله ما يخالف والذي ما غير هوى وشهوات ما علينا منها.

ومن تعميم له رحمه الله لجميع الإخوان يحذر فيه من الغلو والتطرف ويأمر بالرجوع إلى العلماء يقول :

.....فإن كان أمركم هذا بحثا عن علو في الأرض فلا حول ولا قوة إلا بالله وهو أننا نهيناكم عن بعض هؤلاء المدعين الذي يأتونكم ويشبهون عليكم فلربما أن بعضهم يخرجكم من دينكم وتكونون في مفسدة أعظم مما كنتم عليه سابقا من الغلو والتشديد ، وإنزال آيات القرآن وربطها على غير ما أنزل الله ، فهذا أمر عظيم ، فهؤلاء مثل ما في الحديث " قد يأتي أقوام تحقرون صلاتكم عند صلاتهم وعبادتكم عند عبادتهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية فاقتلوهم أينما وجدتموهم " وبالحقيقة إن بعض هؤلاء المتطوعين مشابهون لهم ونحن الحمد لله لسنا في شك من ديننا . أما الإنسان الذي يرى أن ولايتنا إن شاء الله ولاية حق وأن معتقده اعتقادنا فهذا له مالنا وعليه ما علينا ويمتثل لما أمرنا الله به ويتجنب ما نهانا عنه ، وأما الإنسان الذي أن ما على الدين إلا هو أو ما انتهى إليه فقهه وليس مقلدا إلا كل صاحب شبهة وغلو فنبرأ إلى الله منه ، وهو خارج من ذمتنا وذمة المسلمين ، فهذا ندين الله إن شاء الله بجهاده ، والذي ننهاكم عنه ثلاثة أمور الأول : لا تسألوا ولا تمتثلوا بأمر أحد من طلبة العلم إلا بعد أن تراجعونا ونفيدكم بما يسركم لدينكم ودنياكم إن شاء الله ونظهر معكم الذي نعلم منه النصح للإسلام والمسلمين أو فتوى أو أحد يرضاه علماؤنا الذين نحن على حقيقة من أمانتهم ونصحهم للإسلام والمسلمين وهم والدنا الشيخ المكرم عبد الله بن عبد اللطيف والشيخ سعد بن عتيق والشيخ محمد بن عبد اللطيف والشيخ عبد الله العنقري والشيخ عبد الله بن سليم والشيخ عبد الرحمن بن سالم فهؤلاء ما أفتوكم به فهو إن شاء الله حق وما رضوا لكم من طلبة العلم يصير معكم لتتعلموا منه فأنا مجيز ما أجازوا ومن حط عنده طالب علم أو سأل غير هؤلاء المذكورين أو أحدا يجيزونه من طلبة العلم فأنا بريء الذمة منه ولا يأمن العتب أيضا .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٤٩)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

عن عرفجة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ''من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه ، كائنا من كان ''

وعن أبي سعيد الخدري قال : بعث علي وهو باليمن إلى النبي ﷺ بذهيبة في تربتها فقسمها بين الأقرع بن حابس الحنظلي ثم أحد بني مجاشع وبين عيينة بن بدر الفزاري وبين علقمة بن علاثة العامري ثم أحد بني كلاب وبين زيد الخيل الطائي ثم أحد بني نبهان فتغيظت قريش والأنصار فقالوا : يعطيه صناديد أهل نجد ويدعنا ؟ قال : ''إنما أتألفهم'' فأقبل رجل غائر العينين ناتئ الجبين كث اللحية مشرف الوجنتين محلوق الرأس فقال : يا محمد اتق الله !! فقال النبي ﷺ : ''فمن يطيع الله إذا عصيته ؟ فيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني ؟ فسأل رجل من القوم قتله أراه خالد بن الوليد فمنعه النبي ﷺ فلما ولى قال النبي ﷺ : ''إن من ضئضئ هذا قوما يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد''

وقد وصل الأمر بالمتطرفين السابق ذكرهم إلى الخروج على الإمام وقتل بعض المسلمين مما اضطر الملك عبد العزيز إلى قمعهم بالقوة بعد أن أعيته الأساليب السلمية وإن كان كارها لذلك .

يقول رحمه الله :

ويجب أن تنصحوا الجاهل وترشدوه إلى طريق الحق والهدى، فإذا اتبع فالحمد لله وإذا أبى وعاند فإنما إثمه على نفسه، وإني- والله- أحب السلم وأسعى إليه فإذا ما بليت صبرت حتى إذا لم يبق في القوس منزع وحان وقت الدفاع عن الدين والوطن فعلت :

إذا لم تكن إلا الأسنة مركبا فما حيلة المضطر إلا ركوبها

وهنا لا يكون إلا إحدى الحسنيين، إما السعادة وإما الشهادة، وكلاهما نعمة من الله ، ونحن نقابل أيهما بصدور رحبة ووجوه باشة وهذه سنة رسول الله ﷺ وأصحابه من بعده رضوان الله عليهم .

والناس معنا ثلاثة..

إما محب ومساعد.. وإما لا محب ولا مساعد.. وإما معاند فقط..

فأما الأول ، فله ما لنا وعليه ما علينا..

وأما الثاني فنسعى جهدنا في إفهامه الطريق الذي نسير عليه، فإذا اتبعنا فالحمد لله ، وإذا أبى ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ .

وأما الثالث.. فهذا ليس له قصد إلا الفساد في الأرض، وهذا جزاؤه ما جاء في الآية الشريفة ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ .

وقال أيضا :

إن الذي دعاني لجمعكم في هذا المكان هو النصح لكم حتى لا يغتر السفيه بالحلم ، ولا يسترسل في غوايته ، وأحذركم من أمرين :

الأول: الإلحاد في الدين والخروج عن الإسلام في هذه البلاد المقدسة فوالله لا أتساهل في هذا الأمر أبدا، ومن رأيت منه زيغا عن العقيدة الإسلامية فليس له من الجزاء إلا أشده ، ومن العقوبة إلا أعظمها.

الثاني : السفهاء الذين يسول لهم الشيطان بعض الأمور المخلة بأمن البلاد وراحتها، فهؤلاء شأني معهم شأن الديناميت مع النار.

وقال :

ولينعم كل إنسان بنعمة الإسلام، وحرية الإسلام، وغير هذا لا نعمة ولا حرية ، فمن كان مشارفا بنظره من قرب أو بعد فليعلم أن الناس لم يتركونا رحمة أو عطفا، وإنما تركونا لأن الله أراد تأييدنا ونصرنا...

وقد أتيت بهذا البيان نصيحة لمن قد يغويه إبليس بوسواسه، وإني إذا قلت فعلت ، وإذا فعلت أمضيت ثم لا أبالي بما يكون..

هذه نصيحتي يبلغها الشاهد منكم الغائب، وليعلم الجميع أني لا أحمل حقدا على أحد إلا على شخصين.. إما رجل ملحد في الدين أو يقصد هذه البلاد بسوء، فمن كان في نفسه شيء من ذلك فلا يأمنن عقابي، وقد كنت أريد الإيقاع ببعض من أعلم فيهم ذلك، ولكني منعت نفسي وأحببت تقديم هذا النصح للجميع، وأسأل الله التوفيق لنا في أعمالنا.

وفي الختام.. أوصيكم بتقوى الله واتباع كتابه، والاهتداء بسنة نبيه محمد ﷺ ، وأن تعضوا عليها بالنواجذ وأنتم أهل بلد الله وسكان حرمه الشريف، ويجب أن تتمسكوا بذلك أكثر من غيركم والله الهادي إلى طريق الرشاد .

قال الأمير سلمان :

والملك عبد العزيز لا يبدأ بالشر إطلاقا ، ولو نظرنا كل تاريخ حياته لوجدناه يحاول درء الشر، ويقول دائما متمثلا بيت شعر- كما قيل لي:

ولا أتمنى الشر ما دام تاركي ولكن متى أحمل على الشر أركب

لذلك الملك عبد العزيز وفقه الله بإيمانه بالله وحسن نيته ومحبة الجميع ونبل أهدافه..

قال غلام رسول مهر :

حضرنا في الساعة العاشرة من صباح اليوم الحادي عشر من ذي الحجة إلى حضرة السلطان لتهنئته بالعيد، وكان السلطان يجلس في خيمة كبيرة خارج قصره، وعن يمينه وشماله صفت الكراسي ووضعت أمامه صفوف من الكراسي ، كان هناك بعض الضيوف جاءوا قبلنا، وخلف السلطان جلس بعض أكابر أعضاء الحكومة، وكان السلطان نفسه يتحدث مع أحد الضيوف المصريين عن عصيان بعض النجديين ، كان السلطان يقول: "نحن لم يحدث أن ظلمناهم بأي شكل من الأشكال، لم يحدث أبدا أن شبعنا وهم جائعون ، فطعامنا

طعامهم وممتلكاتنا هي ممتلكاتهم، ونحن نعد شيوخهم مثل آبائنا ، ونعد صغارهم مثل أولادنا، ونعد شبابهم مثل أخوتنا.. ولكن لا ندري كيف ركب الشيطان رؤوسهم ليكونوا سببا في سفك الدماء وإثارة الحروب الداخلية؟ ".

ويتحدث الشيخ محمد رشيد رضا عن تلك الفتنة فيقول :

وكان قد حدث في أحد الأعوام نزعة ثورة بدوية عصبية في نجد، كانت قد طال على تمخض البلاد بها العهد، وكان آخر ما عرفه العالم المدني من طغيان زعمائها غزوهم للكويت، وأطارف العراق، بدون إذن ولا رضى من ملك البلاد، لجريانهم على ما اعتاده جفاة الأعراب أمثالهم من الغزو ، لأنه أقرب السبل عندهم للكسب، وقد يكون أحيانا للتلذذ بالقتل والسلب . ولكن الإمام عبد العزيز المجدد، قد ساسهم سياسة إسلامية حضرية، أبطل بها البداوة وتقاليدها، ووضع تحت قدميه ما وضعه النبيﷺ تحت قدميه من دماء الجاهلية وثاراتها ، وجعل الحكم لشرع الله في كل تنازع وتشاجر، عملا بقوله تعالى : ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ فحسنت الأحوال، وراجت الأعمال، بعد أن عم الأمان، وبطل البغي والعدوان، على غلو في الدين بقي عند كثير من (الإخوان) كانوا به شبهة أو حجة لمن يطعنون في الوهابية، ويذهبون إلى أنهم فرقة غير الحنابلة السلفية .

وقد ظهر من شذوذ هؤلاء الغلاة ما ظهر من القسوة في غزوة الطائف، أخذا بثأر من قتلهم الشريف عبد الله بن الحسين منهم في الخرمة ، لما هجم عليهم في المسجد، فقد جروا في ذلك على عرف البدو في غزوهم ، لا على عرف الوهابيين الذين يجرون في قتالهم على أحكام الشرع ، كما شهد لهم بعض أهل البصيرة ممن قاتلهم في الحملة المصرية التي ساقها إليهم محمد علي باشا، بأمر الدولة التركية، ونقله المؤرخ الصادق الجبرتي .

ولقد ساء عملهم هذا الإمام عبد العزيز، وإن قابله كعادته بالحلم ، والمطاولة في تربيتهم بأحكام الشرع، ولكنهم زادوا إسرافا وغلوا بتعرضهم لما لا يعنيهم من إدارة الحجاز الداخلية، وتحريمهم لما أحل الله تعالى من المنافع الآلية والصناعية، بل لما يعد بعضه أو كله من فروض الكفاية في هذا العصر، كآلات المواصلات، والمخاطبات، التي تشتد الحاجة إليها في أوقات الحرب. وغير ذلك مما هو من خصائص ولي الأمر، وهذا التحريم شرع لم يأذن به الله ، وكذب وافتراء على الله، فهو كفر وشرك بنص القرآن، أشد مما يرمون به من لا يعرفون من الناس بحق، أو بغير حق لأن الشرك بالتشريع ضرره متعد ، يعم كثيرا من الناس، والشرك بدعاء غير الله مثلا ضرره قاصر على فاعله .

ثم افتات بعضهم على الإمام في الإغارات المعروفة على العراق والكويت، فانتهى الحلم الواسع بالإمام عبد العزيز أن جمع جميع من في بلاد نجد، من أهل الحل والعقد ، من العلماء والقواد والزعماء وجماهير الوجهاء، وألف منهم مؤتمر الرياض المشهور وعرض عليه تنصله من حكم البلاد، وأن يختار لها غيره.. فكبر ذلك عليهم، وجددوا مبايعته، وكاشفوه بما لايرضيهم من حكومته، وكونه لايبيح لهم نزع من خرج عن طاعته، كمسألة الحدود بين نجد والعراق، وما أحدثته حكومة العراق هنالك من المخافر العسكرية الضارة بهم، وهو أهم ما يهمهم وغير ذلك مما فصلناه في غير هذا الموضع .

ولكن كل ذلك لم يرجع أولئك الغلاة عن غيهم وجهلهم، ومنهم الفرقة المشهورة بالغطغط الذين كانوا يؤذون بعض الحجاج وينبزونهم بلقب المشرك، وروي أنهم كانوا يضربون الذين يشربون الدخان، وهذا افتئات على الإمام وولي الأمر، زائد على المشروع من إنكار المنكر، فلكل مسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بما يعلمه، ولكن العقاب خاص بالسلطان ونوابه بغير خلاف، وبهذا كانوا سبب تجديد الطعن في الوهابية، بعد أن ظهر لحجاج العالم فضل الإمام ابن سعود في العدل والأمن العام، وقد دعوا إلى تحكيم علماء الشرع فيما ينكرونه، فلم يقبلوا، فاضطر الإمام إلى تأديبهم بالسيف، ففعل وكان موفقا منصورا.

وقد كتب الملك عبد العزيز كتابا خاصا للشيخ محمد رشيد فيما وقع له معهم، قال فيه ما خلاصته :

إن بعض الإخوان من أهل الغطغط والدويش وقسم من الغلاة يظهر منهم منذ ثلاث سنين تعصبات وأمور مخالفة للشرع ، وقد كانوا مغرورين، ومعهم بعض المهاجرين من البادية، ويرون أن أمرهم حق، لأجل محبتهم للدين، ولكن الحمد لله انكشف الغطاء عن كثير من المسلمين، ورأوا أن الجماعة بين فرقتين : واحدة تعبد على جهل، وواحد له بعض المقاصد السيئة، مثل طمع وغيره ، ويجعل الدين له حجة .

وذكر رحمه الله جمع الناس في الرياض ، وما كان من تأثيره، وأنه ظهر لأغلب الناس حال هؤلاء الغلاة، وأنهم ليسوا على حق ، ثم قال :

ثم بعد ذلك أكثرنا عليهم النصائح ، والدعوة لأجل براءة الذمة عند الله ثم النصح للرعية، ولكن لم يفد ذلك، فاجتمعوا في هذه الأيام ، وأشاعوا عند أهل نجد أنهم غزاة ، وأن قصدهم القصور _ أي المخافر التي بنيت على الحدود بين نجد والعراق _ وأهل القصور التي في حدود العراق ، يريدون بذلك خديعة أهل الحق _ وبعد ذلك تبين أمرهم أنه فاسد، وأخذوا بعض الرعايا، ولما تحقق ذلك وثب المسلمون وثبة رجل واحد جزعا من أمرهم ، واجتمعوا لوضع حل حازم لهذه الأمور .

فلما تكامل الجمع دعوناهم لتحكيم الشريعة في جميع أمرهم فأبوا ، فأرسلنا إليهم الشيخ عبد الله العنقري والشيخ أبو حبيب، فدعواهم فلم يقبلوا ، فلما رأينا ما بهم من الفساد وعدم الامتثال للشريعة والولاية، استعنا بالله عليهم، وأمرنا المسلمين بالزحف عليهم، والحمد لله أخذهم الله ، وقتل منهم جملة . والمسلمون من فضل الله لم يصابوا إلا بخسارة قليلة جدا ، تعد بالأصابع ، وبعد ذلك رجعوا وطلبوا العفو، وتبين للقوم الذين كانوا معهم أنهم كانوا ضالين الطريق، وجميع من كان معهم، وسلموا من القتال ، عفونا عنهم إلا الدويش وابن حميد ما رضينا إلا بتحكيم الشريعة فيهم ، لأنهم أساس الفساد، وقد قبلوا الأمرين (أحدهما) ترك الناس لهم (والثاني) أنه لا ملجأ لهم ، والدويش جريح ، الله أعلم يموت أو يحيا .

والحقيقة أننا ما كنا نحب أن يصير بين المسلمين قتل رجل واحد ، ولكني امتثالا لأمر الله في قتال الباغين، والسعي وراء إراحة المسلمين، أجبرت على ذلك ، والعاقبة من فضل الله حميدة للإسلام والمسلمين.ا.هـ

ويتابع الشيخ محمد رشيد كلامه فيقول :

هذا وان الدويش قد سلم من جرحه، وحدث بعد عودة الملك من نجد إلى الحجاز لحضور موسم الحج أحداث جديدة منها انتقاض بعض قبائل العجمان ، وقد نكل بهم أمير الحسا ابن جلوي الشهير تنكيلا، ما كان ليقع لو كان جلالة الملك في نجد، لسعة حلمه وتحاميه سفك الدم .

ولما طارد جيش الملك عبد العزيز العصاة فروا إلى حدود الكويت والعراق ثم اضطر فيصل الدويش وابن مشهور وابن حثلين أكبر زعمائهم إلى تسليم أنفسهم للإنجليز حماة الكويت والعراق، وطلبوا أن يكونوا تحت حمايتهم، ومن رعيتهم، وهكذا يكون أهل الدين الخارجين عن إمامهم بدعوى منعه إياهم من جهاد الكافرين والمشركين !! وكان من هنالك من رجال الإنجليز يريدون حمايتهم، وجاء في البرقيات العامة أنهم قرروا إرسالهم إلى الهند، وجعلهم ضيوفا سياسيين في جزيرة سيلان .

ولكن الملك عبد العزيز ألح في طلبهم ، ولم يمكن إقناعه بما دون ذلك، فجاءت الأوامر بإسلامهم له ، فحملوا إلى معسكر لدى الحدود في طيارة عسكرية فتسلمهم معتقلين ، أذلاء صاغرين مخذولين ، وكان ذلك اليوم يوما مشهودا ، أعز الله فيه عبده ، وهو العزيز المقتدر ، الذي وعد بنصر من ينصره ، وكانت العاقبة للمتقين ، وكان تأثير ذلك في معسكره ثم في سائر نجد وغيرها من بلاد العرب عظيما جدا .ا.هـ

وقد كان الملك رحمه الله قد عقد عدة اجتماعات تتعلق بتلك الفتن ومن ذلك اجتماع الدوادمي الذي حضره العلماء ومشايخ القبائل وأصدر بعده بيانا جاء فيه :

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

أما بعد...

فقد حضر عند الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، كبار عتيبة من الروقة عمر بن عبد الرحمن بن ربيعان وجمع معه من كبار عشيرته ، ومن كبار برقا جهجاه بن بجاد وسلطان أبا العلا وخالد بن جامع ومناحي الهيضل ومعهم كبار برقا، وتكلم الإمام معهم فيما يصلح لأمر دينهم ودنياهم، وطلب من كل إنسان له مظلمة أن يبديها وأنه ينصفه ولو من نفسه وأقاربه المقربين، فأجابوا أنه لا يوجد عندهم مظلمة يشكون منها، ثم طلب الإمام منهم أن يبينوا ما بأنفسهم مما يرونه يزيل وحشة بعض عامة عتيبة من الذين حصل منهم بعض المفاسد في السابق، فطلبوا العفو عما فات إلى هلال صفر ١٣٤٨ للحاضرين في المجلس والغائبين ، فأعطاهم الإمام على ذلك ، على شرط أن جميع النقايض المنهوبة والرقاب المقتولة عقب الأمان الذي أعطي بعد حادث السبلة تؤدى على الوجه المشروع ، وقد قبل الحاضرون بذلك وامتثلوا الأمر بالسمع والطاعة في الكره والرضى، والتزموا القيام بما أوجب الله للراعي على الرعية وقالوا له إنه من أطاعنا فهو أخونا ونحن إخوانه ، ومن عصانا قاتلناه وعاديناه باللسان والسنان، وقد اشترط الإمام عليهم أن على عتيبة جميعا من روقة وبرقا أنه إذا

أجرم مجرم في وسط أي فريق منهم إن كان جرمه باللسان من تشنيع على المسلمين من علماء أو على الولاية أو بالافتخار بما يعمله أهل الردة أن تناصحوه فإن تاب وأقر في بخطئه فالحمد لله وذلك ما كنا نبغي، وان أبى وأصر فتحكموا الشريعة وتنفذوا فيه ما يفتي به علماء المسلمين، وأما قطاع الطرق من أهل السلب والنهب والقتل، والمفتاتون بغزو أو شيء من الأمور التي لا تجيزها الشريعة وهو من حقوق الولاية أن تقوموا عليهم وتحاربوهم فإن سمعوا وأطاعوا فتدفعونه وما وصلت إليه يده ومن ساعده على ذلك للولاية لتحكم فيه الشريعة المحمدية، فإن أبى وأصر على العصيان أن تقاتلوه بقدرتكم وتستعينوا عليه أمراء المسلمين ، فمن قام بهذا الأمر وساعدكم فقد وفى بعهده والولاية تساعده بكل ما يلزم، ومن تخلف من المعاهدين عن ذلك فقد نكث عهده وبرئت منه ذمة المسلمين، وليخبر الحاضر الغائب بذلك ، فمن قبل وتاب ورجع فله الأمان على ما ذكرنا، ومن تأخر عن الحضور وأبى الاتفاق مع جماعة المسلمين وامتنع عن القدوم لولي أمره ومعاهدته، فقد خرج من الذمة ونحن نأمركم بجهاده وقتاله، والمقصود من هؤلاء الرؤساء وأمراء القبائل وأما العامة فمن قدم إلينا فالله يحييه، ومن تخلف فلا لزوم لنا به .

بقي أمران : الأول : أمر الجهاد، فمن تخلف عن الجهاد بعد أمر ولي الأمر بغير عذر شرعي فإن على المسلمين مجاهدته قبل أن يجاهدوا العدو. والأمر الثاني: أنه لا يجوز لأمير أن يطلب مصروفا لأحد من الناس لا يقوم مع الأمير بما تأمر به الولاية من جهاد وغيره . وأما أعطياتنا للضعفاء المستحقين فهذا نظره راجع إلينا وكل أمير يخالف ما في هذه الورقة فقد نكث على نفسه وخان العهد وبرئت منه الذمة، وعلى هذا عاهد الحاضرون الإمام عبد العزيز، وإن كل إنسان لا يعاهد على هذا ولا يقوم به فالجميع يعدونه عدوا يقاتلونه ويستعينون الله عليه. هذا ما حصل عليه الاتفاق والله المسئول المرجو الإجابة أن يصلح الراعي والرعية ويلم شملهم على كلمة التوحيد، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم. شهد بذلك : الشيخ محمد بن عبد اللطيف والشيخ عمر بن عبد اللطيف، وعبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم .

قال الشيخ حمد التويجري وهو من المعاصرين : قال ابن سعود للقنصل البريطاني ونحن نسمع والله وبالله وتالله إن لم تسلموني الدويش لأشب فوقكم نارا في الهند والسند ، فلما جيء بالدويش ورجع عبد العزيز إلى الرياض قال : هذا قضاء الله وقدره ولا أريد أن أسمع . هذا عدو وهذا صديق ، كلنا أهل . وجمع أنصار الدويش وأحضرهم أمام العلماء وسألهم هل بيني وبينكم من عهد أو أمان ؟ قالوا : أبدا ولو وجدنا أفضل منك ما رجعنا إليك فاحكم فينا بما تراه فهذا حقك بما فعلنا . قال : أنتم زندي الأيمن لو أقطعكم أيش أسوي ؟

ووصل الأمر بالدويش أن أرسل رسالة للملك عبد العزيز جاء فيها :

ما زالت آملا فيكم وأعرف حب أبيك لرعاياه وحبه لمسامحتهم فهو حكيمنا نحن العرب فأعطنا أمانا خاصا يضمن سلامة العجمان وابن مشهور وكل الذين معه وانس الماضي . نسألك بالله أن لا تصدنا أو تبعدنا خائبي الرجاء أو تحرمنا من ودك ونعمة الإسلام وتجبرنا على التوجه للنصارى الذين نبغضهم ويبغضوننا.

إسلاميات الملك عبد العزيز (٥٢)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

كان عهد الملك عبد العزيز بعثا للأمل في نفوس المسلمين لنشر دين الإسلام بعد أن أطبق الظلام على ربوع المعمورة

قال أحمد الإمام الرفاعي العنداني في كتابه سؤدد الإسلام بعد أن شكا غربة الإسلام وانتشار الفسق والفساد :

قلت مهلا يا دين رسول الله وها أني قد أتيتك بشيرا بزمرة من المسلمين تود حياتك وتبيع أموالها وأنفسها فداءك ألا وهي الحكومة السعودية العربية التي شهد بفضلها أهل الأرض والسماء وهي الآن في البلاد الحجازية المقدسة وقد قام على رأس هذه الحكومة السعيدة الزعيم الأوحد الفذ المخلص المفرد من عرف بدينه ونزاهته وأطبقت الأمة على الإسلامية على عقله ودرايته ألا وهو السلطان الجليل والملك النبيل عبدالعزيز آل السعود أمد الله بطول حياته عرف المكامن التي يهاجم منها المسلمون فباشر في سدها عنه . ولم يجد بدا من الرجوع إلى الدين المحمدي الحنيف فقام عملا بقوله تعالى﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ وهو أمده الله يتابع القول بالعمل وأراد إحياء هذه الأمة المحمدية عملا بقوله تعالى :﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾ فعلى كل حكومة إسلامية في جميع أقطار الأرض أن تسير على سيره الذي سار عليه لأن العمل بشرعة الإسلام راحة وحياة لجميع الأمم والطوائف ، فعلى من كان مسلما حقيقيا أن يجعل هدفه الأسمى توحيد الإسلام واتباع سيد الأنام وتعظيم هذا الملك الجليل لأنه أوجد الشريعة والأمانة في قبلة المسلمين وحفظها من جميع الأدران ونوايا الأمم الغربية.

وكان الملك عبد العزيز رحمه الله لا يخلو مجلس من مجالسه من النصيحة للمسلمين عامة والعرب خاصة وكثيرا ما كان يردد في معظم مجالسه ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾

﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾ ، ﴿ نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾

وكان يقول :

الإسلام عزيز عليّ ورهبته على قلوب أعدائه كبيرة فواجب المسلم أن يقوم بالدعوة إلى عبادة الله خالصة .

يقول الشيخ حافظ وهبة :

وكان يتدفق كالسيل إذا خطب ، ويخطب الساعات الطوال مرتجلا إذا أثير ، ويميل في خطبه وأحاديثه إلى تعزيزها بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة فتزيدها روعة وقوة ، ويغلب عليها النصح والإرشاد والحث على الطاعات والتمسك بأهداب الدين ، فخطبه وتصريحاته ونصائحه وإرشاداته وحكمه ليس بالإمكان استيعابها ولا يمكن حصرها في كتاب .

ويعدد الشيخ محمد حامد الفقي بعض أوصافه فيقول :

لسان فصيح، ومنطق قوي ، وقول سديد ، وحكم رائعة ، وبلاغة تفحم السامع ، وتقوده بخيط من الحرير فإذا هو طوع هذا الخطيب العظيم ، ويد سخية لا تعرف للمال قيمة إلا ادخار المثوبة عند الله ، ثم امتلاك أعناق

الرجال ، وقلوبهم ، فهو لا يعرف لا ولا يخطر في باله أن يقولها لأي سائل ، ولا أن يرد بها على أي مسترفد فضله ، أو مجتد من كرمه، اللهم إلا فيما ينال من كرامة دينه ، أو ملكه أو نفسه .

وتأسيا برسول الله ﷺ قام الملك عبد العزيز يدعو إلى الله من خلال الخطب والمكاتبات والرسائل وذلك باعتبارها من الوسائل المؤثرة قديما وحديثا وبما وهبه الله من قدرة على البيان والإقناع .

فقد كانت لديه ملكات قوية ساعدته على النجاح في نشر الدعوة بهذه الأساليب فهو خطيب مفوه له قدرة عظيمة على إثارة العواطف .

والمتتبع لخطب الملك عبد العزيز يلاحظ أنها تتضمن ما يأتي :

سهولة الألفاظ

الاستشهاد بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية

ملامسة عقول الناس وعواطفهم ومشكلاتهم

يتخللها الوعظ

ربط الحاضر بالماضي والاستفادة منه للانطلاق في المستقبل

تخير المناسبات

تقوم الخطب على أساس دعوي حيث تضمن معظمها المضي على :

التوحيد الخالص

التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ

نبذ البدع والخرافات

الالتزام بآداب الشريعة السمحة

إخلاص النية في الأعمال كلها

توثيق عرى المودة والألفة بين المسلمين .

ويقول رحمه الله :

إن الأمراء يفتشون عن المناصب والمراتب والعلماء يعملون على نيل المآرب ولكن هؤلاء وأولئك قد ضلوا الطريق ، فإن العز ليس هذا طريقه ، والطريق القويم نيل العز والفخار هو اتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولقد أوذينا في سبيل الدعوة إلى الله وقوتلنا قتالا شديدا ، ولكننا صبرنا وصمدنا.

ومن كلامه في معنى التقوى :

والتقى ليس مجرد السجود، ولكن بالتفرقة بين الحق والباطل، فالإنسان منكم حين يدخل السوق لمشترى متاعه كيف يفرق بين الطيب والخبيث؟.. فإذا كان يفعل ذلك في أغراضه البسيطة فيجب أن يفعله في بدنه ونفسه فما الإنسان إلا جيفة قذرة تحمل العذرة في عظام نخرة .

ومن كلامه في الوعظ كما في رسالة من رسائله وجهها لأهل الدخنة يقول :

كل نفس كراهة للحق إلا أن يهين الإنسان نفسه عليه . أيضا إن الإنسان ما يترك شيئا إلا خوفا من الله أو خوفا من الوازع ، فالثمرة خوف الله والوازع إذا وافق الحق فهو من أعظم المعونة للمسلمين على طاعة الله . وتدرون أن أعظم الوازع هو الذي يوافق الحق ، ولا يوافق الحق إلا أحد مقدم العلماء.

ويقول محذرا من مغبة الذنوب كما قال تعالى : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ وقال : ﴿ وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ :

إننا معشر المسلمين، يجب علينا أن نعتصم بحبل الله تعالى، وأن نتمسك بسنة نبيه محمد ﷺ ونتبع هداه ونعمل بأوامر الله تعالى وننتهي بنواهيه.. إن كل كلام لا يتبعه فعل فهو باطل ولا صلاح للمسلمين إلا باتحادهم واتفاق الكلمة على توحيد ربهم، وكل خلاف يجر إلى فرقة وانقسام، والدين يأمرنا بالتمسك بشريعة الله والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، كما قال تعالى في محكم تنزيله، وأن نعرف ربنا حق المعرفة ونستعين به على استجابة دعاء الرسول لنا.

نحن لا نخشى إلا من ذنوبنا، ويجب على المسلمين أن يعتصموا بالله ويتخذوا الإسلام دينا ففي ذلك صلاح دنياهم واستقامة أمورهم .

ويقول :

يجب على المسلمين أن يقلعوا عما هم فيه ، فإذا فعلوا فسيغفر الله لهم. لقد غفر الله أعمال عمر في الجاهلية حتى غدا الفاروق في الإسلام ، وغفر لخالد بن الوليد حتى أصبح سيف الله في أرضه .

ويقول :

وعلينا بعد ذلك أن نسأل الله تعالى فهو الذي يقول ﴿ ادعوني أستجب لكم﴾، وها نحن نقول " لبيك اللهم لبيك " ولا يتم ذلك إلا بإخلاص العبادة والدعاء ، فإذا أصلحتم دينكم فأصلحوا الدنيا بالتواصي بالرحمة والتعاضد والتساند والتآخي والتمسك بالاتحاد لكي تكونوا من الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾.. فإن تصبكم حسنة فمن الله، وإن تصبكم سيئة فمن نفوسكم، وانظروا إلى التاريخ كيف كان بنو إسرائيل حينما كانوا متمسكين بدينهم، ثم كيف آل مصيرهم بعد أن غيروا دينهم، فصاروا إلى ما صاروا إليه.

ويقول مبينا بعض أسباب تأخر المسلمين وناصحا إياهم بما يجب عليهم:

نحمد الله تعالى الذي حفظ علينا ديننا وعروبتنا وقوميتنا، وما ذلك إلا ببركة دعوة محمد ﷺ ، فقد أمننا الله في ديارنا وحفظها من الأسواء ووقاها الشرور. وخير ما أنصح به المسلمين أن يتمسكوا بدينهم، ففيه العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ولو اتبع المسلمون أوامر دينهم لفازوا بكل أسباب النجاح والسعادة ولكن- مع الأسف الشديد- فقد دبت في المسلمين عناصر غريبة عن دينهم كانت سببا في انحلالهم وتأخرهم ووصولهم إلى ما صاروا إليه.

ثم قال :

فيجب أن نتعلم من العلوم ما ينفعنا وفي مقدمتها معرفة كلمة التوحيد، وهي كلمة الإخلاص وكلمة السعادة، ويجب أن نعرفها ونفهمها ونعمل بها لأنها كلمة جامعة لخير الدنيا والآخرة، ففيها إفراد الله بالربوبية وتوحيده بالعبودية (لا إله) تنفي العبادة عن غير الله (إلا الله) تثبت له العبادة سبحانه وتعالى، كما يجب أن يتطهر المسلمون من البهرجة والزيف، وأن يتمسكوا بدينهم. وخير ما يجب في هذا الصدد أن يفنى الإنسان في دينه والمحافظة عليه والعمل به ، لما اشتمل عليه من الفضائل، ومن اتخذ الدين نبراسا له أعانه الله، ومن تركه خلف ظهره خذله الله .

أسأل الله أن يرحمنا، ويرزقنا اتباع سلفه الصالحين الذين أقاموا قسطاس العدل، فهم أسوتنا وهم قدوتنا إن شاء الله .

ويقول الشيخ محمد سرور الصبان متحدثا عن فقهه رحمه الله في الدعوة:

أمرني الملك عبد العزيز يوما أن أكتب ما يمليه علي ، فصرت أكتب ما يمليه بلغة مصححة ولما أكمل الإملاء قال لي : اقرأ ما كتبت فقرأته عليه فضحك وقال : إنني أعرف أنك متعلم ، تحسن الكتابة بالعربية الصحيحة ولكني أخاطب بهذه الكتابة أبناء البادية الذين يفهمونها فقلت : سمعا وطاعة وعدلت ما كتبت ، فأعجبه ، وأمر بصدوره.

وكان رحمه الله يحرص دائما على إلقاء كلمة توجيهية ترحيبية بالحجاج كل عام ومن نماذج ما يقول فيها قوله :

فهذا الحديث ــ يعني : الدين النصيحة ــ دستور أخلاقي عظيم ومن واجب كل مسلم العمل به، لأن في اتباعه صلاحا لأحوال المسلمين فيزدادون منعة ونحن نحمد الله على أننا بدأنا نشعر بمثل هذه الروح السامية تدب في نفوس المسلمين، فيعملون على درء كل خطر، ومنع أسباب التخاذل فنرجوه سبحانه وتعالى أن يمن علينا بالاتفاق والاتحاد، فإن الله سبحانه وتعالى قد من على المسلمين بأوامر ونواهي وفرض عليهم الفرائض ولم يأمر- جل وعلا- بأمر إلا وجعل الفوائد بحذافيرها فيه، ولم ينه عن شيء إلا وجعل الشر بحذافيره فيه .

ويقول رحمه الله مقررا أنه لابد للناصح أن يعمل بما ينصح به ليكون له تأثير في القلوب :

إن التناصح ضروري للمسلمين، ولكن يجب على الإنسان ألا ينسى نفسه ليكون لنصحه أثر في القلوب ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ .

ويقول رحمه الله حاثا المسلمين على الإقلاع عن الذنوب والمعاصي ومبينا أن باب التوبة مفتوح :

يجب أن يعتبر المسلمون من حالهم اليوم، فإنهم لم يصلوا إلى ما هم عليه الآن إلا من كثرة أقوالهم وعدم أعمالهم.. إن العمل هو أساس النجاح.. إن العقيدة الصحيحة هي أساس الفلاح.. يجب على المسلمين عموما ، والعرب خصوصا، أن يتدبروا الموقف ويرجعوا إلى ربهم ويحذروا مكره ، فإنه- جل وعلا- مدح مكره فقال ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾

يجب على المسلمين أن يقلعوا عما هم فيه، فإذا فعلوا فسيغفر الله لهم..

إسلاميات الملك عبد العزيز (٥٤)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

قال الشيخ محمد رشيد رضا معلقا على كلام للملك عبد العزيز يبين فيه منهجه في الدعوة إلى الله :

إن ما قرره هذا الملك العربي الهمام من أسباب ضعف المسلمين وتفرقهم هو الحق الواقع الذي لا يقبل المراء ولا المكابرة، وإن ما ذكره من نعم الله تعالى عليه بالإمارة والملك وحب قومه وطاعتهم له صحيح، يعرفه له ولهم كل من له وقوف على تاريخه فيهم، وكذلك ما قاله من حبه للسلم والوفاق. وكذلك قوله إنه مسلم سلفي يدعو إلى الاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه الخلفاء الراشدون ، والأئمة المجتهدون ، فهو حق تشهد له خطبه وسيرته في أحكامه بقدر استعداده واستعداد علماء بلاده، على أي انتقاد يوجه إلى بعض رجال حكومته، منه ما خوطب به، ومنه ما لا يحيط به علما، ومنه ما يقول إنه ضرورات قضى بها ضعف الأمة وضعف استعدادها، وكثيرا ما أشرنا إلى هذا في المنار، وفصلناه لجلالته في المكتوبات الخاصة. وأما الشيء الجديد المهم في الخطبة فهو قوله: "أنا مبشر أدعو لدين الإسلام. ولنشره بين الأقوام " فهذا نعده وعدا منه، لا يمكنه إيفاؤه إلا بتأسيس جماعة ومدرسة للدعوة والإرشاد، كالذي سبق لنا في مصر، والذي قرر مثله المؤتمر الإسلامي الذي عقد في العام الماضي في بيت المقدس .

وكذلك قوله : إنه يبذل كل مجهوداته لتوحيد الأمة العربية، وجمع كلمتها، فهو وعد تطالبه به الشعوب العربية، عالمة أنه أقوى دولها وحكوماتها، وأن مقامه في قلب جزيرتها من الحجاز ونجد يعطيه من قوة المركز ما يزيد قوة جيشه أضعافا مضاعفة، وحسبنا من قوة جيشه وتأمين بلاده، وحفظ مركزه من التعدي الخارجي وتمكنه من العمل ، وإنما يعوزه العلم والمال وهما مما يأتي به الرجال إذا صحت النية ، ووضع النظام لكل عمل من الأعمال ، ومتى وثق المسلمون بهذا فإن عربهم وعجمهم يبذلون له ما يستطيعون من المساعدة ، وفقه الله تعالى ووفق سائر ملوك المسلمين لإحياء مجد الإسلام .

وقد اتفق طائفة من كبار علماء عصره على أنه قد من الله على المسلمين في ولايته بانتشار الدعوة الإسلامية والملة الحنيفية وقمع من خالفها وإقبال كثير من البادية والحاضرة على هذا الدين وترك عوائدهم الباطلة مع ردع أهل المعاصي والمخالفات وإقامة دين الله .

ومن الوسائل الدعوية في عهده رحمه الله الإذاعة التي كانت موظفة في خدمة الدعوة إلى الله وكان له رحمه الله كلمة موجهة للأمة الإسلامية بمناسبة افتتاح أول إذاعة في المملكة وهذا نصها :

أحمد الله الذي جعل من هذا البيت الحرام مثابة للناس وأمنا.. كما أحمده وأشكره – والشكر من نعمائه– أن يسر للناس حج بيته العتيق وجعل قلوبهم تهفوا إليه ، ليشهدوا منافع لهم وتتألف قلوبهم بذكر الله في هذه البقاع الطاهرة التي كانت منزلا للوحي لهدى الناس أجمعين، وأصلي وأسلم على رسول الله الذي بعثه بالهدى ودين الحق...

وبعد.. فإنه ليسرنا أن نخاطب إخواننا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من هذا البيت الحرام، في هذا اليوم المبارك ، ونتناصح ونتواصى بالبر والتقوى وندعو الجميع للتمسك بكتاب الله ، وإخلاص العبادة له وحده ، كما أمرنا ربنا ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين﴾ .. ندعو حجيج بيت الله الحرام لنبذ كل ما يخالف أمر الله واتباع ما أمر الله به، كما ندعو كل المسلمين لأن يجمعوا قلوبهم على كلمة الإخلاص ، وأن يزيلوا ما بينهم من خلافات وأن يعتصموا بحبل الله...هذه دعوتنا لإخواننا المسلمين عامة، ولإخواننا العرب خاصة، وإنا لنرجو الله مخلصين أن يتقبل من إخواننا حجاج بيت الله الحرام حجهم وأن يستجيب دعاءهم ، وأن يعيدهم إلى أهليهم فائزين، غانمين بغفرانه ورضوانه وأن يهدينا جميعا سواء السبيل..والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته....

ولقد نص التمهيد للسياسة الإعلامية للمملكة في عهده رحمه الله على أنها تنبثق من الإسلام الذي تدين به الأمة عقيدة وشريعة وتهدف إلى ترسيخ الإيمان بالله عز وجل في نفوس الناس والنهوض بالمستوى الفكري والوجداني للمواطنين وإلى معالجة المشكلات الاجتماعية وغيرها وإلى تعميق مفهوم الطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر والحض على احترام النظام وتنفيذه عن قناعة

وتنص المادة الأولى على أن يلتزم الإعلام السعودي بالإسلام في كل ما يصدر منه ويحافظ على عقيدة سلف هذه الأمة ويستبعد من وسائله جميعها كل ما يناقض شريعة الله التي شرعها للناس .

وتنص المادة الثانية والعشرون على أن يؤكد الإعلام السعودي أن الدعوة إلى الله بين المسلمين وغيرهم قائمة دائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولذلك فهو يقوم بنصيبه في أداء هذا الواجب الجليل سالكا في دعوته إلى الله سبيل الحكمة والموعظة الحسنة معتمدا على مخاطبة الفكر ومبتعدا عن كل ما من شأنه أن يثير حفائظ الآخرين .

وعلى الرغم من محاولة البعض إدخال بعض الأناشيد الدينية والأغاني الشعبية في الإذاعة إلا أن تلك المحاولات باءت بالفشل ليقظة المسؤولين فقد كانت الإذاعة تحمل اسم مكة المكرمة آنذاك فكيف يرتبط هذا الاسم بالموسيقا والغناء وفيها ما يخالف تعاليم الإسلام .

ومما يذكر للملك عبد العزيز في الوقت نفسه حكمته في منع الكتب والنشرات والتصاوير المخلة بالأخلاق والعقائد من دخولها إلى بلاده وقد بلغ من زيادة حرصه على أخلاق شعبه أنه كان قد أمر بوضع قانون للجمارك يمنع بموجبه استيراد كافة أدوات الملاعب والملاهي مثل النرد والورق وما أشبه ذلك من الأشياء التي تلهي الناس عن واجباتهم وتضيع عليهم أوقاتهم.

وقد عرض أمام الملك عبد العزيز وهو على المدمرة الأمريكية شريط تسجيلي عن حاملة طائرات وقد أبدى إعجابه بالشريط ثم أردف قائلا: أشك في أنه من الخير أن يكون لقومي مثل هذه الأشرطة البديعة لأن ذلك قد يقوي شهوتهم للاستمتاع الذي قد يصرفهم عن واجباتهم الدينية .

وقال بوش رئيس تحرير مجلة لايف في المجلة : فالمملكة على سبيل المثال لا تسمح بوجود دور سينما على أراضيها.

إسلاميات الملك عبد العزيز (٥٥)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

لقد عرف عن الملك عبد العزيز رحمه الله محبته للمعرفة والإنفاق في سبيلها وتبنيه لها في إطار بناء الدولة السعودية، حيث جعلها من الأسس المهمة المكونة لمنهج البناء والتأسيس .

يقول الشيخ محمد حامد الفقي في خاتمة طبع كتاب القول الفصل النفيس المطبوع على نفقة الأمير سعود واصفا والده بقوله :

....أمير المؤمنين وعظيم الموحدين عز الإسلام وسيد الجزيرة باعث نهضتها ومحيي مواتها وموقظها من طويل غفلتها وباسط رواق الأمن على عامرها وغامرها وسهلها وجبلها خادم الحرمين الشريفين وحامي حماهما ومطهرهما ومقدسهما بإقامة العدل والحق وشرعة الإسلام في ربوعها جلالة الملك عبد العزيز آل سعود عبد الرحمن الفيصل آل سعود مد الله في دولته وأدام تأييده وتوفيقه ونصره وتسديده وأطال حياته المباركة في عز الإسلام وخير العرب والمسلمين .

.....ذلك هو الإمام المجاهد البائع نفسه وماله لله ولدين الله ولإعلاء كلمة الله الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود أيد الله دولته وأعلى في الخافقين كلمته ، فإنه بسعيه المشكور وعمله المبرور قد أعاد للتوحيد جدته بما بذل من الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال في قمع البدع الخرافية ونصر ونشر السنن النبوية وقد تعدى سعيه المشكور حدود الجزيرة وذهب مشرقا ومغربا مع هذه الكتب السلفية النافعة التي طبعها ونشرها في الناس فكان لها بحمد الله أعظم الأثر في جلاء وجه الإسلام وتنقية عقائده إبرازها للناس بيضاء صافية كما جاء بها رسول الله ﷺ وعلى ما هدى الله السلف الصالح بها فأخرجهم من الظلمات إلى النور وهداهم بها إلى أقوم الطريق وأسعد العيش وأهنأ الحياة في الدنيا والآخرة .ا.هـ

ويقول عبد الفتاح قتلان مدير المطبعة السلفية بمكة : إن البراهين العملية الملموسة أفصح لسانا وأسطع نورا من كل برهان سواها . وإن ما نراه الآن في هذه الديار الحجازية المباركة من الأعمال النافعة إنما هي ثمرة أمرين اثنين : أولهما : التشجيع والتنشيط من حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود أطال الله بقاءه .

والثاني : استقرار الأمن والعدل بما لم يسبق له مثيل في الحجاز ، اللهم إلا في زمن السعادة وعهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين، وإن المطبعة السلفية قد عزمت بحول الله وقوته على بذل مافي الطاقة لتحقيق أماني جلالة الملك المعظم بنشر المعارف الإسلامية وطبع الكتب التي ألفها أئمة السلف الصالح وعلماء الأمة في بيان الدين الخالص.

وقد ارتبطت حركة إحياء التراث في الجزيرة العربية في العصر الحديث باسم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الذي اهتم برعاية العلم والمعرفة منذ بداية حياته، على الرغم من انشغاله بالجوانب السياسية والعسكرية التي تتطلبها ظروف تأسيس أي دولة جديدة. وقد بدأ الملك عبد العزيز حركة إحياء التراث هذه برعايته

للمجالس العلمية التقليدية تأسيا بالسلف الصالح، فقد كان- يرحمه الله- يجلس بعد صلاة العشاء في مجلس خاص بقصره يحضره العلماء وأرباب المعرفة.

ويصف خير الدين الزركلي هذا المجلس بقوله: كانت الطريقة في هذا الدرس اليومي أن يجلس القارئ وهو موظف رسمي من رجال العلم بهذا الشأن في أقصى مقعد من يسار الملك وأمامه مصباح كهربائي يدير زره فيضيء ويفتح كتابا فيقرأ منه فصلا بعد الفصل الذي قرأه في الدرس السابق ثم يغلقه ويقرأ فصلا آخر من كتاب آخر، والعادة أن يبدأ بتفسير القرآن ويثني بالتاريخ .

ومن جهود الملك عبد العزيز في إحياء التراث السلفي ونشر المعرفة الدينية الصحيحة ، قيامه بطبع عدد من المصادر الإسلامية المعروفة على نفقته الخاصة، وتوزيعها على المسلمين في الجزيرة العربية بصفة خاصة وأنحاء العالم العربي والإسلامي بصفة عامة. وتبلورت هذه الجهود والإنجازات في حركة علمية فريدة في الجزيرة العربية صاغها الملك عبد العزيز بأياديه البيضاء على العلم والعلماء، وخاض بها معركة حضارية على ساحة الفكر والمعرفة في أنحاء العالم العربي والإسلامي في زمن كاد يشهد اختفاء الاهتمام بالتراث الإسلامي الأصيل والعناية به ، نتيجة لظهور تحديات فكرية جديدة على المنطقة .

وكان الملك عبد العزيز سخيا في الإنفاق على إحياء التراث الإسلامي رغم ضعف الإمكانات المادية في تلك الفترة المبكرة، والحاجة إلى تدعيم الجهود العسكرية والسياسية المتعلقة بتوحيد المملكة ، وذلك لشدة حرصه على خدمة العلم والمعرفة الشرعية ، وهذا ما وصفه أحد الباحثين بالجهاد الفكري للملك عبد العزيز .

وليس من المبالغة القول بأن التشجيع الكبير الذي قدمه الملك عبدالعزيز للعلم والمعرفة، أدى إلى انتشار الكثير من المؤلفات النافعة، وتأصيل الدعوة السلفية في العالم العربي والإسلامي. ومن الأدلة على هذا ذلك الكم الكبير من ذخائر التراث الإسلامي ونفائسه التي طبعت على نفقة جلالته أو حظيت بدعمه وتوجيهه .

وباستعراض مجموعة من المؤلفات التي طبعت على نفقة الملك عبد العزيز خلال حياته تتضح لنا السمات الآتية :

أولا : تركيز هذه المؤلفات على كتب أعلام السلف مثل ابن حنبل وابن قدامة وابن تيمية وابن القيم وغيرهم .

ثانيا: تنوع موضوعاتها حيث تشمل العقيدة والتفسير والفقه واللغة العربية وآدابها والتاريخ الإسلامي والجغرافيا والأنساب وغيرها .

ثالثا: نشر كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلامذته بهدف نشر حقيقة دعوة الشيخ والرد على أصحاب الأقاويل المعادية لها.

رابعا : تعدد المطابع التي طبعت فيها تلك المؤلفات .

وقد أنفق رحمه الله على طباعة الكتب مبالغ باهظة وطبع مئات الألوف من النسخ خلا الكتب المشتراة من طابعيها أو مؤلفيها والمساعدات المالية التي يتناولها الكتاب والمؤلفون تشجيعا للعلم ، وقلما كان يصل بريد إلى العقير مرفأ نجد على الخليج العربي أو جدة مرفأ الحجاز على البحر الأحمر لا يحمل بين مشحوناته طرودا من

الكتب المطبوعة الواردة باسم ديوان جلالة الملك الخاص لتوزيعها مجانا ابتغاء مرضاة الله وحبا في نشر العلم والثقافة .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٥٦)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

أسماء الكتب التي طبعت على نفقة الملك عبد العزيز :

بدأ الملك عبد العزيز طباعة الكتب على نفقته الخاصة منذ فترة مبكرة في حياته وبسنوات كثيرة قبل دخوله الحجاز وهذه قائمة ببعض تلك الكتب:

١- التوحيد الذي هو حق الله على العبيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب

٢- منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس من تأليف الشيخ عبد اللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الرد على أقوال العراقي داود بن جرجيس الذي ألف رسالة بعنوان "صلح الإخوان " ضمنها آراءه المضللة في الدعوة والشيخ.

٣- المواعظ السنية في الخطب النجدية . للشيخ محمد بن عبد الوهاب وأحفاده في الترغيب والترهيب والعيدين.

٤- الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية . للشيخ سليمان بن سحمان والتي يرد فيها على رسالة محمد عطا الله من أهل الشام بعنوان "الأقوال المرضية في الرد على الوهابية"

٥- تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين للشيخ سليمان ابن سحمان والتي يرد فيها على ما نسبه البعض إلى الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني من افتراءات ضد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٦-كشف الشبهات التي أوردها عبد الكريم البغدادي في حل ذبايح الصلب وكفار البوادي للشيخ سليمان بن سحمان تناول فيها تفنيد فتوى عبد الكريم البغدادي المضللة بشأن حكم أكل ذبائح عشائر الصلب وكفار البدو.

٧- روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام للشيخ حسين بن أبي بكر بن غنام ويعد من أوائل مصادر تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

٨- البيان المبدي لشناعة القول المجدي للشيخ سليمان بن سحمان الذي يرد فيه على أقوال محمد سعيد بن محمد بابصيل.

٩- التحفة العراقية في الأعمال القلبية للشيخ سليمان بن سحمان ويتضمن كلمات مختصرة في أعمال القلوب وأصول الإيمان والاعتقاد.

١٠،١١- المغني لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة

الشرح الكبير لشمس الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن محمد ابن أحمد بن قدامة . وهذان الكتابان في الفقه الحنبلي ويعدان من أعمدة كتب الفقه الإسلامي لسعتهما الموضوعية. وتمت طباعة هذين الكتابين في كتاب واحد .

ويقول رشيد رضا في نهاية المجلد الثاني عشر بعد أن عاش رحلة ثمان سنوات مع طباعة هذين الكتابين :

ولولاه – أي الملك عبد العزيز – لما أقدمنا ولا أقدم غيرنا على طبعه لأن التجار لا يقدمون على طبع اثني عشر مجلدا في الفقه الحنبلي لأحد فقهاء مذهب الإمام أحمد مع قلة الحنابلة في الأمصار وفقرهم وقلة من يعلم أن هذا الكتاب هو في فقه الإسلام في جملته لا فقه الحنابلة وحدهم.

١٢،١٣- تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير

معالم التنزيل للحسين بن مسعود الفراء الشيخ أبو محمد البغوي

وهما كتابان في التفسير تم دمجهما في كتاب واحد في تسع مجلدات

وأشار محمد رشيد رضا في نهاية الكتاب إلى فضل الملك عبد العزيز في نشر هذا السفر فقال :

وينبغي أن ننوه في هذه الخاتمة بما كان للإمام عبد العزيز آل سعود من الفضل المأثور والسعي المحمود المشكور ، لنشر هذا الكتاب العظيم الجليل النفع ، وكذا غيره من الكتب الدينية التي تنفع المسلمين في معاشهم ومعادهم فالمرجو من قارئه أن يدعو له ولنا بخير . أدام الله توفيقه ، ونفع المسلمين به ، والحمد لله وحده أولا وآخرا وباطنا وظاهرا .

١٤- إرشاد الطالب إلى أهم المطالب، للشيخ سليمان بن سحمان

١٥- منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع. للشيخ سليمان بن سحمان

١٦،١٧- روضة الناظر وجنة المناظر لشيخ الإسلام موفق الدين ابن قدامة

شرح الروضة "نزهة الخاطر العاطر" للشيخ عبد القادر بن أحمد مصطفى بدران الدمشقي.

وفي خاتمة الكتاب أثنى الشيخ عبد القادر بدران الدمشقي على جهود الملك عبد العزيز العظيمة في مجال إحياء مآثر السلف ونظم أبياتا من الشعر تعبيرا عن ذلك فقال :

رفعته هدية لمقام تحسد النجوم علاه . ويحمد كل سار عند صباح الملتقى سراه .

لقد حسنت بك الأوقات حتى كأنك في فم الدهر ابتسام

مقام جامع للسيف والقلم ، وماحي ظلام البدع بعد ماعم بحرها وطم.

بينما تراه يحيي مآثر ما اندرس من السلف الكرام ، إذا به يقوم في نصرة الحق بالرأي والسنان . وبينما نجده تتفجر ينابيع العلم والحكمة من لسانه إذا به

يقوم مقام الجيش تقطيب وجهه ويستغرق الألفاظ من لفظه حرف

سليل العرب أولي البلاغة واللسن ، ومحبوب آل قحطان و عدنان بفعله الحسن .

تفكره علم ومنطقة حلم وباطنه دين وظاهره ظرف

الملك المفدى بالأرواح ، الباذل نفسه في إرضاء فالق الإصباح

(الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود)

تلقاه يقطر سيفه وسنانه وبنان راحته ندى ونجيما

لازالت الليالي تبتسم بوجوده ، والعدل مرفوع العماد وبمنطقه وبجوده ، والشريعة المحمدية تحقق بأنه المجدد لها ، والمذهب الأحمدي به يرتفع فوق السها . والكتاب والسنة يحمدان فعاله ، والنصر من الله تعالى يلازم صوارمه ونصاله . ولازالت قبته تضرب على التوفيق وحسن الحظ، وللمجد روحا ولغيره النطق باللفظ ، ما أقيمت الصلاة في المساجد ، وسبح الله تعالى الراكع والساجد .

وقال محب الدين الخطيب في مقدمة كتاب روضة الناظر :

ومن خير ما وفق الله له الإمام ناصر السنة ، محيي آثار السلف ، السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود حفظه الله وأحسن له المثوبة ، أمره بطبع هذا الكتاب النفيس تعميما لنفعه ، مع شرحه الذي وضعه له الأستاذ العلامة المحقق الشيخ عبد القادر بدران الدمشقي فأجاد فيه وأفاد .

١٨- الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية للشيخ سليمان بن سحمان. ويرد المؤلف في هذا الكتاب على ما افتراه عبد القادر الإسكندراني في كتابه "النفحة الزكية في الرد على شبه الفرقة الوهابية"، ووضع ابن سحمان في الكتاب خمس رسائل للإمام عبد العزيز الأول والشيخ محمد بن عبد الوهاب، والشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، والشيخ حمد بن ناصر بن معمر، والشيخ محمد بن عبد اللطيف، وذلك لإيضاح حقيقة عقيدة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

١٩- الضياء الشارق في رد شبهات المازق المارق للشيخ سليمان بن سحمان يرد فيه على رسالة مخالفة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من تأليف جميل أفندي صدقي الزهاوي ، وعنوانها "الفجر الصادق "

٢٠- مجموعة التوحيد النجدية الذي يتضمن كتاب التوحيد وعدد من الرسائل المتعلقة بالعقيدة للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ورسائل لبعض علماء نجد في مسائل الدين أيضا .

٢١- مجموعة رسائل وفتاوى في مسائل مهمة لعلماء نجد الأعلام من الحجم الصغير جدا يتضمن خمس رسائل في أمور العقيدة والفقه للشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ عبد الله بن عبدالعزيز العنقري، والشيخ سليمان بن سحمان .

٢٢- النفحة القدسية والتحفة الأنسية للشيخ أحمد بن عبد القادر الحفظي، ويحتوي على منظومة شعرية للمؤلف تحث على الالتزام بأداء شعائر الله تعالى وقيام الليل.

٢٣- فضل علم السلف على الخلف للإمام أبي الفرج زين الدين عبدالرحمن بن رجب .

وقال المعلق : فاحتجنا لإعادة طبعه مرة ثانية لاسيما وأن دولة الحجاز ونجد قررت شراء كمية وافرة منه لتبثه في أنحائها وتوزعه على أبنائها .

٢٤- الآداب الشرعية والمنح المرعية لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي ، الذي تناول فيه أهم الآداب الإسلامية وركائز العقيدة وسلوك الإنسان في العبادة ومعانيها الدينية العظيمة مستمدا مادته من القرآن والسنة وآثار السلف والأدباء.

وفي خاتمة الطبع قال محمد رشيد رضا :

أمر بطبعه الإمام العادل والملك الصالح عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد ومحيي السنة ومجد العرب في هذا العصر أثابه الله تعالى وقد أرسل إلينا نسخة منه مؤلفة من جزأين من خزانة الكتب السعودية في الرياض .

٢٥- روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم الذي قام على نشره والتعليق عليه المحقق السوري أحمد عبيد ولقد عبر أحمد عبيد عن ثنائه وتقديره لجلالة الملك عبد العزيز الذي أمر بطباعة الكتاب على نفقته بأبيات في المقدمة فقال :

فاتحة الثناء

على صاحب الجلالة السعودية الملك عبد العزيز المعظم

يابابي الملك مرفوعًا قواعـده	على دعائم من يمن وإيمـان
أعدت للعرب مجدًا عز شـاهقه	وقمت تنشر من علم وعـرفان
جمعت فيه من الإسـلام منشعبا	وفي يديك من التوفيق سيفان
سيف من العلم لاتنبو مضـاربه	يمضي بعضب من الأعداء ريان
والملك إن لم يحطه السيف منصلتا	والعلم كان إلى هون وإيهـان
بقية للشرق والإسـلام مفخرة	تطوي وتنشر من دهر وإحسان
ولا عدتك من الرحمن نصـرته	ولا تخطاك منه فضل سـلطان

وكتاب آخر تفضل جلالة الملك عبد العزيز بشراء ألف نسخة منه لتوزيعها مجانا على المسلمين للإفادة منه باعتباره من المصادر الشرعية المعروفة وهو كتاب :

٢٦- طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن القاضي أبي يعلى بن الفراء، الذي يتضمن طبقات كبار المحدثين من كل مذهب وتراجم الشيوخ والفقهاء من عصر الإمام أحمد بن حنبل إلى أوائل القرن السادس الهجري .

وقال أحمد عبيد في تقديمه لطبقات الحنابلة :

ولابد لنا من الإشادة هنا باليد المشكورة التي أسداها صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها الإمام عبد العزيز فقد تكرم أيده الله بمشترى ألف نسخة من هذا الكتاب ، وألف آخر من روضة المحبين لتوزع مجانا وهي منة لجلالته طارفة تضاف إلى مننه السالفة جزاه الله تعالى عن العلم وأهله الجزاء الأوفى ووفقه وأنجاله الكرام إلى إعلاء كلمة الدين وإحياء سنة المصطفى ﷺ .

وتضمنت جهود الملك عبد العزيز المباركة في رعاية العلم الشرعي الاهتمام بتطوير وسائل الطباعة في الحجاز بعد دخولها، لتتمكن من المشاركة في خدمة التراث الإسلامي والمعرفة في المنطقة

وأسهمت مطبعة أم القرى بمكة المكرمة- بعد أن تم تطوير حروفها ووسائل طباعتها- في إخراج العديد من المؤلفات الشرعية المفيدة

ومن أوائل المطبوعات التي طبعت في مطبعة أم القرى على نفقة جلالته الخاصة مما لم يسبق له ذكر :

٢٧- جامع المسالك في أحكام المناسك للشيخ عبد الله بن بليهد

٢٨- الدرر السنية في الأجوبة النجدية الذي يتضمن مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد وقام الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم بجمع هذه الرسائل. وتقع هذه المجموعة في ثمانية أجزاء تتضمن موضوعات العقائد والتوحيد والأسماء والصفات والعبادات والنكاح والبيع والجهاد وحكم المرتد، وتعد هذه المجموعة من أكبر مجموعات الدعوة الإصلاحية وأضخمها.

إسلاميات الملك عبد العزيز (٥٨)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

مازلنا مع الكتب التي طبعت على نفقة الملك عبد العزيز رحمه الله

٢٩- رسالة تحفة السلطان في وتر رمضان للشيخ محمد سلطان المعصومي الخجندي ، المهاجر المدرس بالمسجد الحرام ودار الحديث بمكة المكرمة، الذي تناول فيه ما ورد وصح من الأحاديث والآثار وأقوال الأئمة في مسألة صلاة الوتر في رمضان وقد أثنى على جهود الملك عبد العزيز العظيمة في تطهير الحرمين الشريفين من البدع والخرافات ونشر الأمن في المنطقة.

ويقول محمد سلطان المعصومي الخجندري :

رأيت في الحرمين أشياء قد سرتني منها هدم قباب القبور التي كانت من أضر الأشياء على عقيدة سخفاء العقول فأزالتها الدولة السعودية ومنها تأمين البلاد والطرق بحيث حصل الأمن العام حتى أن الحاج الواحد يروح إلى المدينة ويرجع سالما وآمنا بلا خوف ولا خطر ولو كان معه مئات الجنيهات من الذهب ومنها توحيد الجماعة في الصلوات الخمس في المسجدين الشريفين وأمماء الجماعات المتعددة المرتبة الناشئة عن سوء النيات وفساد القلوب والشقاق والافتراق فحمدت الله تعالى على هذا التوفيق وفق الله تعالى رجال الحكومة السعودية وعامة المسلمين لسلوك أقوم الطريق .

٣٠- أوضح البرهان في تفسير أم القرآن للمؤلف نفسه تناول فيه ما ذكره السلف حول تفسير سورة الفاتحة ومعانيها الواسعة. ولقد عبر المؤلف عن تقديره لجلالة الملك عبد العزيز الذي تولى طباعة كتابه على نفقته الخاصة بعد أن انتهى منه ولم يتمكن من طباعته بنفسه، لأنه كان مهاجرا وليس لديه ما يكفي لذلك.

قال الشيخ عبد الكريم الخجندي :

الحمد لله الذي وفقني لتأليف كتابي أوضح البرهان في تفسير أم القرآن ثم بعد أن أتممت تشبثت لطبعه ونشره بين الإخوان من أهل الإيمان وكانت بضاعتي قاصرة عن مؤونة الطبع لكوني غريبا مهاجرا شاردا عن بلادي الظالم أهلها صفر اليدين ومع ذلك كنت لا أقطع رجائي عن إتمام ما قصدت فعرضته على محيي السنة وناصرها وقامع البدعة الملك المعظم ملك المملكة العربية السعودية عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود أيده الله تعالى فأمر بطبعه على نفقته زاده الله تعالى توفيقا ونصرا للسنة .

٣١- الزهد للإمام أحمد بن حنبل، الذي يتناول بالوصف والتحقيق لزهد عدد من صفوة المسلمين.

٣٢- السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل، الذي يتناول مسألة أقوال العلماء في الجهمية والقدرية والمرجئة، وغيرها من المسائل العقدية.

٣٣- دليل لمناسك الحج على المذاهب الأربعة لتوزيعه على الحجاج والمطوفين مجانا والاستفادة من الأحكام والأدعية المتعلقة بالحج .

وفي خاتمة كتاب مناسك الحج على المذاهب الأربعة بتوقيع مدير المعارف العام محمد بن مانع ورئيس القضاة عبد الله بن حسن قالا :

وقد تفضل الإمام المعظم رحمه الله ... بالأمر بطبع هذه المناسك لتوزيعها على الحجاج والمطوفين تحصيلا للفائدة وليتقيدوا بما فيها ولايزيدون عليها ما لم يشرع وما لم يثبت عن السلف الصالح وفقه الله تعالى لكل خير وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرا .

٣٤- تقويم الأوقات لعرض المملكة العربية السعودية الذي أمر بوضعه وطبعه جلالة الملك عبد العزيز على نفقته الخاصة تسهيلا للمسلمين وإحياء لهذا الفن الجميل.

ومما طبع في مطابع أخرى غير أم القرى :

٣٥- أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار لأبي الوليد محمد بن عبدالله الأزرقي. ويعد هذا الكتاب من أوائل المصنفات في تاريخ البلد الحرام، وقام بتصحيح الكتاب والتعليق عليه ومطابقة النسخ رشدي الصالح ملحس. وقد عبر في مقدمة الكتاب عن جهود جلالة الملك عبد العزيز في نشر العلم التي نتج عنها ما أسماه بالنهضة العلمية.

٣٦- مبادئ السيرة للشيخ عبد الله خياط الذي يحتوي على نبذة مختصرة جدا عن سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام وهو كتاب مدرسي .

٣٧- عنوان المجد في تاريخ نجد للمؤرخ عثمان بن بشر.

٣٨- تاريخ عمارة المسجد الحرام لحسين عبدالله وبين المؤلف جهود الملك عبد العزيز في عمارة المسجد الحرام .

ومما طبع على نفقته أيضا :

٣٩- مجموعة متون تشمل العقيدة الواسطية لابن تيمية ، ثلاثة الأصول وأدلتها ، شروط الصلاة وأركانها وواجباتها ، الأربع القواعد في التوحيد ، آداب المشي إلى الصلاة ، أحكام الزكاة والصيام كلها لمحمد بن عبد الوهاب ، متن الآجرومية ، متن الرحبية في الفرائض .

٤٠- مختصر المقنع في فقه الإمام أحمد للشيخ أبو النجا .

٤١- مجموعة الحديث وتشمل عدة كتب : الأربعين النووية وعمدة الأحكام للمقدسي وفضل الإسلام وأصول الإيمان والكبائر ونصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين لمحمد بن عبد الوهاب ، الرسالة السنية في الصلاة ، الصلاة ، الوابل الصيب من الكلم الطيب .

٤٢- تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة للشيخ سليمان بن سحمان .

٤٣- مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ .

٤٤- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب .

٤٥- الأسنة الحداد في كشف شبهات علوي حداد للشيخ سليمان بن سحمان .
٤٦- البداية والنهاية لابن كثير
٤٧- مجموعة رسائل وفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية
٤٨- مختصر الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية
٤٩- جامع الأصول، لابن الأثير
٥٠- شرح تهذيب سنن أبي داود، لابن القيم
٥١- معالم السنن، للخطابي
٥٢- مختصر السنن، للمنذرى
٥٣- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، لابن خزيمة
٥٤- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.

ومما طبع على نفقته أيضا :

٥٥- شرح الطحاوية ، في العقيدة السلفية للطحاوي

٥٦- الصواعق المرسلة، لابن قيم الجوزية

٥٧- تلخيص الاستغاثة، لابن تيمية

٥٨- الرد على المنطقيين، لابن تيمية

٥٩- كشف غياهب الظلام، لسليمان بن سحمان

٦٠- مصباح الظلام، للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن

٦١- تأسيس التقديس، للشيخ عبد الله بابطين

٦٢- كشف الشبهات، للشيخ محمد بن عبد الوهاب

٦٣- النفحة القدسية، للشيخ أحمد الحفظي العسيري

وطبعت على نفقته كتب كثيرة في الهند ومصر ولم يذكر اسمه عليها كلها وجاء على بعض مطبوعاته في الهند أنها "طبعت على نفقة من قصده الثواب من رب الأرباب " .

يقول الزركلي :

ولدينا عشرات من كتب التفسير والحديث والتاريخ والأدب، القديمة والحديثة، أمر بشراء مجموعات منها، كبيرة وصغيرة، لتوزيعها مجانا لا يعنينا استقصاؤها هنا. ونذكر بعضها على سبيل المثال :

١) تفسير القرآن الحكيم، للسيد محمد رشيد رضا ١٢ مجلدا

٢) تفسير سورة الإخلاص، لشيخ الإسلام ابن تيمية

٣) الفتح الرباني ، في ترتيب مسند الإمام أحمد، للساعاتي

٤) السنن الكبرى، للبيهقي

٥) مسند الإمام أحمد

٦) جامع الترمذي ، وشرحه تحفة الأحوذي

٧) المستدرك على الصحيحين ، للحاكم النيسابوري

٨) فيض الباري على صحيح البخاري ، للكشميري

٩) نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية، للزيلعي

١٠) تذكرة الموضوعات، لمحمد بن طاهر الهندي

١١) حياة محمد ﷺ للدكتور هيكل باشا

١٢) قلب جزيرة العرب ، لفؤاد حمزة

١٣) الفصول في سيرة الرسول ﷺ ، لابن كثير
١٤) سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لأحمد العطار
١٥) حاضر العالم الإسلامي ، للأمير شكيب أرسلان
١٦) لماذا تأخر المسلمون، للأمير شكيب أرسلان
١٧) الأحكام السلطانية لأبى يعلى الفراء
١٨) كشاف القناع، للبهوتي
١٩) شرح منتهى الإرادات. للبهوتي
٢٠) زادالمستقنع، لشرف الدين الحجاوي
٢١) عمدة الفقه، لموفق الدين ابن قدامة
٢٢) مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي
٢٣) العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لابن عبد الهادي
٢٤) الفروسية، لابن قيم الجوزية
٢٥) عمدة الأخبار في مدينة المختار، لأحمد بن عبد الحميد
٢٦) يسر الإسلام ، للسيد محمد رشيد رضا
٢٧) تاريخ القرآن الكريم وغرائب رسمه وحكمه، لمحمد طاهر الكردي
٢٨) خديجة أم المؤمنين، للسيد عبد الحميد الزهراوي

ومن تشجيع جلالة الملك عبد العزيز للعلم ونشر المعرفة دفع الكثير من التجار والمهتمين إلى طباعة بعض الكتب خصوصا تلك التي ترد على المخالفين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن ذلك :

– كتاب "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان" تأليف الشيخ السلفي محمد بشير السهسواني الهندي

ومن جوانب رعاية جلالته للعلم والمعرفة تشجيع أبنائه على نشر الكتب الشرعية، وتقديم كل الدعم اللازم من أجل ذلك. ومن صور هذا التشجيع ما قام به صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبد العزيز من الأمر بطباعة عدد من الكتب، منها :

– مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ

– القول الفصل النفيس في الرد على المفتري داود بن جرجيس للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.

والجدير بالذكر أن مطبوعات المنار التي على نفقته رحمه الله كان يكتب عليها :

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ومحيي السنة المحمدية الإمام عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها .

أو : طبع بأمر صاحب العظمة السلطان عبد العزيز آل سعود إمام نجد وملحقاتها لازال ناشرا للعلم والدين ومعزا للإسلام والمسلمين .

وكذا في مطبوعات مطبعة الترقي بدمشق بعناية أحمد عبيد .

وفي مطبوعة المكتبة السلفية بمصر لروضة الناظر بعناية محب الدين الخطيب كتب على الغلاف :

أمر بطبعه الإمام القائم على حدود الشريعة محيي آثار السلف السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود أدام الله توفيقه لصادق القول وصالح العمل .

إلى الأسد الغضوب، إلى هزبر البادية، إلى بطل العرب، إلى سيد العرب أجمع ، إلى ناشر علوم القرآن وسنة النبي الكريم.

يقول الدكتور فهد السماري :

تتربع هذه الكلمات وغيرها من العبارات المملوءة بالمشاعر الفياضة والعمق العاطفي والرأي الحقيقي على عدد من المؤلفات العربية بمثابة إهداءات موجهة من عدد كبير من المؤلفين والأدباء العرب والمسلمين إلى جلالة الملك عبد العزيز تقديرا ووفاء لإنجازاته العظيمة وشخصيته الفريدة. ولأن الإهداء يعد مظهرا من مظاهر الإعزاز والتكريم فمن الطبيعي أن تتجه إهداءات كثيرة إلى جلالته لما حققه من أعمال جليلة على أرض الواقع وبطولات عظيمة أدت إلى تأسيس دولة عربية ذات رسالة إسلامية واضحة في أرض الجزيرة العربية .

فقد دون عدد كبير من العلماء والمفكرين العرب والمسلمين إعجابهم بالملك عبد العزيز من خلال الكتابة عنه أوإهداء ما أنجزوه من أعمال علمية وأدبية لجلالته في وقت كان خاليا من وسائل الاتصال التي نعرفها اليوم، وبعيدا عن جو المجاملة والإغراءات المادية .

فقد عبر العالم الشرعي والأديب والمؤرخ والفيلسوف والمفكر والعالم والطبيب عن مشاعرهم المتميزة تجاه الملك عبد العزيز الذي رأوا فيه رجلا ناصرا للدين وقائدا للعرب والمسلمين ومساندا لعلماء الأمة وحكيما من حكماء العرب، ووجدوا فيه الرجل الصادق في سياسته وإخلاصه للقضايا الإسلامية والعربية. لذا لم يكن الملك عبد العزيز مجرد حاكم لدولة محدودة داخل الجزيرة العربية فحسب، بل كان بالنسبة لجميع العرب والمسلمين أملهم الوحيد (بعد الله سبحانه) وقائدهم العظيم.

ولإعجابهم وتقديرهم لشخصيته وجهوده الكبيرة اجتاز العلماء والمفكرون حدود بلادهم كي يعبروا عن ولائهم وحبهم للملك عبدالعزيز . وجاء هذا التعبير على هيئة إهداءات وتوقيعات شخصية تم تسجيلها على مجموعة كبيرة من المؤلفات متعددة الموضوعات والتخصصات. وليس من المبالغة القول بأن الإهداءات الموجهة للملك عبد العزيز والتي سطرها المؤلفون على صفحات وأغلفة مؤلفاتهم، التي هي نتاج عقولهم وتجاربهم، تعد من أمثل الشهادات العربية والإسلامية لمؤسس المملكة العربية السعودية وباني الدولة العربية الحديثة القائمة على المنهج الإسلامي الواضح .

ويلاحظ أن مؤلفي تلك الكتب المهداة للملك عبد العزيز هم من جنسيات متعددة في أنحاء العالم العربي والإسلامي. وليس غريبا أن نجد من ضمن هؤلاء المؤلفين من هم من العرب المهاجرين إلى الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية الذين عبروا عن ولائهم وتقديرهم لجلالة الملك عبد العزيز رغم البعد المكاني وتعذر وسائل الاتصال المعروفة اليوم . من هؤلاء :

إمام شافعي أبو شنب في كتابه " إلى بيت الله الحرام " وهو يعبر من خلال إهدائه هذا عن تقديره لجهود جلالته العظيمة في الجزيرة العربية وخصوصا في أرض الحرمين الشريفين التي شهدت الأمن والاستقرار، وهو الشيء الذي لمسه وشاهده شخصيا أثناء رحلته التي قام بها إلى المنطقة ودونها في هذا الكتاب .

وقد أهدى فؤاد شاكر كتابه أدب القرآن له فقال : إلى حارس الشريعة الإسلامية ومحيي السنة المحمدية الملك الصالح المصلح والإمام العادل المرشد الداعي إلى الله والعامل بشريعته صاحب الجلالة .... أيده الله نهدي هذه الثمرة التي هي من غرس نعمته والفنن الذي هو من أصل دوحته أبقاه الله ذخرا للعلم ونصيرا للدين وإماما للإرشاد .

وأما أحمد عبد الغفور عطا فقال في إهدائه لكتاب محمد بن عبدالوهاب : إلى حضرة صاحب الجلالة .... يا صاحب الجلالة إنك قد أعدت للإسلام عزته وللدين مجده وللشعب العربي عظمته وجعلت كلمة الله هي العليا ، فإليك يا عاهل المملكة العربية وحامي الدين الإسلامي أقدم سيرة هذا الزعيم الديني العربي الكبير ، شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب الذي نصر دعوته من قبل آباؤك الأمجاد البسلاء آل سعود ونصرتها أنت اليوم وشيدت الدولة الإسلامية على قواعد العدل والدين والفضيلة فتقبل من المملوك المطيع هديته الصغيرة وهي هذا الكتاب الديني فأنت أجدر بها من كل أحد ، ولتدم للعرب والمسلمين عاهلا وحاميا نصرك الله نصرا عزيزا وجعل عهدك للإسلام فتحا مبينا.

وقال مصدروا كتاب أنقذوا فلسطين العربية برئاسة طه فارس نصر :

أما بعد فلقد حق علينا وعلى عرب فلسطين خصوصا والعرب عموما في جميع أقطارهم وأمصارهم أن يسارعوا مخلصين لرفع آيات الشكر والثناء إلى حضرة صاحب الجلالة ..... أيده الله وحفظه ونصره لموقفه الشريف من قضية فلسطين والعطف على أبنائها المشردين عطفا خالصا لوجه الله تعالى وبذله بسخاء نادر المال في إنقاذ فلسطين دون أن يبغي في ذلك أجرا ولا شكورا ، حيث ضرب جلالته المثل الأعلى في كيف يجب أن يكون عطف الملوك على شعوبها ناصعا نزيها .

أجل لقد سما وعلا جلالة الملك عبد العزيز في عطفه على فلسطين وأبنائها البررة المساكين فحق علينا وعلى العرب أجمعين حفظ هذا الجميل لجلالته والدعاء إلى المولى أن يحفظ جلالته سندا للعرب وأسدا للجزيرة وحاميا لبيت الله الحرام وملكا للعرب والعروبة ومعزا للدين والإسلام والمسلمين .

ويسرنا ويشرفنا أن نزين صدر كتابنا هذا (أنقذوا فلسطين العربية) الذي نقوم بنشره بهمة ونشاط في الأقطار العربية جمعاء برسم كريم لجلاته وتعطير الأجواء بنشر قصيدة خالدة في محامد جلالته وأياديه البيضاء نتوج بهما صدر كتابنا هذا الثمين تقديرا منا لجلالته وتنويها بعطف جلالته على العرب في كافة الأقطار والأمصار .

ونحن أسرة جريدة الإقدام اليافية اللاجئة في لبنان إذ نرفع شكرنا الخالص وشكر فلسطين وأبنائها نضرع إلى العزة الصمدانية أن تحفظ جلالته للعرب والمسلمين ركنها الأعظم الركين والملاذ المنيع الأمين إنه سميع مجيب .

ومن أبيات هذه القصيدة قولهم :

ملك الجزيرة والعروبة والهدى عبد العزيز وليت عرشك سرمدا
أحرزت بالدين القويم شريعة دستور حكمك سار فيها والهدى

وقال الشاعر الفلسطيني عبد العزيز التميمي في إهدائه لكتاب أروع الأناشيد الوطنية :

شخصت عيون العرب نحو مليكها تدعو الإله بأن يدوم ويسلما
وأتت ديار القدس تهدي قلبها لمليك يعرب يمتطيه مقــدما
تهديه ذاك القلب تأكيدا على حسن الولاء لعرشه وكذا الدما

ومن هذه الكتب المهداة للملك عبد العزيز كتاب "نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم " لمؤلفه محمد الخضرحسين من علماء تونس البارزين وعضو المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة وممن تولوا مشيخة الأزهر. ويتناول المؤلف في هذا الكتاب نقد كتاب علي عبدالرازق المعروف "الإسلام وأصول الحكم "

كما أهدى عالم تونسي آخر كتابه "الحد اد على امرأة الحداد ، أو : رد الخطأ والكفر والبدع التي حواها كتاب امرأتنا في الشريعة والمجتمع" وهو الشيخ محمد الصالح بن مراد، المدرس بالجامع الأعظم في تونس. ويتناول كتابه هذا الرد على ماورد في كتاب بعنوان "امرأتنا في الشريعة والمجتمع " لمؤلفه الطاهر الحداد

ومن الجزائر ورد كتاب رسالة الشرك ومظاهره بإهداء خاص إلى الملك عبد العزيز من مؤلفه الشيخ مبارك محمد الميلي، أمين مال جمعية العلماء المسلمين وصاحب تاريخ الجزائر الحديث .

وكتاب آخر للشيخ محمود محمد خطاب السبكي بعنوان "إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات " والمؤلف فقيه مالكي درس بالأزهر وأسس الجمعية الشرعية في القاهرة وترأسها حتى وفاته، وصتف عدة مؤلفات منها كتاب "الدين الخالص" في ستة أجزاء

كما أهدى فخر الدين أسعد الصاحب كتابه "لمحة في التشريع المقارن" إلى الملك عبد العزيز.

ومن الكتب المهداة إلى الملك عبد العزيز كتاب عن مسألة الزواج في الإسلام ومايثار حوله من شبهات خاطئة من تأليف أسعد لطفي حسن بعنوان "الزواج في الإسلام وأزواج النبي محمد عليه الصلاة والسلام "

ومن الهند ورد كتاب "مقدمة تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي " لأبي العلى محمد عبدالرحمن المباركفوري وهو أحد علماء الهند السلفيين في الحديث ، قام تلميذ المؤلف عبيدالله الرحماني المباركي، أستاذ علم الحديث بمدرسة دار الحديث الرحمانية بدلهي، بإهداء الكتاب ومعه الجزئين الثالث والرابع من جامع الترمذي مع شرح تحفة الأحوذي إلى الملك عبد العزيز و عبر عبيد الله الرحماني في إهدائه عن تقديره وتقدير علماء الهند المسلمين للملك عبد العزيز فقال : إلى مكرم العلم والعلماء وناشر علوم القرآن وسنة النبي الكريم إمام السلفيين وأمير المؤمنين جلالة الملك عبد العزيز ..... أطال الله بقاءه وأعز أيامه آمين .

ومن علماء الأزهر أهداه أحمد علي ملوك الجزء الأول من كتابه التجديد في طرق الخطابة والوعظ الديني .

وأهداه الشيخ محمد عبد السلام قباني الناشر لكتاب الدراري المضية شرح الدرر البهية للشوكاني الجزء الأول منه .

وهناك عدة كتب مختلفة قام بإهدائها أصحابها من أهل العلوم المختلفة من أنحاء المعمورة من أدباء وأطباء وزراعيين ومؤرخين وسياسيين وعسكريين وغيرهم معبرين عن ولائهم وتقديرهم ومحبتهم للملك عبدالعزيز ومن هؤلاء وهم كثير :

بشير رأفت شريف من حلب بسوريا ــ وبه نختم هذه الفقرة – حيث يقول في إهدائه كتابه "الصحة والقوة في تربية الجسم والنفس" :

أهديه لأصدق خليفة بعد الخلفاء الراشدين ، أهديه لمن أعاد للإسلام مجده وعزه ، أهديه لمن لقي القرآن الكريم بشخصه ، حارسه ومنفذ أوامره كما أراد الله ، لا كما أراده الجهال أو أصحاب المنافع الخاصة.

أهديه لمن بيض وجه المسلمين ، ورفع رأسهم بين أمم الغرب التي كانت تحتقر الإسلام دينهم حتى أتاح الله للإسلام " عبده العزيز " فكشف عن نور الإسلام ، فأبهر الغرب والشرق وأصبح لدين الإسلام مكانة سامية في قلوب عظماء الغرب والفلاسفة وعلماء الأخلاق وبدأوا هم بدورهم يكتشفون من كنوز الدين الإسلامي وينثرونها على العالم كفلسفة خالدة تتمشى مع العصور والأجيال .

أهديه لمن رفع البدع والأباطيل عن ذلك الدين المبين فأراح الرسول المعظم في قبره القائل : ‘‘كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار’’ .

أهديه لمن علم الناس عبادة ربهم وحده وعدم إشراك غيره معه وعرفهم أن الرسول قال : ‘‘إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله’’.

أهديه لمن أبعد عن المسلمين الشرك وعبادة الأحجار والأضرحة فطهر دين الإسلام من الشوائب وجعله نقيا طاهرا يفتخر به وتعتز المسلمون بعظمته .

أهديه لمن تمثلت جميع فضائل العرب ومزاياهم الحميدة وأخلاقهم الفاضلة وسياستهم الرشيدة السمحاء فكانت أنتم يامولاي نعم أنتم جلالتكم التي أصبحت قبلة العالم العربي والإسلامي ومثلها الأعلى المقدس .

وبعد : فهذه إحدى وستون مقالة في إسلاميات الملك عبد العزيز رحمه الله وهي تعالج جوانب قليلة من إسلامياته رحمه الله ولنا عودة أخرى لمعالجة جوانب جديدة في مقالات متجددة ، وفي هذه المناسبة الغالية وهي مرور مائة عام على البذل والعطاء من تلك الدولة أعزها الله وأدام علو مكانها ندعو الله تعالى أن يديم نعمته عليها ويوفق ولاة أمرها لكل خير ويرزقهم العافية في الدنيا والآخرة إنه قريب مجيب وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٦٢)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

قال تعالى ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴾ المائدة ٤٩

وقال ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ المائدة ٤٤

وقال ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ المائدة ٤٥

وقال ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ المائدة ٤٧

ومما قاله الملك عبد العزيز رحمه الله وجعله عهدا على نفسه منذ اللحظة الأولى :

وعلي جعل الحكم في هذه الديار بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ لا يد طائلة عليكم اليوم فكتاب الله فوق الجميع فالواجب عليكم هو معرفة الله تعالى والتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وترك البدع والخرافات والتأدب بآداب الشريعة السمحاء وتوثيق عرى الألفة وأواصر النصيحة والإخلاص .....

ويقول : والله لا يعبد بالبهرجة وإنما يعبد بالعلم فإذا أنا حملتكم على ما يرضي الله فأبشروا بالخير .

وقال :

إني لا أريد علوا في الأرض ولا فسادا ولكن أريد الرجوع بالمسلمين إلى عهدهم الأول عهد السعادة والقوة عهد الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان ، لاشيء يجمع القلوب ويوحدها سوى جعل أهوائنا تبعا لما جاء به الرسول ﷺ.

ويقول :

إننا لا نقبل امتيازا لأحد دون أحد بل جميع الوافدين لهذه البلاد يجب أن يخضعوا للشريعة الإسلامية .

ولما طلبت هيئة الأمم المتحدة من الحكومات الأعضاء موافاتها بنسخ من دساتير بلادها أمر رحمه الله حكومته بأن تبعث بنسخة من القرآن الكريم وأن تكتب لها بأن القرآن هو دستورها الوحيد وأن أحكامه نافذة في كل أرجاء البلاد .

ولم يصغ الملك عبد العزيز للحملات التشكيكية في قدرة الشريعة على مواكبة الحضارة لأنه يؤمن بالإسلام عقيدة وشريعة ونظاما للحياة وأن التمسك بالإسلام يعصم من الضلال فسارع إلى إنفاذ الشريعة وتطبيق أحكامها ولم يتعلل بعدم وجود فقه تفصيلي ، ولم يخف من نتائج تطبيق الشريعة لأنه لا يخاف هذه النتائج إلا من نوى الظلم والفساد في الأرض والملك عبد العزيز رجل عرف من سيرته أنه محب للعدل مقيم له كاره للفساد مقاوم له فلم يبتدع نظاما ولم يشرع قانونا بل ما عمله في هذا السبيل هو أنه أحيا سنة القرآن الكريم وأيقظ في النفوس وازع الإيمان ففجر فيها القوة في التضحية والانضباط في التزام ما شرع الله لعباده.

وقد أبطل الملك عبد العزيز جميع القوانين الوضعية التي كانت قائمة في الحجاز ومن ذلك قانون أبي نمي وهو قانون أو دستور تسير عليه الأمة الحجازية في معاملتها مع أشراف الحجاز وضعه جد الأسرة الهاشمية أبو نمي المتولي إمارة مكة سنة ٩٣٢هـ وهذا القانون لم يوضع أقسى ولا أظلم منه وإذا بحثنا في معنى الظلم في أي قاموس فلا نجده وافيا بمعناه الحقيقي إلا في هذا القانون ومن بنوده :

إذا قتل الشريف أخذ من أهل القاتل أو القرية أربعة وقتلوا لأجله ، صافع الشريف تقطع يده ، شاتم الشريف يقطع لسانه ، لا يقتل الشريف إذا قتل غير الشريف .

قال ناكانو الياباني :

لا يمكن أن أكتب شيئا فيما يتعلق بموقف السعودية أو قضاياها، لكن أذكر هنا أن الملك قال :

بلدنا بلد تحكمه الشريعة ، والشريعة هي حكمنا ، ولاشيء غيرها، وأمام الشريعة جميع الناس سواسية ؟ لذا فإن الديمقراطية الغربية التي تطبق بالقوة ؛ هي بالنسبة لنا وبالنسبة لبلدنا ليست ديمقراطية حقيقية، عندنا الشريعة، وهي دستور العرب، والمسلم الذي يؤمن إيمانا حقيقيا بالشريعة لا يفرض عليه بالقوة شيء ، ولتحقيق الأمن لا نلجأ أبدا إلى القوة ، وقد سلمنا المسؤولية لأمير كل قبيلة، وعلى الأمير نفسه أن يتعامل مع أهل قبيلته، وأن يؤدي واجبه . فإذا ما حدث شيء – لاقدر الله– تكون هذه مسؤولية أمراء القبائل، ولهذا فنحن الآن نعيش مرحلة أمن وحالة أمن .

وقال بوش رئيس تحرير مجلة لايف في المجلة عن الملك عبد العزيز :

قام بإحياء الحدود التي نص عليها القرآن بالنسبة للسرقة والقتل أي قطع اليدين من الرسغ في حالة السرقة وقطع الرقبة قصاصا .

وقال الملك عبد العزيز رحمه الله :

فأنا لم آخذ مال أهل الحجاز ولا حلالهم.. بل أصلحت حال الحجاز وحال أهله.. في هذه البلاد الطاهرة.. لقد أمن الله ثم أمنت الطريق، وضربت على يد الظالم، وأقمت شرع الله في جميع أنحاء المملكة من الخليج إلى البحر الأحمر.. ومن صبيا إلى جيزان.. إلى قريات الملح.. وهذا كله من الله ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ .

وفي التعليمات الأساسية للدولة التي أسسها الملك عبد العزيز ما يلي :

- الدولة ملكية شورية إسلامية مستقلة في داخليتها وخارجيتها .
- عاصمة الدولة مكة ولغتها الرسمية اللغة العربية .
- جميع أحكام المملكة تكون منطبقة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه الصحابة والسلف الصالح .
- إدارة المملكة بيد الملك عبد العزيز وهو مقيد بأحكام الشرع.

أما عن موقفه رحمه الله من القضاء فيقول :

وإن أكبر أمانة وأعظمها في عنق المحاكم الشرعية.. فعليهم النظر في شئون العباد بما شرع الله لنا في كتابه من شرائع ، وبين لنا من حجج، وأقام لنا من محجة، قال تعالى: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾ .. وقال : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾.. ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾.. ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ وقال :﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾..

هذه هي الحقيقة ، لأن شريعة الله لا ظلم فيها ، وهي المحجة ، من اعتصم بها نجا ، ومن شذ عنها هلك..

فيجب على ولاة الشريعة أن يجتهدوا في أداء الواجب ويسهروا على مصالح الناس وينظروا في خصوماتهم بروح العدل والإنصاف، وعلى الشعب أن يمتثل لأمر الله فمن حكم له حمد الله ، ومن حكم عليه حمده ، الأول يحمده لأخذه حقه والثاني يحمده لأنه عصمه من أخذ حق غيره .

وأوصي الشعب أن يقلل من الخصومات والمنافسات، لأن الخصومات والمنافسات تؤذي الحكومة والمحاكم الشرعية ، وكثرتها توجد اختلافا في صفوف الأمة، وإن إنسانا تكثر مطالبه ومرافعاته وإزعاج حكامه وعلمائه لا لحق بين وإنما به نزغة من نزغات الشيطان ، والشيطان يسعى للتفرقة ، فعلينا ألا نساعده ولا نتركه يفرق بين المسلمين.. إن من الناس من يصيح " أنا مظلوم " وإذا بحثت ظلامته التي يدعيها لا تجد فيها من الحق شيئا ، لهذا أوصيكم بالتناصح فيما بينكم ونهي أمثال هذا عن ذلك .

قال الزركلي :

ومن سهولة القضاء في بلاد عبد العزيز وحدة المذهب فليس هناك إلا مذهب أحمد بن حنبل وكتب فقهاء الحنابلة .

وذكر نبذة عن القضاء في المملكة وذكر أنواع المحاكم وهي :

المحاكم الكبرى – المحاكم المستعجلة – المحاكم الشرعية في الملحقات – قضاة للنظر في القضايا الجزئية البسيطة في بعض الأماكن القريبة من المدن .

وكان من أبرز معالم الإنجاز خلال هذه المرحلة :

هو إلغاء كافة النظم والقوانين التي كانت سائدة في الحجاز ، ولا تتفق مع الشريعة الإسلامية وكذلك ألغي نظام المحاكمات العرفية العشائرية والقبلية والتي كان يعمل بها لدى أكثر سكان البادية وأحل محلها الأحكام الشرعية كخطوة أولى نحو التقارب ولتتلاءم مع الحكم الجديد، وشخصية الحاكم الذي آل إليه أمر السلطة .

قال الزركلي :

ولن تجد أحدا يتأخر عن تنفيذ أوامر القاضي مهما تكن صفته بل إنك لو وجهت كلمة : الشرع يدعوك . إلى أكبر كبير في المملكة لتبعك إلى مجلس القضاء صاغرا .

وإلى جانب الجهود والمهام الشخصية للقضاة فقد كانت للهيئات القضائية في عهد الملك عبد العزيز نشاطات واختصاصات هامة في مجال الدعوة منها :

الإشراف على هيئة المعارف :

وذلك من خلال مراقبة التدريس والكتب وسائر المناهج التي يقررها مجلس المعارف وكذلك التنبيه على المسائل التي تكون فيها مخالفة للمسائل الشرعية .

مراقبة هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

وذلك من خلال تنبيه الهيئة في حال تجاوزها العرف الشرعي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومراقبة سيرها وحضها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومراقبة حالة وقوع خلاف في الرأي يرجع إليها .

وقد ذكرنا في غير هذا الموضع قوله رحمه الله :

وليس عندي في إقامة حدود الله هوادة ، ولا تقبل فيها شفاعة، فمن التزم حدود الله ولم يعتدها فأولئك من الآمنين، ومن عصى واعتدى فإنما إثمه على نفسه، ولا يلومن إلا نفسه، والله على ما نقول وكيل وشهيد .

ومن أقواله :

ثم هنالك مسألة أخرى تهمني كثيرا لأنها من أسس الدين ومصالح المسلمين وهي مسألة القضاء هناك التعطيل والتقصير الواقع بسبب كثرة الاختلاف في الدعاوى فنحن نطلب النظر في هذه الأمور لحسمها وحلها وبينكم من هو من أهل الدين ومن أهل الرأي، وإذا أردتم أن نزيدكم من أهل العلم سواء نجدي أو من خارج هذه الهيئة فاطلبوا ، لأننا ما أضفنا أحدا لكم لأن المسألة بالانتخاب..

إن التقصير واقع وأنا مسئول عن هذا التقصير، ولا أستطيع أن أهمل هذا الأمر، وقد كلفت بالبحث فيه حينا هيئة الشورى، وحينا هيئة التحقيق، ولكننا لم نصل إلى نتيجة حاسمة فيجب أن تنظروا في هذه الأمور وأمامكم مسألتان.. ففي المحكمة قضايا مضت عليها سنتان أو ثلاث وهي واقفة معطلة، وهذا أمر مشكل، ومن رأيي انتخاب هيئة من العلماء للنظر في هذه القضايا والبت في أمرها بتا نهائيا..

ثم مسألة الشهود والقدح فيهم.. وهذا واقع في الحجاز واشتكى منه القضاة وهذا أمر مشكل.. فالإنسان الذي يصنع القبيح ويثبت عليه ذلك يقام عليه الحد، وكذلك ينظر في القدح الذي يقام فإذا صح أقيم الحد على المقدوح به، وإذا لم يثبت يجازى المفتري، والحقيقة أن السواد من الدعاوى تأخر أمرها بهذا السبب..

هذه الأمور- في الحقيقة- من أساس الدين، فإذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر وأصلحنا المحاكم هانت الأمور واستقرت الأحوال..

ومن مواقفه الفقهية القضائية أنه كان بصدد حكم بإعدام جندي ضبط زوجته مع جندي آخر فقتلها ولم يحسن الدفاع عن نفسه فقام بذلك الملك عبد العزيز ونقض حكم الإعدام مستشهدا بحديث سعد بن عبادة الذي يقول فيه الرسول ﷺ : "اسمعوا إلى ما يقول سيدكم إنه لغيور وأنا أغير منه والله أغير مني" .

يقول الريحاني :

من يدخن يبسط (أي يجلد) وكذلك من لا يصلي أما أحكام الشرع فمعروفة إلا أنها تنفذ في نجد بلا تردد ولا محاباة ولا مرافعات ....حكم ابن سعود لا يعرف في سبيل العدل كبيرا أو غنيا .

كما كان رحمه الله في مكاتباته الخاصة والعامة يوصى ويحث على التمسك بأهداب الدين الحنيف ومن أمثلة ذلك لما ولى الشيخ عبدالعزيز ابن عكاس قضاء الأحساء كتب إليه يوصيه فقال رحمه الله :

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل إلى عبد العزيز بن عمر بن عكاس سلمة الله :

السلام عليكم بعد ذلك من يوم تاريخه إن شاء الله تتولى النظر في قضاء الإحساء فقد وليتك ذلك والذي أوصيك به ونفسي تقوى الله وتحكيم الشريعة الغراء والسهر على ذلك والله تعالى أسأل أن يتولى إعانة الجميع وأن يوفقنا وإياكم لما فيه الصواب بمنه وكرمه آمين .

ومن مواقف متابعته للقضاء وحرصه رحمه الله على نزاهته :

قال الشيخ عبد الحميد الخطيب :

– نمي إلى مسامع جلالته أن تلاعبا حصل في كتابة عقد من العقود في المحكمة الشرعية الكبرى وصودق على ذلك العقد ، فما كان منه إلا أن بعث خدمه إلى المحكمة الشرعية وأحضر ما هو في متناول أيدي القضاة من دفاتر وحقق أمامه موضوع التلاعب حتى أيقن به فأمر بعزل جميع موظفي المحكمة واستبدالهم بغيرهم ، ولم يكتف بذلك بل عزل معهم رئيس القضاة إذ ذاك سماحة الشيخ عبد الله بن بليهد مع أنه من كبار علماء نجد المعروفين بالتقى والصلاح وبسعة الاطلاع وغزارة العلم، وكان يجهل ذلك التلاعب ولا ضلع له به .

– حصل حريق في ينبع واتهم رجل بأنه المتسبب في الحريق ، لأن الأدلة ضده كانت قوية فسجن ، فأبرق لجلالة الملك متظلما فأمر بتشكيل لجنة للنظر في شكواه برياسة أمير البلدة ، فقررت إدانته أيضا ، فأبرق الرجل إلى الملك ثانيا بوجود تحيز ضده من قبل اللجنة وطلب تشكيل لجنة أخرى تحقق في الأمر على أنه في حالة ثبوت إدانته عن طريقها فإنه يستحق جزاء المفتري ، فأمر الملك بتشكيل لجنة ممن يثق بهم قوامها كاتب هذا التاريخ والشيخ محمد غفيدي وزودهما بوافر العطاء ووسائل النقل ومختلف الخدم والنفقات وسافرا إلى الجهة ، وقاما بتحريات واسعة وتحقيقات دقيقة أسفرت عن براءة الرجل الذي نسب إليه وقدما إلى جلالة الملك تقريرهما ، فأصدر أمره الكريم بمجازاة اللجنتين السابقتين بما فيهما أمير البلدة ، لأنهما أدانا بريئا ، وعندما بلغ سمو نائبه رأى من زيادة التثبت إحالة التقرير المذكور إلى أمير البلدة لاستطلاع رأيه، وطلب منه الرد بالدفاع عن نفسه وعرض على مجلس الشورى فمحصه فلم يجد مايبرر به فرتب الجزاء المستحق على أفراد الهيئتين السابقتين ووافق على ذلك سمو الملك .

– وقفت ذات يوم امرأة مسنة على باب قصر جلالة الملك تشكو إليه أمرا في ميراث لها وقالت : ليس لي من يدافع عن حقوقي ، فناداها وأخذ ما بيدها من الأوراق ووعدها بأنه سيكون وكيلا عنها في الدفاع، وبالفعل نظر في الحجج التي بيدها وأرسل القضية للمحكمة الشرعية وأخذ يسأل كل يوم عن القضية وماقررت المحكمة في شأنها ثم أبلغ المرأة الحكم وأمر بإنفاذه .

فقضى بهذا رحمه الله على الجريمة وأسبابها ونشر الطمأنينة ووضع النواة الأولى لمجتمع إنساني جديد قاده بحركة إصلاح كبيرة وشاملة ولا شك أن عملية التطبيق كانت أمرا في غاية الصعوبة تطلبت من الملك عبد العزيز في كل مرحلة من مراحل كفاحه – في توحيد المملكة – جهودا كبيرا لتدعيم القوة والسلطان لتنفيذ هذه الأحكام ، ومعلوم أن هذه الحدود لا تكتسب هيبتها ولا تبلغ الغاية المرجوة منها إلا إذا طبقت على جميع المخاطبين بأحكامها بغض النظر عن مراكزهم وأوضاعهم من حيث الجاه والسلطة والنفوذ أو من حيث الغنى والفقر أو غير ذلك من المعايير والمقاييس التي يتفاوت فيها البشر .

– فقد حدث في عهده أن ثلاثة أشخاص من أسر لها وزنها ومكانتها في البلاد اشتركوا في قتل صديق لهم عمدا ، فأحيلوا إلى المحكمة الشرعية الكبرى فأصدرت حكمها بقتلهم قصاصا لثبوت قتلهم المجني عليه بالوجه الشرعي ، فتدخل أعيان البلاد لإنقاذ حياتهم والتمسوا من الملك تأجيل تنفيذ حكم الإعدام فيهم لمدة أسبوع واحد حتى يتسنى لهم بذل الجهود والتوسط لدى أولياء المقتول في سبيل الحصول على تنازلهم عن حقهم الشخصي مقابل أي مبلغ من المال يطلبونه ، فما كان من ابن سعود – رحمه الله – إلا أن أمر بسرعة تنفيذ حكم الإعدام في القتلة الثلاثة ، ونفذ فيهم الحكم ضربا بالسيف وعلقوا في موضع بارز من واجهة مقر الأمن العام المواجهة للحرم المكي الشريف لمدة ست ساعات . يرحم الله الملك عبد العزيز فإنه لم يأبه بمكانة أهل الجناة ولا بمنزلة أعيان البلاد الذين توسطوا في تأجيل تنفيذ عقوبة القصاص في وقت كان أحوج ما يكون إليهم فيه وكان كل ما قاله لهم: ﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾ .

وكان تطبيق الشريعة وأحكامها أمرا ليس باليسير لأن هذا التطبيق يتم بوجود المتآمرين من العرب والأجانب المستعمرين الذين يعملون يجد في سبيل نصرة القوانين الوضعية وإحلالها محل الأحكام الشرعية .

كما واجه الملك عبد العزيز المطوعين من الإخوان والذين كانوا شديدي التعصب في تطبيق الأحكام الشرعية حيث كانوا يريدون تطبيقها بمجرد التهمة وكانوا يرتكبون من الجنايات ما أرهب الناس فاستبدل بهم الملك رجالا من المعتدلين في التمسك بالدين .

كما كان يختار للقضاء أفضل القضاة الذين عرفوا بالإيمان القوي وتقوى الله وقول كلمة الحق وتطبيق الشريعة بين عباده وكان يساعده علماء كبار عرفوا بالاستقامة والعدل .

وقد حكم الشيخ سعد بن عتيق ضد الملك عبد العزيز في خصومة بينه وبين رجل على قطعة أرض فبكى الملك عندما سمع الحكم وقال : الحمد لله الذي جعل عندنا من القضاة من لم تأخذه في الحق لومة لائم ، نحن بخير ما دام هؤلاء العلماء موجودين .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٦٥)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

عن نافع قال : جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال : اطرحوا لأبي عبدالرحمن وسادة . فقال : إني لم آتك لأجلس ، أتيتك لأحدثك حديثا سمعت رسول الله ﷺ يقوله ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : ''من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية ''.

وكان الملك عبد العزيز يعلم هذا الأصل أي يعلم مصدر الشرعية للحكم وهو البيعة ولأجل هذا أحياها وأمضاها .

وهذا نصها :

نبايعك يا عظمة السلطان ..... على أن تكون ملكا .... على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما عليه الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح والأئمة الأربعة رحمهم الله .

وعندما أبرم قرار ولاية العهد للأمير سعود أبرق على الأثر إليه برقية جاء فيها ما نصه الحرفي :

تفهم أننا نحن والناس جميعا ، ما نعز أحدا ولا نذل أحدا ، وإنما المعز والمذل هو الله سبحانه وتعالى ، ومن التجأ إليه نجا ، ومن اغتر بغيره – عياذا بالله – وقع وهلك . موقفك اليوم غير موقفك بالأمس ، وينبغي أن تعقد نيتك على ثلاثة أمور :

أولا :

نية صالحة ، وعزم على أن تكون حياتك وأن يكون دينك إعلاء كلمة التوحيد ، ونصر دين الله . وينبغي أن تتخذ لنفسك أوقاتا خاصة لعبادة الله والتضرع بين يديه في أوقات فراغك . تعبد إلى الله في الرخاء تجده في الشدة . وعليك بالحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن يكون ذلك كله على برهان وبصيرة في الأمر ، وصدق في العزيمة ، ولا يصلح مع الله سبحانه وتعالى إلا الصدق ، وإلا العمل الخفي الذي بين المرء وربه .

ثانيا :

عليك أن تجد وتجتهد في النظر في شئون الذين سيوليك الله أمرهم بالنصح سرا وعلانية والعدل في المحب والمبغض ، وتحكيم الشريعة في الدقيق والجليل ، والقيام بخدمتها باطنا وظاهرا . وينبغي أن لا تأخذك في الله لومة لائم .

ثالثا :

عليك أن تنظر في أمر المسلمين عامة ، وفي أمر أسرتك خاصة. اجعل كبيرهم والدا ومتوسطهم أخا وصغيرهم ولدا ، وهن نفسك لرضاهم وامح زلتهم وأقل عثرتهم ، وانصح لهم ، واقض لوازمهم بقدر إمكانك.

فإذا فهمت وصيتي هذه ، ولازمت الصدق والإخلاص في العمل ، فأبشر بالخير .

أوصيك بعلماء المسلمين خيرا . احرص على توقيرهم ومجالستهم وأخذ نصيحتهم . واحرص على تعليم العلم لأن الناس ليسوا بشيء إلا بالله ثم بالعلم ومعرفة هذه العقيدة . احفظ الله يحفظك .

هذه مقدمة نصيحتي إليك ، والباقي يصلك إن شاء الله في غير هذه.

وقال يوسف ياسين :

سمعت الملك يوما يحدث ولي عهده قبل أخذ البيعة له بولاية العهد : يا سعود ربي أحب إلي من نفسي ، وعلي مراعاته ولا تطمئن نفسي لتسليمك ولاية الأمر ، إلا بعد أرى أنك عقدت عقدا بينك وبين ربك. لا تكفيني منك المظاهر الدينية ، بل يهمني أن أراك حالفته في خلواتك وتضرعت إليه في لياليك .

وعن حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ قال : ''والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم''.

ومن أقوال الملك عبد العزيز رحمه الله :

وليس الخبر كالعيان، وهذا بحث طويل لو أردنا أن نتكلم فيه أياما لا ينتهي، ولكننا نختصر القول ونشكر الله على أن وفقكم بعنايته وجعلكم خير أمة أخرجت للناس، وبلدكم هذا بلد الله الحرام، فإذا لم نحرم ما حرم الله كانت نقمة الله علينا عظيمة، ثم كان هنالك كذب على الله. لذلك يجب أن ننظر في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنفيذا لأمر الله وحفظا له ، ويجب النظر في الأمور التي تمادى البعض فيها وما هي إلا لهو ودنو إلى الشر وبعد عن الخير .

يجب أن ننظف أنفسنا من الأدران ونطهرها من كل الأمور المختلفة وأن ندنو إلى ما يرضيه ونخاف عقوبته ، إذ ليس هناك عقوبة أشد من عقوبة الدين، إذا وقع الشر في القلوب خربها وهذه البلاد يجب أن تكون قدوة صالحة للمسلمين في كل عمل من أعمالها فنحن نطلب المساعدة في هذا الشأن منكم ومن الأهلين ، نريد أن تكونوا عونا للحكومة في هذا الأمر لأنه إذا كان الجميع اتفقوا على درء المفاسد سهل العمل ، أما إذا كانت إجبارية صعب حلها وطال أمرها. فإذا عملنا هذا قمنا باللازم، وهذا أهم ما يجب العناية به، لأن الدنيا إذا كثرت خبرتها والدين أهمل فلا فائدة ترجى منها، بل هذا أساس البلاء ، أما إذا عمر الدين ونفذت أوامره واجتنبت محارمه صلحت الدنيا، فأنا أرجو أن تفكروا في طاعة الله ومخافته واتباع سنة رسوله ﷺ وأرجو أن تهتموا بالأمر اهتماما شديدا .

يقول المثل: " أهل مكة أدرى بشعابها " فبإصلاح هذه المسألة يصلح كل شيء وصفوة القول أنه إذا صلح الرأس صلح الجسد وأمور الدين هي الرأس، فإذا استقام أمره أصلحت أحوالنا الدنيوية .

ومن رسالة عامة للمسلمين قال رحمه الله :

فالواجب على من نصح نفسه وأراد نجاتها أن يتقي الله في سره وعلانيته وأن يحاسب نفسه هل قام بما أوجبه الله عليه وامتثل ما أمر الله به ورسوله ووقف عند حدوده فلم يتجاوزها أم هو منقاد مع شهواته وهواه قد أعطى نفسه هواها ولم ينهها عن ارتكاب المحرمات فلو علم أنه موقوف ومسؤول عن جميع أعماله وأقواله وأحواله لخلى بنفسه وحاسبها واتقى الله سبحانه وبحمده فيا خسارة من حاله حال البطالين والغافلين المعرضين إذا علم هذا فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله من أعظم الواجبات وأهم المهمات قال تعالى ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ والأمة الجماعة وهذا أمر لازم لكل أحد بحسب قدرته فإذا قام به بعض المعينين له سقط عن الباقين فإذا تركوه أثموا وعوقبوا فكونوا من تركه على ظلم عظيم . قال ﷺ : ''لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه ولتأطرنه على الحق أطرا أو ليوشكن الله أن يعمكم بعذاب من عنده ثم تدعونه فلا يستجيب لكم '' والأحاديث في ذلك كثيرة فلا صلاح للخاصة والعامة في جميع القرى إلا بالأمر بالمعروف وينهون عن المنكر لأن ذلك سبب صلاحهم وخلاصهم في معاشهم ومعادهم وبتركه والتغافل عنه يكثر الفساد وأيضا فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات المؤمنين وبقوته يقوى أهل الإيمان وبضعفه يضعف الإيمان قال تعالى ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ فذكر تعالى في هذه الآية أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب لرحمة الله فإذا رحم الله العباد أعطاهم ما يحبون ودفع عنهم ما يكرهون قال تعالى ﴿ ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ﴾ وقد رأيتم ما حصل عليكم من منع القطر وغور المياه والقحط وشدة المؤونة وأنواع البلايا والامتحانات وذلك سببه مخالفة أمر الله وارتكاب نهيه فإن الذنوب والمعاصي من أعظم الموجبات لحلول العقوبات والنقمات فارغبوا عباد الله إلى الله بالدعاء والاستغفار ﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ وعظموا أمر ربكم ونهيه وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال : ''ما نهيتكم عنه فانتهوا وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم'' فاستدفعوا عنكم العقوبات بالتوبة النصوح ....

وقد تم إنشاء جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في عهده للقيام بهذا الواجب الشرعي وللحد من تدخلات الإخوان السافرة واستعمال الحكمة في ذلك الأمر .

وبذلك كان للملك عبد العزيز رحمه الله الفضل بعد الله في تأسيس أول هيئة رسمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمكة المكرمة ، وكان مقرها في مدرسة أحمد عيد بباب الصفا

وقد تشكلت الهيئة من علماء مكة ونجد برئاسة الشيخ عبدالله الشيبي وكان الأساس في إنشائها أن أهدافها هي الأهداف الخمسة الآتية :

١- تتبع المعاملات والعادات فما وافق الشرع منها تقره وما خالفه تزيله

٢- منع البذاءة اللسانية التي تعودها السوقة

٣-حث الناس على أداء الصلوات الخمس جماعة

٤-مراقبة المساجد من جهة أئمتها ومؤذنيها ومواظبتهم وحضور الناس بها وغير ذلك من دواعي الإصلاح

٥- أن تتخذ في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جميع الوسائل الموصلة إلى ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وإذا أعياها أمر من الأمور رفعت مذكرة إلى ولي الأمر لإجراء اللازم .

وقد أمر رحمه الله بعض منسوبي الاحتساب بأمور :

أولها : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذه ـ كما يقول الملك عبدالعزيز ـ هي رأس المال

ثانيها : سعة الصدور مع الناس بحيث يعطي كل ذي حق حقه بالشرع ولايتعدى أمر الشرع .

وقد وضع الملك عبد العزيز رحمه الله أمام الهيئات مهمة صيانة عقيدة التوحيد وتحكيم الشريعة وقرر الملك أن تكون هذه الهيئات في جميع البلدان ، وكتب إلى العاملين بهذه الهيئات المهام الموكلة إليها في مجال العبادات والمعاملات وأحكام الشريعة .... وأهمها :

١ـ إلزام الناس بالمحافظة على الصلوات الخمس في جماعة وحض الناس على تعلم الدين والقيام على أهل المنكرات .

٢ـ جباية الزكاة وصرفها في مصارفها التي أمر الله بها والتحقق من أدائها على الوجه المشروع وإن ظهر لهم منع أحد من إخراج الزكاة تؤخذ منه على الوجه الشرعي متحرين للعدل

٣ـ صيام شهر رمضان ومنع أي مظهر يتنافى مع طبيعة هذا الركن العظيم من أركان الإسلام .

٤ـ تفقد ما ظهر من معاملات الناس وكشف التعامل الربوي منها والعقود الفاسدة فما عثروا عليه يخالف الشرع أبطلوه وأدبوا صاحبه

٥ـ تأديب من وجد منه غش أو خيانة أو بخس في المكاييل والموازيين حسب الحال .

٦ـ النظر في الأوقاف وإيصالها إلى مستحقيها والعمل بنص الواقف ما لم تخالف نص الشرع ومتابعة تنفيذ الأوقاف الخيرية على المساجد وطلبة العلم .

٧ـ مسائل المديونيات : فالمعسر يجب إنظاره إلى ميسرة ولا يجوز التحايل على ذلك ، لأنه من الظلم المخالف للشريعة والإرفاق بالمضطر لأن بيع المضطر مكروه والتضييق على المحتاج لا ينبغي بل يجب الإحسان والترفق به .

ومن خطابه رحمه الله لوكيل أمير المدينة :

وأكبر ما أوصيك به أولا : تقويم أوامر الله وتنفيذ أمر الشرع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ بأيدي المأمورين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومساعدتهم على كل حال فإذا انتقدت عليهم شيئا فلا تتكلم في حقهم لا عند خاص ولا عام بل اطلب رئيسهم أو كلهم وبين لهم الأمر أن هذا أمر فيه زيادة أو أنه لم يصح فإن أقروا به فالحمد لله وإلا فراجعنا إذا نحن حاضرون أو تراجع النيابة ثم لا تجعل لك من جميع ظنينة بل اجعلهم جميعهم أصدقاء وبعيدين .

وقال أيضا :

وأما ترتيب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمحكمة الشرعية والحرم ودوائره وما يجري فيه الراجعة للدين وللشرع فالعمل على ماقرره الشيخ عبد الله بن حسن فيعمل به ويجيئكم الأمر فيه إما من عندنا أو من النيابة كذلك من قبل الإخوان الذين يأتونكم إلى المدينة فأحشموهم غاية وإذا جاءكم أحد منهم وقال : رأيت منكر كذا وكذا فقل : نرفعه إلى هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي إن شاء الله تزيله ، وما أمرت به فعلناه ، وهم لا تخلوهم يمدون أيديهم ، وإذا مدوا أيديهم فانهوهم بالتي هي أحسن وأخبروهم بألا يعودوا مرة ثانية.

ومن الحوادث التي أيد فيها الملك عبد العزيز الهيئة أن الشيخ عبد الله ابن سليمان كان قائما على عمل الزراعة وغيرها في الخرج والشيخ ابن باز قاضيا عليها فاتفق أن بعض عمال الشيخ عبد الله بن سليمان لم يحضروا صلاة الجمعة فأخذتهم هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنبوهم فغضب السليمان وطلب أعضاء الهيئة ورئيسها للتوبيخ والسجن فاختفوا منه فذهب للشيخ ابن باز في بيته وطلب تسليمهم فأجابه بأن ذلك لا ينبغي وهم معذورون وأن الواجب شكرهم لا سجنهم وإذا فرضنا أنهم غلطوا فيما فعلوا ولم يعرفوا أنهم حراس للحبوب فمثلهم مغفور له خطؤه لحسن نيتهم وقيامهم في أمر الله قال الشيخ ابن باز : فأصر وزعم أن جلالة الملك أمره بذلك فسلمته له وكتبت لجلالة الملك ببيان الواقع فأمر بإطلاق رئيس الهيئة والشخص الذي سجن معه وإكرامهما ومساعدتهما .

وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ﴾ النساء ١٣٥

وعن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : "إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا " .

قال ابن الجوزي : تزيد مرتبة السلطان العادل على قوام الليل ، وصوام النهار ، لأن نفع ذلك لا يتعداهم ، ونفعه يتعدى إذ بنظره يتعبد المتعبدون ، ويشتغل بالعلم المتعلمون ، فكأنه عبد الله بعبادة الكل .

ومن كلمات الملك عبد العزيز المحببة إليه :

لا يدوم الملك إلا بدولة عادلة .

وفي حديث الملك فيصل رحمه الله عن والده قال :

إن والدي .... لا يفرق بيننا وبين أبناء شعبه، وليس للعدالة عنده ميزانان يزن بأحدهما لأبنائه ويزن بالآخر لأبناء الشعب، فالكل عنده سواء والكل أبناؤه .

وأذكر أن أحد إخوتي الأطفال اعتدى على طفل آخر فما كان من جلالته إلا أن عاقبه ولم يشفع له أنه ابن الملك .

وجاء أحد المقاولين من أبناء المملكة متظلما أمام جلالته من أحد الأمراء من أبنائه، وتتلخص الشكوى في أن للرجل أرضا تجاور أرض الأمير، وفى غياب الرجل أقام الأمير على قطعة أرضه قصرا ويبدو أن البناء جار على جزء من قطعة الرجل . وسمع جلالته شكوى الرجل، فاستدعى الأمير وسأله عن الواقعة، فذكرأنها حدثت دون قصد منه وإنما عمال البناء هم الذين جاروا على ذلك الجزء . وهنا أطرق ابن سعود ثم نطق بحكمه الذي كان مضرب الأمثال فقال : "يخير الشاكي بين هدم عمارة الأمير حتى يسترد أرضه من تحتها ، أو ينال أربعة أمثال ثمن القطعة مع التعويض المناسب من مال ولدنا الذي اعتدى على أرضه ". ووافق الرجل على قبول الثمن والتعويض، ودعا للملك بثواب الآخرة .

قال التويجري : إن هذا الرجل الذي يحكم على ابنه بذلك الحكم، لا تكفيه كلمة (عادل عظيم) .

وقال حافظ وهبة :

حدث قبل خمس عشر سنة تقريبا أن الأمير ناصر أحد أنجاله دهس بسيارته التي كان يقودها رجلا في الطريق قضاءا وقدرا فمات على إثرها فما كان من جلالة الملك إلا أن أمر باعتقال نجله وأرسل في طلب أكبر إخوان القتيل ، فلما حضر بين يديه بين له ما كان من قصة وفاة أخيه على حقيقتها وأفهمه بأن له كل الحق في طلب إقامة الحد على ولده المومأ إليه أو يرضى بالدية ، وحذره عند ذلك من أن يؤَثِّرَ عليه أحد خاصته فيما يطلبه ويختاره في هذا الخصوص ، وقد اختار الرجل الدية بدلا من إقامة الحد وتسلمها بأكثر مما كان يتوقع .

وثمة حادثه أخرى وهي أن أحد أفراد أسرته ضرب أحد الجنود ، فانهال عليه – رحمه الله – ضربا ليشعره بأن الجميع سواء في الحقوق والمعاملات لا فرق بين الجندي وأمير صغير وكبير .

ومثلا آخر عن عدله رحمه الله ماكتبه الأستاذ وليم باسيلي في مجلة الاثنين بعددها الصادر في ٨ مارس١٩٥٤ م بعنوان " ذكريات من الشرق" وهذا هو:

هاتوه مكتوفا

وما أن جاء ذكر المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود ، حتى أفاض الحاضرون في ذكريات عدله وتشدده في الحق ، من ذلك أنه كان يجتاز الطريق في نخبة من رجاله فاعترضه بدوي حافي القدمين صاح به قائلا: وين عدلك يا عبد العزيز ؟

فوقف الملك وهش للبدوي وقال له : ما عندك يا أخا العرب ؟

فقال البدوي : سيارة الأمير دهمت الإبل ونفق منها ثلاثة ...واستفسر منه الملك عن الأمير صاحب السيارة فإذا به من أحب الأمراء إليه .

فقال لرجاله : ليس في الحق أمير ولا صغير ...

(هاتوا هذا الأمير من داره مكتوفا)...

ثم تأبط ذراع البدوي وسار معه حتى دخل إلى حجرته وأجلسه إلى جواره وأكرمه .. وذهب أحد الياوران مع بعض مرءوسيه الى دار الأمير وهي تبعد نحو سبعين كيلو مترا عن مقر الملك ، وعند وصولهم بالأمير إلى القصر الملكي لفوا على ساعديه الحبل حتى يوهموا الملك أنهم نفذوا أمره وأحضروه مكتوفا ....ولكن هذه الحيلة لم تجز على الملك ، فقام بنفسه وفحص الحبل ، ثم فحص ساعدي الأمير ،والتفت إلى الياوران وقال له : أتخدعني أيها الوغد ؟ لو أنك أتيت به مكتوفا من داره لأدمت الحبال ذراعيه ، وأمر بزج الياوران في السجن لمدة أسبوعين جزاء محاباته الأمير ثم واجه الأمير بدعوى البدوي وأمر بدفع ثمن الجمال الثلاثة التي دهمتها سيارته .... وكان ثمن الجمل لا يزيد عن ثلاثمائة ريال سعودي في ذلك الوقت ولكن البدوي رأى أن يغتنم الفرصة فطلب ألف ريال للجمل الواحد وقال له الأمير : إذن أعوضك عن جمالك بثلاثة جمال مثلها .. فقال البدوي الماكر : هب أنك أتيتني بثلاثة جمال ، أفلا ينبغي لي أن أروضها حتى تأنس إلي وآنس إليها. ولم ير الأمير بدا من أن يدفع المبلغ الذي طلبه البدوي ، فما أن قبضه حتى التفت إلى الملك وقال له :

الآن آمنت بعدلك يا عبد العزيز .

ومن مظاهر عدل الملك عبد العزيز أنه لما كان بالدفينة في رحلته من الرياض لمكة المكرمة أتاه رجل من العرب من أفناء الناس وشكا إليه رجلا سلبه شيئا من ماله فبعث معه الملك عبد العزيز أحد رجاله ليمشي معه في عرض هذه البادية الطويلة ليلاقي خصمه فيحملهما إلى أقرب قاض يقيم بتلك المنطقة ليقضي بينهما بالشرع الحنيف .

ومن ذلك أيضا أن قاضي الرياض حكم على امرأة بالرجوع إلى بيت زوجها فلجأت إلى أحد أقارب الملك عبد العزيز فحماها ورفع الزوج الأمر إلى عبد العزيز فأمر من احتمت ببيته أن يلزمها الرجوع إلى زوجها تنفيذا لأمر الشرع وقال :

إذا أخذت هؤلاء حمية الجاهلية فإني سأدخل البيت بنفسي لتنفيذ حكم الشرع وإذا لم نحترم نحن أحكام الشرع فكيف نكلف الناس أن يعملوا بها ؟ يجب أن نكون قدوة حسنة للناس في كل شيء .

وقال :

الناس أحرار في مآكلهم ومشاربهم ومرازقهم ونزههم، ومن اعتدي عليه فليراجعني لأنصفه ولو جاءني أي إنسان وقال : إن ولدك فيصل أخذ مالي واعتدى علي فإن رآني أنصفته منه علم أني أقول وأصدق في القول ، وإن رآني أهملته وساعدت ولدي على ظلمه فعند ذلك يكون له الحق علي .

واستوى العدل فالخيام قصور يتعالين والقصور خيام

وشيدت للعدل الصروح مشيدة تناطح أعنان السماء وتسمق

وفي عام ١٣٤٦هـ وضع حجر الأساس لديوان المظالم في شكله الأول والذي كان يعرف بصندوق الشكاوى وابتداء من سنة ١٣٥٠هـ خصص الملك ساعتين من وقته يوميا للنظر في الشكاوى المقدمة من المتظلمين.

وإلى القارئ هذا الإعلان الذي يعد فريدا من نوعه في هذا العالم الذي نعيش فيه :

كان الداخل إلى الحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة يقرأ على باب المسجد البيان التالي :

من عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود إلى شعب الجزيرة العربية..

على كل فرد من رعيتنا يحس أن ظلما وقع عليه، أن يقدم إلينا بالشكوى، وعلى كل من يتقدم بالشكوى أن يبعث بها بطريق البرق أو البريد المجاني على نفقتنا. وعلى كل موظف بالبريد أو البرق أن يقبل الشكاوى من رعيتنا، ولو كانت موجهة ضد أولادي أو أحفادي أو أهل بيتي ...

وليعلم كل موظف يحاول أن يثني أحد أفراد الرعية عن تقديم شكواه – مهما تكن قيمتها – أو حاول التأثير عليه ليخفف من لهجتها أننا سنوقع عليه العقاب الشديد .

لا أريد في حياتي أن أسمع عن مظلوم، ولا أريد أن يحملني الله وزر ظلم أحد ، أو عدم نجدة مظلوم أو استخلاص حق مهضوم .

ألا قد بلغت... اللهم فاشهد .

عبد العزيز

وقد أصدر الملك عبد العزيز رحمه الله بلاغا رسميا جاء فيه :

يعلن الديوان العالي ما يلي :

" إن صاحب الجلالة الملك يعلن للناس كافة، أن من كانت له ظلامة على كائن من كان موظفا أو غيره ، كبيرا أو صغيرا، ثم يخفي ظلامته، فإنما إثمه على نفسه، وأن من كانت له شكاية فقد وضع على باب دار الحكومة صندوق للشكايات مفتاحه لدى جلالة الملك ، فليضع صاحب الشكاية شكايته في ذلك الصندوق وليثق الجميع أنه لا يمكن أن يلحق المشتكي أي أذى بسبب شكايته المحقة من أي موظف كان .

وينبغي أن يراعى في الشكايات ما يأتي:

١- ينبغي تجنب الكذب في الشكاية ومن ادعى دعوى كاذبة جوزي بكذبه.

٢- لا تقبل الشكاية المغفلة من الإمضاء ومن فعل ذلك عوقب على عمله.

وليعلم الناس كافة أن باب العدل مفتوح للجميع على السواء، والناس كلهم - كبيرهم وصغيرهم - أمامه واحد حتى يبلغ الحق مستقره والسلام .

ومن كلامه رحمه الله :

أما المظلمة التي تصلني فإني لا أتركها بل أبحثها وأحقق فيها ، والتي لا تصلني فالذنب فيها على من رأى وكتم ، وإذا علمت به فسيكون جزاؤه عندي أعظم من جزاء غيره .

كما أعلن الديوان العالي ما يلي :

تصل إلى جلالة الملك المعظم نصائح وشكايات مغفلة من الإمضاء ، لا يعرف صاحبها .....

أما النصائح المتعلقة بالدين فهي مقبولة سواء وقعها صاحبها أم لم يوقعها ، وأما الشكايات والنصائح المتعلقة بأمور الدنيا أو الأشخاص فإنه لا يمكن النظر إليها والتحقيق فيها إذا كانت مغفلة من الإمضاء .

ويعلن الديوان عن لسان جلالته أن جلالته مستعد للنظر في كل شكاية موقع عليها بإمضاء صاحبها ومستعد زيادة على ذلك أن يقابل صاحب الشكاية إذا كان لديه بيانات شفاهية لا يحب كتابتها .

وأما الشكايات المغفلة من الإمضاء فلا يمكن النظر فيها ومتى عرف صاحبها سيكون محل اللوم الشديد .

وأرسل أيضا إلى موظفي البرق والبريد :

اتصل بالملك عبد العزيز أن برقية شكوى تأخر وصولها إليه أو وصلت مقتضبة خوفا من نفوذ المشكو منه ، فعاقب المسؤول ، وأصدر الإرادة الملكية الآتية :

كل شكاية ترفع لنا عن طريق البرق أو البريد ، من أي شخص كان ، يجب أن ترسل لنا بنصها ولا يجوز تأخيرها ولا إخبار المشتكى منه ، سواء أكان أميرا أو وزيرا أو أكبر من ذلك .

ومن القصص الكثيرة المأثورة عنه في دفع الظلم عن المظلومين :

ما ذكره التويجري قائلا :

في عام ١٣٥٠ تقريبا – كما أتذكر – جاء إلى المجمعة رجل ... كبير السن يبدو أنه من إيران أو من أفغانستان ، لا أحد يعرف هويته ، ولا هو يعرف اللغة العربية ، وفي الطريق التي قطعها كان بعض الركبان يشفقون عليه ويطعمونه ويسقونه وربما يريحونه بالركوب معهم، لأنه متجه إلى مكة . صدف أن ارتاب فيه بعض الناس الطيبين الذين يتغلب عليهم الحذر من الغريب، ففتشوا متاعه فوجدوا فيه بعض الأوراق فيها أرقام وخطوط قد تكون رسوما للطريق ، وقد تكون خارطة لمسار هذا العجوز ، فذهبوا إلى القاضي ، وكان رحمه الله ، كفيفا، فقالوا له: لقد وجدنا مع هذا الغريب (أسحارا) و (طلاسم).... إلى آخر ما قالوه ، فكتب القاضي برقية إلى الملك عبد العزيز يخبره فيها قائلا : لقد جدنا مع هذا الغريب من (الأسحار) ما تبلغ عنان السماء ، فرد عليهم الملك عبد العزيز ، رحمه الله ، كيف عرفتم أنها (أسحار)؟ وهل استنطقتموه ؟ أرسلوا لنا ... ما ترون أنه (سحر) فأرسلت الأوراق والخرائط إلى الرياض ، وحين اطلع عليها – رحمه الله – ردها قائلا للقاضي : أنت معذور بقلة بصرك، ولكن أفهم الناس الذين يتخبطون في مثل هذه الأمور أن يكفوا عن سوء الظن!! أما الغريب الذي عندكم فقد أمرنا أمير البلد أن يعد له راحلة ويرسل معه رجلا يخدمه ويوصله إلى مكة...!!

وقد تم ذلك وشهدت بنفسي ما حصل، وحين أبلغ الغريب ما دار حوله مما أمر به الملك عبد العزيز استقبل القبلة ، ونحن نراه ، وأخذ يبكي ويهمهم ، ونحن لا نفهم من هذه الهمهمة غير : عبد العزيز، ولا شك أنه كان يدعو له...

وقد كانت الرحمة صفة متأصلة في الملك عبدالعزيز .

يقول الأمير سلمان :

الشيء الآخر أن الملك عبد العزيز رحيم وإنه قوي لكنه رحيم ولا يتمنى إلا الخير للناس كلهم.. وهذا ليس بضعف ، بل لطف ورحمة مع أبناء شعبه .

وكان – رحمه الله – يخرج في موكبه وكانوا يطلقون عليه "موكب الرحمة" وبينما كان الموكب يشق الطريق صاح أحد البدو بعد أن اقترب منه قائلا : يا عبد العزيز: مظلوم . فأمر الملك سائقه بالوقوف ، فهو يكره أن يكون بين رعيته مظلوم، فأدنى منه الرجل وسأله حاجته.

فقال: أريد الهجرة.. أريد دواء.. أريد كساء .

فأمر جلالته للرجل بالدواء والكساء، وأعطاه عشرين جنيها لتساعده على الهجرة ثم مضى (موكب الرحمة) في طريقه..

ولم يكن الملك عبد العزيز ممن يقبل النصيحة فقط بل كان يطلبها ويلح في طلبها ويسعد ويسر بها .

وفي البلاغ الذي أعلنه الديوان الملكي مانصه :

تصل إلى جلالة الملك المعظم نصائح وشكايات مغفلة من الإمضاء، لا يعرف صاحبها

أما النصائح المتعلقة بالدين فهي مقبولة سواء وقعها صاحبها أم لم يوقعها ....

ومن كلامه :

لقد اجتمعنا اليوم في أفضل البقاع على دين الإسلام نتذاكر في طاعة الله تعالى التي لا قوام إلا بها، فالملتبس عليه الأمر نفهمه ، وصاحب النصيحة يبديها، والمعاند يكفينا الله سوءه ولا يهمنا أمره ، وإذا كان الذي بيني وبين الله عامرا فعسى الذي بيني وبين العالمين خراب ، ونحن بشر لا نخلد ولا نبقى ، وقد مضى صفوة الخلق ومضى أصحابه بعده، ولكن الإنسان يعمل جهده فيما يصلح به الحال ويكشف به الغطاء .

وقال :

لقد كثرت أقاويل الناس عن الحجاز وأهله ، وما نقموا مهم إلا أنهم يؤمنون بالله العزيز الحميد، والحجاز قد استولاه ناس قبلنا من الأتراك والأشراف ، والرجال الموجودون اليوم هم أبناء الرجال السابقين، يعرفون حالة الحجاز السابقة ، ولا يخفاكم أيضا ماكان فيه من سفك دماء وعمل المعاصي وعدم الأمن ، فلما ولانا الله عملنا ما نستطيع ونحن عباد مستعبدون لله ، ليس لنا طريقة وليس لنا مذهب غير الدين الحنيف، وهذا كتاب الله بين أيدينا، وهذا شرع الإسلام نتبعه ، أما خوض الرجال فإن كان من جهة الدين واعتراضهم عليه فالحق ما جاء في كتاب الله ، والذي يكتم الحق ملعون ، وكل أمر خالف الدين متروك، أما عن السلف الصالح من الخلفاء الراشدين أو الأئمة الأربعة المهتدين ، فإننا نتبعهم ومن كان عنده غير ذلك يبينه لنا حتى تقوم الحجة ، وكل إنسان عنده نصيحة لنا من الكتاب أو السنة فنحن مستعدون في جميع الأوقات سواء كانت من كبير أو صغير أو جليل أو حقير، ومن أرادنا على مخالفة شيء من ذلك فلا نقبله أبدا، وقد أمرنا الله أن نتبع شريعة الإسلام وأن نعض عليها بالنواجذ ومن غضب علينا لاستمساكنا بديننا فليغضب علينا إلى ما يشاء .

تولينا الحجاز، فقام الناس بين شامت وناقم ومحب وناصح.. وإخواننا المسلمون نقبل منهم كل أمر فيه مناصحة على شرط أن يكون في الحق، ومسألتان لايمكن أن نقبلهما ولو قاتلنا أهل الأرض حتى لا يبقى فينا أحد : التغيير في دين الله ولو مثقال خردلة ، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، فالكتاب والسنة لا نحيد عنهما أبدا، والثانية أن أي أمر يلحق استقلال أو شرف بلادنا فهذا مستحيل أن نقبله، ولو تكلم من تكلم أو قال من قال، والحقائق مثبوتة ومعلومة وهذا هو الذي يلزمنا دينا ودنيا .

وكان رحمه الله ربما أجاب الناقد له بقوله :

هداك الله يا أخي إنني بشر أخطئ وأصيب والحق معك أرشدتني أرشدك الله .

وعندما احتج فيصل الدويش ــ وهو من عامة الناس وليس من علمائهم ــ على طول ثوب الإمام . أعطاه المقص وتركه يقص ما يتجاوز حد الدين ..

ومن مظاهر قبوله النصيحة من أهل العلم ما ذكره الشيخ محمد رشيد رضا قال :

وأذكر أن في أول كتبي إلى ابن السعود إنكارا شديدا على شيء بلغني عنه، عاتبني عليه بأنه لا يقبل مثله من غيري ، وإنما قبله مني لما بلغه من خدمتي للسنة، واعتقاده أنه صدر عن إخلاص لله تعالى، وتحر لخدمة الإسلام والعرب .

وقال الشيخ رشيد : إنني أشهد الله تعالى ، وكل من يطلع على قولي هذا، أنني أشعر – في سريرتي وما يكن قلبي – بتقصير في الثناء على هذا الرجل بالجهر بكل ما أعتقده ، وما أرى فيه من المصلحة والنصيحة للمسلمين، وكم طالبتني نفسي في مجالسه العامة الحافلة ، التي حضرتها بعد صلوات الجمع بمكة المكرمة، بإلقاء خطاب في شكره والثناء عليه ، كما فعل أمامي بعض علماء الهند، وفصحاء المصريين وغيرهم ، ولكنني كنت أستحيي أن أقف مواقفهم ، وإن كنت أجدر منهم ، فقد أقمت بمكة زهاء ثلاثة أشهر، ولم يسمع خطابتي ، وربما كنت أقدر على البيان، وأعلم بما يحسن بيانه بالحق من كل من سمعت ، إذ كان من الدعوى والغرور المذمومين أن أقول أكثر من ذلك ، وما أبرئ نفسي من كراهة الاتهام بالتملق والتزلف، أن يعلق ببعض النفوس الصغيرة، وأنا آمن أن يلوح في جانب من جوانب نفسه الكبيرة .

وقال الشيخ محمد رشيد رضا أيضا :

نعم قد يقول قائل إنك نصير لابن السعود وما عهدناك إلا مؤيدا له ومدافعا عنه ، ولم نرك تنتقده في شيء .

وأقول في جوابه :

لا أنكر أنني أيدت الرجل ، ودافعت عنه ، ولا أزال كذلك، ولكن فيما أعتقد أنه الحق، والمصلحة لملتنا وأمتنا، وأنا في ذلك على خطتي التي أعلنها هنا كل عام مرة أو مرارا، وهي أن كل من بين لنا خطأنا في شيء كتبناه أنا وإخواني ، فإن من إنصافنا أن ننشره له، مع بيان رأينا فيه ، ونترك للقراء الحكم في الخلاف إذا نحن اختلفنا.

وأما مسألة الانتقاد عليه ، والنصح له ، فإن ما أمر الله تعالى به من الدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة ، يقتضي أن يكون الانتقاد والنصح بيننا وبينه ما دام ذلك ممكنا، وإنما يلجأ المرء إلى النشر، في حالة امتناع الموعظة في السر ، أو في حالة التمرد ، وعدم قبول النصح، ونحن نصرح بأننا نصحنا للرجل بالكتابة مرارا، ببيان ما يجب عليه لملته الإسلامية ولأمته العربية ، وانتقدنا عليه بعض الأمور التي رويناها أو رأيناها من قومه ، كتابة في حالة البعد، ومشافهة في حالة القرب ، فلم يقابل نصحنا وانتقادنا إلا بالقبول والشكر، مع بيان ما عنده من الاعتقاد والرأي .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٧١)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

ويتابع الشيخ رشيد رضا كلامه عن قبول الملك عبد العزيز وأبنائه النصح فيقول :

إنه قد ثبت عندنا بالاختبار الطويل أن أهل نجد أشد مسلمي هذا العصر اعتصاما بما يعلمون من كتاب الله وسنة رسولهﷺ ، وأبعدهم عن الخرافات والبدع التي أفسدت على أكثر المسلمين دينهم ودنياهم وأن آل سعود هم الذين أيدوا هذا الإصلاح من نشأته إلى الآن ، ولولاهم لما انتشر وثبت . وأن ما ينتقد على أهل نجد من التشدد في الدين خير مما ينتقد على غيرهم من نبذه وراء الظهور . وفي نجد عوام وجاهلون، كما يوجد في سائر الدنيا، ولكنهم أقرب إلى قبول الحق إذا ثبت عندهم بدليل شرعي ، ولا نعرف شعبا غيرهم يبذل نفسه وماله في سبيل الله بالوازع النفسي ، فلهذا دون غيره نؤيدهم ، ونسعى لترقيتهم، وإكمال ما ينقصهم لخدمة الإسلام والعرب في هذا العصر.

ومن الشواهد على ما تقدم أننا لما رأينا في الجرائد المصرية أن الأمير سعود قد زار المشهد الحسيني كتبنا إليه كتابا شددنا فيه الإنكار عليه، وأنكرنا فيه عليه أيضا ما قيل من أنه حضر حفلة الموسيقى في حديقة الأزبكية وصفق لها فلما قرأه امتعض وتألم تألما شديدا ، وأرسل إلينا معتمد حكومتهم الشيخ فوزان فكذب لنا الخبرين ، ولو لم يفعل ذلك لأنكرنا عليه في الجرائد، ولامتنعت عن زيارته هجرا له في الله عز وجل، ولما زرته بعد ذلك كرر تكذيب الخبرين ، ونشرت ذلك هنا . وهذا برهان على كوننا نؤيدهم فيما يؤيدون به السنة وننكر عليهم إذا خالفوها .

هذا وإن إنكاري عليه ما قيل من حضوره حفلة الموسيقى مبني على ما أعلم من اعتقاده واعتقاد قومه تحريم جميع المعازف إلا ما استثني من دف العرس وطبل الحرب مثلا. وهذا ما عليه جمهور فقهاء المذاهب المشهورة من أهل السنة وغيرهم ، خلافا لبعض علماء السلف ولاسيما الحجازيين في ذلك ، وأنا أعتقد حل الموسيقى العسكرية لأنه لا يصح دليل على تحريمها ، ولأنها من قبيل ما استثناه بعض فقهائنا من طبل الحرب ، والله أعلم .

ومن كلام الملك عبد العزيز في فتح باب التناصح :

وهنا لابد لي من التلميح بأنه يجب على كل إنسان أن يقول ما في ضميره بصراحة تامة وألا يخشى في الحق لومة لائم .

يجب أن يصرح كل فرد بما في نفسه ويقول ما يعتقد فيه منفعة، فهذا أمر واجب على كل إنسان لأن مجال البحث والتدقيق يوصل إلى نتائج حسنة فعلى الإنسان الاجتهاد ومن الله التوفيق..

نعم.. من واجب الإنسان النصح والإرشاد وألا يتقيد أحد بأن هذا مخالف أو ذاك موافق، بل يجب أن يقول بجلاء ما يرتأيه من خير وفلاح، فإن لكل مجتهد نصيبا.. فنحن دعونا لعقد هذا المؤتمر للوقوف على الحقائق

التي لها علاقة بصالح البلاد والعباد ، وقد أذعنا بلاغا للأهلين كي يقدم كل ما يراه من مصلحة عامة لتدرسوه وتبحثوه..

وهذا من شأنه كشف الحقائق وتطييب النفوس وتبكيت الأعداء ، أضف إلى ذلك أنها سنة..

وقد دعوناكم للاجتماع معتمدين على الله ثم عليكم ، والإنسان لا يحب أن يدخل أحد إلى بيته لتفتيشه إلا إذا كان من أهل بيتة ، وأنتم أهل البيت فدعوناكم للقيام بالمهمة التي ألقيناها على عاتقكم، تنفيذا لأساس الشرع والسنة... إن الناس ليس لهم حياة إلا بعناية الله وتوفيقه، وهم غير معذورين في تركهم الاستمساك بما أمر الله به ، أو في ارتكاب ما نهى عنه. قال تعالى:﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾.

وقال أيضا :

أنتم رؤساء البلاد وقادة الأمة وكبراؤها، وأدرى بما يحسون به وما يشعرون ، ويجب عليكم أن ترفعوا إلي كل ما يتظلمون منه وترشدوني إذا رأيتموني ضللت عن طريق الحق ، وإذا لم تفعلوا ذلك فأنتم المسئولون ، وإني أطلب منكم ومن غيركم أن من رأى مني شيئا مخالفا فليوضحه لي وليرشدني إلى طريق الحق وليكن كما قال عمر بن الخطاب لمن أراد أن ينصحه : (فليكن ذلك بيني وبينه) فوالله إذا رأيت الحق أتبعه لأني مسترشد ولست بمستنكف ، ومن رأى شيئا وكتمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

ومن مواقفه العظيمة في قبول النصيحة والابتهاج بها ما يشهد به هذا الخطاب ، فقد أرسل العلماء إلي الملك عبد العزيز اعتراضاً علي عيد الجلوس فرد بالجواب التالي :

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل

إلى حضرات الإخوان الكرام قرة عيني وبهجة قلبي علماء المسلمين ، وفقنا الله وإياهم لما يحبه ويرضاه ، وجعلنا وإياهم في جماع عبيده وأوليائه آمين :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وصلني كتابكم المكرم الذي هو غاية مرادي ، والذي ابتهج به قلبي وسرني غاية السرور

وقد أخذته بعين القبول وهذا الذي يجعلني أزداد حبا لكم ووثوقا بكم، وهذا الذي أرجو أن يكون دائما منكم لي ولأمثالي بالنصيحة وإن الله يجعل القبول مني وممن ولاه الله أمر المسلمين بذلك إني أقول رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فما علمته من عمل موافق لكتاب الله فهو من الله ، وما عملته مخالفا لأوامر الله فهو مني ومن الشيطان وأستغفر الله وبحول الله وقوته سترون إن شاء الله ما يسركم في كل أمر يعلي الله به كلمته ، ويزيل الله به كل أمر يخالف أوامره بحوله وقوته ، وإني لا أزال رهين فضلكم ونصائحكم الثمينة وأرجو من الله أن يحيينا على ملة الإسلام ، ويقيم بنا أوامره ، ويرسل الله فضله وكرمه

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : " ما استخلف خليفة إلا له بطانتان بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصم الله ".

يقول العقاد :

وكان يحيط بالملك عبد العزيز نخبة من المستشارين الذين يختارهم جلالته من الشيوخ المحنكين والشبان المطلعين ، وبعضهم من نجد والحجاز وسائر أنحاء الجزيرة العربية ، وبعضهم الآخر من سورية أو فلسطين أو طرابلس أو مصر أو البلاد الإسلامية فهم بمثابة جامعة عربية يمثلون عند جلالته مختلف المقاصد والآراء .

وكان حوله مجموعة كبيرة من المشايخ من أبناء آل الشيخ وغيرهم يلتقي بهم كل يوم خميس أو يجتمع بهم على انفراد أو يقصدهم في دورهم ويتبادل معهم الرسائل والأفكار ويجمعهم في مجلس الشورى

ومنهم : إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ

عمر بن عبد اللطيف

محمد بن عبد اللطيف

عبد الرحمن بن عبد اللطيف

محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف

عبد الله بن حسن ، عمر بن حسن ، محمد بن فارس ، سعد بن عتيق

عمر بن سليم ، سليمان بن سحمان ، محمد الحجازي ، عبد الله بن عبد العزيز العنقري ، عبد العزيز الشثري ، محمد بن عتيق ، فيصل بن مبارك، عبد الله بن زاحم ، محمد نصيف ، عبد الرحمن بن داود ، عبد العزيز بن عبد اللطيف ، عيسى بن عكاس . وغيرهم .

وكان يقول :

أريد رجالا يعملون بصدق وعلم وإخلاص حتى إذا أشكل عليّ أمر من الأمور رجعت إليهم في حله وعملت بمشورتهم فتكون ذمتي سالمة والمسؤولية عليهم وأريد الصراحة في القول .

ومن كلامه رحمه الله :

إني في حاجة إلى من يصارحني فإن من يطريني ويتملقني كثيرون وكثيرون جدا وطالما ضاق صدري من سماع قولهم : الشيوخ أبخص – أي السلطان أعلم .

وكان يكره أن يجامله مجالسوه من خاصته ، بالموافقة على كل ما يقول، ويقرب من يناقشه ويجادله . وعرفوا فيه هذه الخلة ، فبالغ بعضهم فيها.

ونذكر هنا بعضا من مستشاري الملك عبد العزيز :

أحمد بن ثنيان ، بشر السعداوي ، خالد أبو الوليد القرقني ، الدكتور رشاد فرعون ، الدكتور عبد الله الدملوجي ، عبد الله بن محمد الفضل، الأمير عبد الله بن عبد الرحمن أخو الملك ، يوسف ياسين عبد الله فلبي ، عبد الله بن سليمان .

وهو الحاكم العربي الوحيد الذي أحاط به مستشارون من معظم الجنسيات العربية ... وجد فيه المصري والسوري واللبناني والليبي والعراقي والفلسطيني إلى جانب السعودي بالطبع .

وقد أحصاهم فهد المارك فكان له من لبنان خمسة مستشارين ومن سوريا أربعة ومن فلسطين ثلاثة ومن كل من مصر وليبيا والعراق واحد.

قال كشك :

ولم تكن سياسته في إحاطته نفسه بالكفاءات العربية لا تلقى معارضة من مواطنيه كما يتبادر للذهن باعتبار قلة الثروة وقتها وأن الحس الإقليمي قد نما في سنوات النفط ... بل كانت هناك معارضة فقد روى الشيخ حافظ وهبة أن الملك في (أيامنا الأولى قبل دخول الحجاز وفي السنين الأولى من دخوله كان يشركنا في كل ما عنده من فاخر الطعام وكثيرا ما كانت تضيق صدور خدامه النجديين بما كان يؤثرنا به ويشركنا فيه فقد كانوا يعتبروننا أجانب) ولكن دولة عبد العزيز لم تكن توجهها أحقاد الخدم .

وفي السفر كان الذين يكونون معه جنبا إلى جنب يختلفون باختلاف الساعات فإذا كان الوقت وقت قراءة القرآن أو الحديث أو شيء من التاريخ وجدت العلماء وطلاب العلم من حوله ، وإذا كانت الساعة ساعة بحث في مواضيع سياسية وجدت حوله أرباب الاختصاص فيها ، وإذا كان موضوع بحث في الطريق ومواقعه وجدت حوله الأدلاء والخبراء الذين لا يعزب عنهم تلعة ولا شجرة ولا منبسط في الصحراء.

وقد ألف الشيخ محمد سعيد العوري قاضي الشرع بمدينة القدس ومدرس التفسير والحديث بالمسجد الأقصى كتابا سماه الرحلة السعودية الحجازية النجدية بعد عودته من الحج وقال فيه :

وقد شاهدت أن بطانته بطانة خير وقد خطر ببالي أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد إسعاد ملك من الملوك أو أمير من الأمراء أو وال من ولاة الأمور قيض له بطانة صالحة تساعده على عمل الخير وتحضه عليه بخلاف ما إذا أراد الله به سوءا والعياذ بالله .

وكان الرجال المحيطين به رحمه الله من نوعية خاصة تظهر في هذا المقطع :

قال ناكانو الياباني وهو يتحدث عن جلسته مع الأمير سعود بن عبد العزيز ولي العهد ورجل ذي مكانة عالية في القصر والدكتور السوري مدحت شيخ الأرض:

..... وحدثنا أيضا (أي سعود) عن الوضع الداخلي في المملكة العربية السعودية ، والقضايا التي واجهت الملك. ثم سألنا عن اليابان، وبدا كأنه مهتم كثيرا باليابان، ثم تحدث الطبيب السوري والرجل صاحب المكانة في القصر، تحدثا عن الشخصية الغربية وعن الشجاعة العربية، وبدا من حديثهما أنهما يكرهان الثقافة الغربية كثيرا ، وخاصة الطبيب السوري الذي زار باريس العام الماضي، ولم يكن سعيدا أبدا بزيارته تلك. قال: " إن

مثل هذه الثقافة والحضارة سوف تتحطم سريعا " فسألته: أيهما أحسن الرياض أم باريس ؟ فرد : الرياض بطبيعة الحال، انظر إلى هذا الجو الصحي الجاف. وكان الرجل الآخر إذا ما تحدث عن العالم الغربي، كان كما لو كان يشعر بالاشمئزاز والتقزز .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٧٣)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

وهذا حديث عن بعض مستشاري الملك لكي نتعرف على دقته رحمه الله في اختيار رجاله :

١) خالد أبو الوليد :

قال ناكانو الياباني :

كان مستشار الملك خالد أبو الوليد وسكرتيره ذاهبان إلى جدة، ولما عرفا أننا متجهون إلى الرياض ، أرادوا المجيء لتحيتنا. كان مستشار الملك الذي يدعى خالد أبا الوليد في حوالي الخمسين من عمره، أبيض الشعر ، أما سكرتيره فكان طويل القامة نحيفا.

رحبنا بهما في خيمتنا، وقدمنا لهما القهوة والشاي ، كان كلاهما يجيد الفرنسية فتكلم معهما الوزير الياباني مباشرة دون مترجم . وكانا ذاهبين إلى جدة في طريقهما لحضور مؤتمر دولي يعقد في باريس في شهر يونيه ، ولأول مرة يشاهدان يابانيا ، ولذا قال مستشار الملك إنه يحمد الله ويشكره الذي مكنه من رؤية ياباني على أرض الصحراء هنا في المملكة .

كانا يرتديان جلاليب بيضاء من الحرير (الصناعي طبعا) وعقالا وغترة وصندلا، وبدت ملابسهما نظيفة أنيقة مرتبة ، كان لخالد أبي الوليد لحية بيضاء طويلة ، وسكرتيره كانت له لحية صغيرة جدا عند ذقنه وكان له شارب . تحدثنا مدة ثلاثين دقيقة ، وكانا في عجلة من أمرهما، فتركانا بسرعة، ومضيا إلى حال سبيلهما ، ....

قال : وهو واحد من أربعة مستشارين للملك ويعتمد الملك عليه كثيرا ويثق به .

وخالد بن أحمد أبو الوليد القرقني ، من طرابلس ليبيا ، له شعر واشتغال بالأدب حارب الإيطاليين في أثناء احتلالهم طرابلس، ورحل إلى استانبول ، ثم جدة، حيث زاول فيها التجارة ، فرآه الملك عبد العزيز وأعجب به وسأله كم تربح تجارتك في العام ؟ فقال : كذا قال : أضاعفه لك وتعمل عندي . فعينه مستشارا وكاتبا في ديوانه ، وكان رسوله إلى هتلر وإلى اليمن على رأس بعثة . وبعد وفاة الملك عبد العزيز عاد إلى طرابلس ، وأمضى فيها بقية حياته إلى أن توفي .

٢) يوسف ياسين :

قال ناكانو :

بعد الحمام شعرنا براحة كبيرة فداعبنا النوم ، لكن يوسف ياسين –مستشار الملك السياسي – أتى ليرحب بنا نيابة عن الملك.....يرتدي مشلحا خفيفا غامق اللون، وتحته جلباب أبيض ، ويرتدي فوق رأسه غترة من الحرير وعقالا أسود، وجهه مدور إلى حد ما ، وله لحية يبلغ طولها حوالي ٢٠ سنتيمترا .... ويبدو من مظهره أنه سوري، وليس من البادية العربية.

...

كان يتكلم العربية بلهجة سورية ، لكنه كان في الغالب يتكلم الفصحى ببطء ، ولمسنا أن لديه خبرة طويلة في التعامل مع الضيوف ، وفي مجال العلاقات العامة ، وفي إجراء الحوار مع البريطانيين والعراقيين وبلدان الشرق الأوسط ، وهو مكلف بترتيب أمور العلاقات الخارجية فيما يتعلق باليابان والمملكة .

وأصبح المسؤول عن مرافقتنا في أي اجتماع رسمي من الآن فصاعدا. كان يخلع العقال ، فهو يعتقد أن هذا نوع من البروتوكول حين يكون برفقة الأجانب .

كان عطوفا وودودا معنا إلى حد كبير . أحيانا كنت أشعر من خلال مظهره وطريقته بالشعور نفسه الذي أشعر به تجاه الهنود أو المصريين، ولكنه أحيانا يكون جادا جدا، وتبدو على وجهه ملامح الشك الموجود بداخله، وهذه هي صفات الشخصية السورية تماما. ولكنه رغم كل هذا رجل مسلم ، حسن الإسلام جدا ، وهو من النوع الذي يصعب أن أجد له شبيها في أي مكان آخر، إذ هو رجل يتمتع بشخصية فريدة حقا .

ويوسف ياسين سوري حفظ القرآن ودرس دراسة دينية ثم التحق بالأزهر واتصل بمحمد رشيد رضا ودرس عنده ثم انتقل للقدس لدراسة العلوم الدينية بها ودخل في صراع بينه وبين الفرنسيين وغيرهم ولالتحاقه بالملك عبد العزيز قصة .

٣) الشيخ حافظ وهبة :

وقد طلب منه الملك عبد العزيز أن يقدم عليه لما رأي من غيرته على الإسلام والمسلمين وهيأ له جميع أسباب الوصول كما في خطابه إليه.

وهو مصري حفظ القرآن في الكتاب ودرس بالأزهر وغيره وتنقل في عدة بلاد وابتلي بمحن عديدة وساهم في نشر العلم في المناطق التي حل بها مع نشاط سياسي ضد الاحتلال حتى حط ركابه بين يدي الملك عبدالعزيز .

وقد سمع رحمه الله نصيحة حافظ وهبة في عملية عسكرية وقبل نصيحته في مواضع عدة وجعله مستشارا خاصا له لصراحته وجرأته في الحق .

٤) خير الدين الزركلي :

وهو دمشقي من مواليد بيروت مؤرخ أديب لغوي من المشاهير وكان ثوريا على الفرنسيين وغيرهم من المفسدين وصدر الحكم بإعدامه أكثر من مرة ، كان مفتشا عاما للمعارف ورئيسا لديوان الحكومة لعبد الله ابن الحسين في عمان فلما انكشفت له سياسته كان أول من حذر منه ، ولي أعمالا عدة للملك عبد العزيز آخرها سفيرا ومندوبا ممتازا في المغرب وكان من اللصيقين به ومن أعرف الناس بسيرته . له مؤلفات كثيرة أشهرها كتابه الفذ الأعلام وكتابه شبه الجزيرة العربية ومختصره الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز .

٥) فؤاد بن حسن الخطيب :

من لبنان وهو شاعر أديب لغوي كان وكيلا لخارجية الحسين بن علي وتولى تحرير جريدة القبلة وبعد خروج الحسين من الحجاز اتجه للأردن ثم اتصل بالملك عبد العزيز فاستقدمه للرياض وعينه وزيرا مفوضا ثم سفيرا في كابول . له : ديوان شعر وكتاب نظرات في تاريخ الجاهلية .

٦) خالد الحكيم :

قال ناكانو :

قدم إلينا يوسف ياسين وعرفنا بمستشار الملك " خالد الحكيم " والمسؤول عن الشؤون الداخلية عبد الرحمن الطبيشي ، ونائب المستشار السياسي رشدي ملحس ، وسكرتيره إبراهيم .

وهو خالد بن ياسين بت محمد مهندس عسكري من مفكري العرب ومجاهديهم ولد بحمص وتعلم في الأستانة وقاتل الإيطاليين في طرابلس الغرب ودخل جمعية الفتاة السرية ولحق بثورة الشريف على الأتراك وحكم عليه الفرنسيون بالإعدام غيابيا دعاه الملك عبد العزيز إلى الرياض فكان من أخلص مستشاريه وكان من أهل الحزم والكتمان حلو الحديث له محاضرات قيمة .

٧) بشير السعداوي :

وهو مجاهد ليبي من أهل طرابلس الغرب لمع اسمه أيام نضالها ضد الطليان وصنف كتابه : فظائع الاستعمار الإيطالي الفاشي في طرابلس وبرقة وهو مطبوع . عاد لبلاده في بدء استقلالها فلم يتفق مع السنوسي فانصرف لمصر ومات بها .

ومما يذكر من مميزات الملك الراحل أنه كان يحسن اختيار الرجال سواء في وظائف الدولة أو في ولاية الإمارات ولا يقيم أي اعتبار في هذا الاختيار إلا اعتبار المصلحة العامة التي تنادي بالشخص المناسب للعمل المناسب .

ومن رجال الملك عبد العزيز الذين كان يقوم بانتقائهم بحيث يطبق قاعدة الرجل المناسب في المكان المناسب بغض النظر عن أي اعتبارات أخرى :

عبد السلام الذي رافق الوفد الياباني وقال عنه ناكانو :

كل هذا كان يشرحه لنا عبد السلام الذي تولى الترجمة أو الشرح الفصحى ، وهو مصري تخرج في جامعة الأزهر، ثم ارتحل إلى مكة واستقر يدير فندق مكة، ويثق فيه الملك كثيرا، وهو رجل ذكي جدا ومهذب، ويعمل مراسلا صحفيا للصحف المصرية، وكان يعرف جيدا كيف يتعامل مع أمثالنا .

والشيخ عبد الحميد بن أحمد الخطيب المكي أصله من جاوا وولد بمكة وتولى فيها الخطابة عمل للشريف فلما رحل كان من المخالفين للملك عبد العزيز وترك الحجاز حتى تبينت له الحقيقة فأعلن الطاعة وعاد لمكة فاستعمله الملك عبد العزيز إلى أن عينه سفيرا للمملكة في باكستان . له كتاب في تفسير القرآن .

والأستاذ فؤاد حمزة من مواليد لبنان كان درزيا فأشهد على اعتناقه مذهب أهل السنة وكان يحسن الإنجليزية فعين مترجما خاصا للملك عبد العزيز ثم وكيلا للشئون الخارجية ثم وزيرا مفوضا بباريس ثم أنقره إلى أن استقر مستشارا . له عدة كتب في تاريخ المملكة .

والشيخ عبد الظاهر أبو السمح وهو من وعاظ الفقهاء الأزهريين استقدمه الملك عبد العزيز إلى مكة وولاه الخطابة والإمامة بالحرم المكي وإدارة دار الحديث .

قال الزركلي : له رسائل مطبوعة ليست على اتساع علمه .

والشيخ فوزان السابق النجدي وهو من فقهاء الحنابلة التجار ناصر الملك عبد العزيز وكان على اتصال بمشايخ الشام مثل الشيخ جمال الدين القاسمي وقد عينه الملك عبد العزيز معتمدا في دمشق ثم في القاهرة وأبقاه في عمله بعد أن طعن في السن وجعل وزيرا مفوضا . له كتاب : البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار الذي وجه مطاعن لعلماء نجد في كتاب له .

قال الزركلي : كان من التقى والصدق والدعة وحسن التبصر في الأمور والتفهم لها على جانب عظيم .

والشيخ عبد الحق بن عبد الواحد هندي من أصل عربي من علماء التفسير والحديث حج فعينه الملك عبد العزيز مدرسا بالمسجد الحرام بمكة. له كتاب في تفسير القرآن .

قال الشاعر :

وإن حولك أنصارا لهم نبأ من مثلهم وبهم للملك توطيد
الراسخين وفي الأصقاع زلزلة والثابتين وفي الأسماع تهديد
وحقق الله فيك الوحي عن فئة قليلة ودليل الوحي مشهود

إسلاميات الملك عبد العزيز (٧٥)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

عن معقل بن يسار المزني قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ''ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة ''.

وكان اهتمام الملك عبد العزيز برعيته يفوق الوصف مما حدا بكثير ممن رآه أن يبلغ الدرجة القصوى في المدح والثناء ومن هؤلاء المستر فلبي قبل أن يعلن إسلامه الذي استمر يمدح عبد العزيز في كل اجتماع بريطاني حتى ضاق هوجارت ذرعا فقال له :

ولكن مهما يكن فلا بد أن توافقني على أن عبد العزيز لا يزال مجرد بشر . أليس كذلك ؟!

وعقب أول لقاء بين عبد العزيز والبعثة البريطانية – التي ضمت فيلبي – كتبت البعثة في تقريرها :

إن ابن سعود لا يكل ولا يمل من عقد الاجتماعات وسماع الشكاوى والالتماسات ، والفصل في الخصومات ، ومناقشة زواره _ لا يتوقف عن العمل إلا لأداء الصلاة _ من الفجر إلى ساعة متأخرة من الليل ولم يروه مسترخيا مرحا إلا مرتين ، مرة في عرس عائلي دعاهم إليه ، ومرة لحفل فروسية اشترك فيه هو وأولاده وقد زارهم زيارة خاصة في البيت الذي نزلوا فيه ، وتلطف فلم يعلق على بقايا رائحة الدخان التي كانت بالغرفة أما بقية وقته فكان مشغولا باستمرار ويبدو أن لديه قدرة على الاكتفاء بنوم ساعات محدودة .

وفي رسالته رحمه الله إلى والي البصرة ما نصه :

إنكم المسئولون عما في العرب من شقاق ، فقد اكتفيتم بأن تحكموا وما تمكنتم حتى من ذلك ، وقد فاتكم أن الراعي مسئول عن رعيته ، وفاتكم أن صاحب السيادة لا يستقيم أمره إلا بالعدل والإحسان وفاتكم أن العرب لا ينامون على ضيم ولا يبالون إذا خسروا ما لديهم وسلمت كرامتهم .

وقال رحمه الله :

وواجب على من تولى أمر المسلمين أن يكون مصلحا ، لأنه إذا صلح الراعي صلحت الرعية، والراعي كالمطر، أحيانا يكون خيرا على رعيته، وأحيانا يكون بلاء ومضرة ، ولا يصلح الراعي إلا إذا اتبع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والإمام والأمير حتى والي البيت يجب عليه أن يعلم أنه راع وكل راع مسئول عن رعيته ، ويجب أن يفعل معهم ما يحب أن يفعلوا معه، لأن النفوس لا يمكن أن توافق على غير ما تحب ، والدين يحتم عليك أن تحب من أحب الله ولو كان من أعدائك وأن تبغض من يحارب الله ولو كان من أصدقائك وأحبائك ، وهذه هي المحجة البيضاء إن شاء الله .

وقال رحمه الله :

إن لكم علينا حقوقا ولنا عليكم حقوق، فمن حقوقكم علينا النصح لكم في الباطن والظاهر، واحترام دمائكم وأعراضكم وأموالكم إلا بحق الشريعة، وحقنا عليكم المناصحة – والمسلم مرآة أخيه – فمن رأى منكم منكرا

في أمر دينه أو دنياه فليناصحنا فيه، فإن كان في الدين فالمرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وإن كان في أمر الدنيا فالعدل مبذول إن شاء الله للجميع على السواء .

ويقول رحمه الله :

إن على الشعب واجبات وعلى ولاة الأمور واجبات.. أما واجبات الشعب فهي الاستقامة ، ومراعاة ما يرضي الله ورسوله ويصلح حالهم، والتآلف والتآزر مع حكومتهم للعمل فيما فيه رقي بلادهم وأمتهم .

إن خدمة الشعب واجبة علينا، لهذا فنحن نخدمه بعيوننا وقلوبنا، ونرى أن من لا يخدم شعبه ويخلص له فهو ناقص...

شعبنا العرب، فنحن من العرب وإليهم ، وخدمة الإسلام والعرب واجبة علينا بصفة عامة، وخدمة شعبنا وأمتنا واجبة علينا بصفة خاصة، ولابد أنكم سمعتم أننا ألزمنا ولاة الأمور بالنظر في شئون الرعية وجعلناها أمانة في أعناقهم، فعليهم أن يقوموا بالواجب والنصح للشعب ، وأن يجتهدوا في تخليص ما عليهم من حقوق وما لهم من واجبات.

أما واجبات الولاة.. ولاة الأمور.. فهي أن يقوموا بالواجب عليهم نحو شعبهم وينصحوهم ويخدموهم ويقوموا بكل ما فيه مصلحة المسلمين وفائدتهم .

ومن كلامه رحمه الله :

وإني أوصيكم بتقوى الله ، والنظر في حالة وطنكم وبلادكم ورفع أحوال الناس ومظالمهم إلي لأن الملقى على عاتقي من الأمور عظيم وبعضكم به أبخص وإني مع كل ذلك أسأل عن أحوال الناس وأتفقد مصالحهم بقدر الجهد والاستطاعة ، وإذا ما اطلعت على شيء عيتنت له هيئة مخصوصة منكم للنظر في ذلك ثم أشرف على أعمالها بنفسي وأتراجع وإياهم في خصوصها حتى يبت في أمرها بما جاء في كتاب الله، ووالله – يا أهل هذا البلد الطاهر المقدس – أرى الكبير فيكم كأبي والوسط كأخي والصغير كابني ، وإن الذي أقوله هو الذي اعتقده والله على ما أقول شهيد .

قال عبد الحميد الخطيب :

أول ماعني به جلالته نشر الدين وتمكين العقيدة السلفية في قلوب أهل البادية بإرساله الدعاة والمبلغين إلى القرى لتثبيت العقيدة السلفية في قلوبهم وتعليمهم أمور دينهم ، ذلك ليتمكنوا من قراءة القرآن قراءة صحيحة ودرس السنة النبوية .... وأصبح البدوي في أسفاره وتنقلاته يتلو كتاب الله بدلا من أن ينشد الشعر ولغو الكلام يضاف إلى هذا ما طبعه جلالة الملك من ألوف الكتب الدينية التي أمر بتوزيعها مجانا للعموم .

ويقول أمين الريحاني :

التفت إلي السلطان وقال : أمرنا مشكل يا أستاذ . علينا الكبيرة والصغيرة . فإذا كنا لا نداوم المراقبة لا نكون عالمين بكل ما يتعلق بشؤوننا . العبد والأمير : عينينا على الاثنين حتى ننصف دائما الاثنين ونعدل بينهما . كان إذ ذاك يراقب قافلة أناخت عند خيمة المؤونة تحمل النبت والخضر والماء من الحسا فأمر السلطان أن يحضر قيمها (أي قائدها) وسأله سؤالاً بخصوص جمل من الجمال . فقال القيم : هو حرون يا طويل العمر . فأجابه السلطان : اتركه يرعى مع الجيش (أي مجموع الإبل) ولا ترجعه معك . وعاد إلى حيث وقف الحديث فاستأنفه قائلاً :

العدل عندنا يبدأ بالإبل ومن لا ينصف بعيره يا حضرة الأستاذ لا ينصف الناس .

قال كشك :

وقد روى لنا الشيخ عبد الله السديري قصة عميقة الدلالة قال :

دعي الملك إلى حفل غداء عند الموظف المختص بتنفيذ عطايا الملك للذين يأتون للديوان في طلب المساعدة ، وشاء حظ الداعي أن ينصب المائدة في الطابق الثاني ، وكان ارتفاع منزل في ذلك العهد هو دليل الثراء الفاحش ، فأخذ عبد العزيز يصعد درجات السلم وكلما صعد درجة يقول : مالك سنع!!!...مالك سنع!!!...وسط دهشة مرافقيه فلما استقر به المجلس سألوه التفسير فقال : هذا (يقصد صاحب الدار) يعرض علينا مطالب الناس ، فنأمر بمبالغ يأخذها لنفسه ويقول لصاحب الحاجة : مالك سنع (أي لم يأمر الملك بتسنيعك أي لم يأمر لك بشيء) فهذا البنيان من حقوق الذين قال لهم : مالك سنع .

وقال الشيخ الخطيب في موضوع عطف الملك على الرعية :

ولقد اتصل بعلمه من أحد الحجاج أن أمانة العاصمة (بلدية مكة المكرمة) لا تعنى بشؤون نظافة الشوارع وتنويرها وحالة الأسواق وكان على رأس هذه الدائرة عين من أعيان البلاد هو الشيخ عباس قطان ، وكان من المقربين لدى جلالته ، فما كان منه إلا أن استدعى مجلس الشورى بأكمله إلى مجلسه وقال لهم :

إنكم محل ثقتي وقد عهدت إليكم بالنظر في شؤون هذه البلاد صغيرها وكبيرها ، ولكني ويا للأسف لم أسمع منكم يومًا نقدًا لأمر من الأمور وتنبيهًا لخطأ من الأخطاء ، وكلنا بشر مخطئ ، وقد اتصل بعلمي من أحد الحجاج أن أمانة العاصمة لم تقم بواجباتها الملقاة على عاتقها من أمر النظافة والتنويرات والأسواق وما أشبه ذلك ، وإذا كان الحجاج قد لاحظوا ذلك فأنتم أهل البلاد لابد وأنكم تعلمون به حق العلم ولكنكم تسكتون عليه مجاملة لعباس قطان لمنزلته عندي . وهذا غير لائق منكم ، فالمذكور ابني ولكني لا أريد أن ينسب إليه قصور وتسكتوا عنه . ولذلك فإني رأيت أن أنقله من هذا العمل وأعينه عضوًا معكم في مجلس الشورى وأطلب إليكم أن تختاروا لي حالا من يستطيع أن يقوم بأعباء هذا العمل كما يجب .

فأجابه بعض الأعضاء بأن الواقع أن البلدية لم تقصر في عملها ، وإنما الناس – وخصوصًا السوقة – لم يتعودوا اتباع الأنظمة ، والشيخ عباس رجل طيب القلب ، لا يأخذ الناس بالقسوة .

فأجاب جلالته بقوله : إني أريد رجلا حازما لا يجامل في اتباع النظام وتنفيذ الأحكام .

فاختار المجلس له الشيخ عبد الرؤوف الصبان مدير الأوقاف العامة ، فأصدر أمره بتعيينه أمينا للعاصمة ، وفوض إليه أمر تنظيم البلدية وتشكيلاتها بما يؤمن الغاية من وجودها .

وفي أواخر عام ١٣٤٦هـ كتب فريق من أهل الحجاز شكوى لجلالة الملك من بعض الأمور التي يجريها أطباء إدارة الصحة ، فاتصل خبر هذه الشكوى بالشيخ عبدالعزيز العتيقي والشريف حسين عدنان مستشاري نائب جلالة الملك إذ ذاك ، ولغرض في نفسيهما رغبا في الحيلولة دون تقديم تلك الشكوى وكان سمو الأمير فيصل غائبا عن البلد وأرسلا في طلبها ممن كانت معه وهو حسن سليمان أبو الفرج وكلفاه بتسليم الشكوى إليهما فأبى إلا أن يقدمها إلى جلالة الملك شخصيا فما كان من أحد المستشارين وهو الشريف حسين عدنان إلا أن أمر بسجنه لمدة ساعتين فما كان من المذكور إلا أن أبرق إلى جلالة الملك متهما المستشارين بالتهم الآتية :

– أنهما تجاوزا مقام صاحب الجلالة الملك بطلبهما الشكوى التي يراد رفعها إلى جلالته .

– أنهما أرادا الحيلولة بالقوة دون وصول الشكوى والرجل إلى جلالة الملك .

– أنهما أمرا بحبس الرجل ظلما من غير مسوغ .

– أنهما أهملا التحقيق عن شكوى مرفوعة ضد دائرة رسمية .

وعند وصول هذه البرقية لجلالة الملك أحالها إلى لجنة التفتيش والإصلاح ، طالبا التحقيق عن ذلك ومستوضحا عما يأتي :

– هل كان من صلاحية المستشارين هذه التصرف الذي صدر منهما أم لا؟

– هل يجوز تركهما ليتماديا في عملهما ؟

فقامت اللجنة بدراسة الموضوع وقدمت تقريرها عنه وهو يقضي بثبوت جميع مانسب إلى المتهمين ، وأن المذكورين قد تجاوزا بعملهما ماخول لهما من صلاحية واعتديا على حقوق صاحب الجلالة فلا يجوز تركهما بدون عقاب .

فأصدر جلالة الملك أمره بعزلهما وحرمانهما من خدمة الدولة وصدر بلاغ رسمي بأن كل من له قضية في إحدى الدوائر عليه أن يطالب بإنهاء قضيته من قبل المأمور المختص ، فإن لم ينجز له عمله حسب النظام أو تهاون في الإنجاز فعلى المشتكي أن يعرض الأمر على رئيس ذلك المأمور ، فإن لم ينصفه رفع الأمر إلى نائب جلالة الملك .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٧٧)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

قال الأمير سلمان :

ما في شك أن هناك ثلاثة أشياء أساسية ، الملك عبد العزيز لا يقبل فيها الجدل إطلاقا ، ولا يقبل فيها أي خلل .

أولا: العقيدة.. دفاعه عن العقيدة وتمسكه بالعقيدة وقمع من يمس بالعقيدة .

ثانيا : الأمن أمن الدولة.. ولا يمكن بأي حال من الأحوال تطبيق الشريعة ما لم يكن هناك أمن في هذه الدولة.. والأمن ليس بالبطش أو الرعب.. لا.. بالعدل وتحكيم كتاب الله وسنة رسوله.

ثالثا : حقوق الناس.. حقوق الناس.. دماؤهم وأعراضهم وأموالهم .

هذه الأشياء الثلاثة لا يقبل فيها لومة لائم.. ولا كلام أحد..

وفي البلاغ الذي نشره الملك عبد العزيز رحمه الله لمن في مكة وضواحيها من سكان الحجاز الحاضر منهم والباد نقاط هامة تبين منهجه رحمه الله في التعامل مع الرعية وهذا نصه :

نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو رب هذا البيت العتيق .

ونصلي ونسلم على خاتم أنبيائه محمد ﷺ

(أما بعد)

فلم نقدم من ديارنا إليكم إلا انتصارا لدين الله الذي انتهكت محارمه ، ودفعا لشرور كان يكيدها لنا ، ولديارنا من استبد بالأمر فيكم قبلنا. وقد شرحنا لكم غايتنا هذه من قبل ، وها نحن أولاء بعد أن بلغنا حرم الله نوضح لكم الخطة التي سنسير عليها في هذه الديار المقدسة، لتكون معلومة عند الجميع فنقول :

١ــ سيكون أكبر همنا تطهير هذه الديار المقدسة من أعداء أنفسهم الذين مقتهم العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها، بما اقترفوه من الآثام في هذه الديار المباركة وهم (الحسين وأنجاله وأذنابهم).

٢ــ سنجعل الأمر في هذه البلاد المقدسة ــ بعد هذا ــ شورى بين المسلمين، وقد أبرقنا لكافة المسلمين في سائر الأنحاء أن يرسلوا وفودهم لعقد مؤتمر إسلامي عام، يقرر شكل الحكومة التي يرونها صالحة لإنفاذ أحكام الله في هذه البلاد المطهرة .

٣- إن مصدر التشريع والأحكام لا يكون إلا من كتاب الله ومما جاء عن رسوله عليه الصلاة والسلام ، أو ما أقره علماء الإسلام الأعلام بطريق القياس، أو أجمعوا عليه مما ليس في كتاب ولا سنة . فلا يحل في هذه الديار غير ما أحله الله ، ولا يحرم فيها غير ما حرمه .

٤- كل من كان من العلماء في هذه الديار ، أو من موظفي الحرم الشريف ، أو المطوفين ذا راتب معين فهو له على ما كان عليه من قبل، إن لم نزده فلا ننقصه شيئا، إلا رجلا أقام الناس عليه الحجة أنه لا يصلح لما هو

قائم عليه ، فذلك ممنوع مما كان له من قبل . وكذلك كل من كان له حق ثابت سابق في بيت مال المسلمين أعطيناه حقه ولم ننقصه منه شيئا .

٥- لا كبير عندي إلا الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا ضعيف عندي إلا الظالم حتى آخذ الحق منه، وليس عندي في إقامة حدود الله هوادة، ولا تقبل فيها شفاعة ، فمن التزم حدود الله ولم يعتدها فأولئك من الآمنين، ومن عصى واعتدى فإنما إثمه على نفسه ، ولا يلومن إلا نفسه، والله على ما نقول وكيل وشهيد، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

ومن أقواله رحمه الله :

يعلم الله أن كل جارحة من جوارح الشعب ، تؤلمني وكل أذى يمسها يؤذيني ، وكذلك الشعب يتألم إذا أصابني شيء ، ولكن المصلحة العامة تضطرني بأن أقضي على من لايصغى للنصح والإرشاد، وبأن أتجرع ألم ذلك حفظا لسلامة المجموع ، إنني أتألم جد الألم إذا رأيت بعض الأشخاص يشذون عن الطريق السوي فيصغون لوساوس الشيطان، ومما لاشك فيه أن المصلحة العامة هي فوق كل مصلحة، ولذلك فإن مصلحة المسلمين ترخص الأنفس في بعض الأوقات ، فالله أسأل أن يهدي المسلمين إلى سواء السبيل وأن يجعل كلمته هي العليا .

ويقول :

يسرني دائما الاجتماع بكم ، والتحدث إليكم ، لما في الاجتماع من فوائد، ولأن في الاجتماع أكبر المصالح ، إلا أني لا أود التكليف على الناس وتعطيلهم عن أشغالهم لما في ذلك من الضرر .

وإن أشد ما يؤلمني ما كان فيه أقل ضرر على شعبي وبلادي ، فإذا كلفنا عليكم اليوم فلا نقصد بهذا إلا التناصح والنظر فيما فيه مصلحة الأمة والبلاد .

ويقول :

والله ليس لي من المال شيء.. ولا أملك غير السيف والمصحف.. وأموال الحجاز لأهل الحجاز.. وأنا أحميهم وأدافع عنهم.. وإني أعلن وأقول إن من أراد من ملوك المسلمين أو أمراء المسلمين أو تجار المسلمين أن يقوم بعمل خيري للمسلمين في هذه البلاد فأهلا وسهلا ومرحبا.. بشرط ألا يخل بشرف بلادنا أو باستقلالنا ولا بشيء من أمور ديننا.. وأما كلام الحق الذي يراد به باطل فهو لا نقبله ولا نقره ولا نسمعه وعلينا أن نحافظ على كل شيء يقدم إلينا بأمورنا وأنفسنا على الطريقة الشرعية..

وقال :

يقولون ابن سعود يأخذ قرضا من الإنجليز.. وابن سعود يريد أن يفعل ويصنع..

ثم قال :

لقد خاض الناس في القرض الكاذب ولفقوا وأولوا.. وأنا أقول – والله الذي لا رب سواه – لم أعمل مع الإنجليز ولا مع غيرهم قرضا ما.. وربما أننا نحتاج ونأمل من المسلمين أو غيرهم ولكن إذا وقع فلا يمكن أن

يخرج ذلك عن حدود الشرع ، ولا يمكن أن يمس البلاد واستقلالها وما فيها.. وإذا كان أحد من المسلمين ، ملكا أو تاجرا ، يريد أن يساعد الحجاز وأهله على الوجه المشروع فأنا أقوم معه وأساعده.. وإني أقول.. من كان عنده نصيحة أو إرشاد ويريد عرضها علينا فنحن مستعدون لذلك سواء الآن أو في وقت غير هذا بيننا وبينه أو أمام علماء المسلمين..

ويقول رحمه الله :

أنا لا أحب أن أشق على الناس ، ولكن الواجب يقضي بأن أصارحكم.. إننا في أشد الحاجة إلى الاجتماع والاتصال بكم لتكونوا على علم تام بما عندنا، ونكون على علم تام بما عندكم ، وأود أن يكون هذا الاتصال مباشرة وفي مجلسي لتحملوا إلينا مطالب شعبنا ورغباته وتحملوا إلى الشعب أعمالنا ونوايانا.. إني أود أن يكون اتصالي بالشعب وثيقا دائما ، لأن هذا أدعى لتنفيذ رغبات الشعب.. لذلك سيكون مجلسي مفتوحا لحضور من يريد الحضور من الساعة الثانية إلى الساعة الثالثة ليلا.. وفي حالة غيابي سيكون مجلس نائبنا مفتوحا لهذه الغاية بدلا من مجلسنا سواء كان في مكة أو في الطائف، وإذا كان في هذا مشقة على الناس إلا أن فيه مصلحة لا تخفى عليكم.

أنا أود الاجتماع بكم دائما ، لأكون على اتصال تام بمطالب شعبنا وهذه غايتي من وراء هذا الاتصال..

نسأل الله أن يوفقنا لما فيه الخير لهذا الوطن العزيز...

وفي غضون الأزمة المالية التي اجتاحت العالم أصدر رحمه الله موازنة أذاع على إثرها منشورا جاء فيه :

..... وأن تراعى النسبة المعينة بالصرف ضمن النظم والأوامر المصدقة من قبلنا، بحيث لا يمكن أن يرجح أي إنسان على آخر بالقبض والصرف من أموال الخزينة، وقد روعي بالتعليمات المذكورة أن يكون تسديد الرواتب والديون على وجه التساوي بين الجميع، وصدرت الأوامر المشددة بمراعاة ذلك وبإيقاع العقوبة الشديدة على كل من يتجرأ على مخالفة تلك التعليمات والأوامر والنظم .

وستكون الموازنة إن شاء الله ،كافية لحفظ حقوق جميع الموظفين والأهالي وأصحاب المطالب على اختلاف طبقاتهم ، حيث أنقصت بعض المصاريف ، وزيدت بعض الواردات ضمن نسبة معقولة جدا، واعتمد في ذلك على دخل البلاد الأساسي الذي تسعى الحكومة بتنميته وتزيده بكل قواها المادية والمعنوية ليكون ذلك المركز الأساسي لموارد الحكومة. وقد نظر إلى الدخل غير الثابت أن يصرف في موضوعه كتوفير راحة الحجاج وتأمين أسفارهم وإعداد الوسائط الصحية وكل ما يعود عليهم وعلى أهل البلاد بالطمأنينة والهناء .

ولأجل أن تكون مصالح جميع الأهالي سائرة ضمن الشرع الشريف والنظم المطابقة له ، فقد أمرنا نائبنا العام أن يكون هو ومجلس الوكلاء الذي يرأسه ساهرين على تنفيذ أوامرنا من حيث دوام الأمن وتوزيع العدل والإنصاف بين الأهالي من غير تفريق بين القوي والضعيف، وتطبيق أوامرنا الخاصة بإصلاح المالية وإيصال كل ذي حق إلى حقه من غير توان ولا إهمال .

قال : وإنا ، والحمد لله ، قد جعلنا باب المراجعة مفتوحا لكل من له أدنى ظلامة حيث تبين للجميع أننا لا نهمل حقا يأمر به الشرع الشريف .

فاعتمادا على الله ندعو الجميع من الحكام والموظفين إلى اتباع السبيل السوي والمنهاج القويم للسير في مصالح الأهالي والحكومة. ونسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق للجميع آمين .

ويقضي الملك معظم أوقاته في تصريف شئون المملكة.

فهو بعد تلاوة ما تيسر من القرآن مدة ساعة قبل الفجر ، ينهض للصلاة ، ثم يستحم ، ويتعطر بعطر الورد المفضل عنده وعند كبار العرب ، ويتناول الشاي والقهوة ، ويذهب بعد الإفطار إلى البلاط ، حيث يتقدم وزراؤه واحدًا بعد واحد لإحاطته علما بما حدث منذ اليوم السابق ، وتحوي هذه المحادثات كل كبيرة وصغيرة ، فمن ثورة في القبائل الشمالية إلى سيارة غرزت في الرمال في طريقها إلى الرياض إلى غير ذلك .

وفي البلاط ثلاثة تراجمة يتلقون الأنباء الخارجية ويترجمونها للملك في أوقات منظمة .....

وينتهي الملك من الأعمال الحكومية ..... ثم يتهيأ البلاط للاستقبال ويقصد الضيوف الملك طلبا لبعض المصالح فيحضر كل منهم مذكرة يدون فيها مطالبه ..... ، فتقدم إلى الملك بعد الغداء ويأمر بما يراه في كل واحدة منها .....

وكان رحمه الله يحرص على إعلان منشورات ملكية بين الحين والآخر على شعبه يضمنها توجيهات ونصائح وهذا منشور منها جاء فيه :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وسيد الأولين والآخرين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

من عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود إلى من يراه من إخواننا الحجازيين والنجديين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

بارك الله فيكم ووفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه ، وجعلنا وإياكم من صالحي عباده وأوليائه .

تفهمون أن الله سبحانه وتعالى من علينا بنعمة الإسلام وأكملها علينا كما قال تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾

ومن أكبر نعمه علينا إنزال كتابه العزيز وإرسال نبيه الكريم ، وخلاصة ذلك وعمدة ما نزل في كتاب الله وحده لا شريك له وهي مضمون (لا إله إلا الله) كما أن معناها : (لا إله) نفي (إلا الله) إثبات ، وكل من قال لا إله إلا الله عارفا معناها عاملا بمقتضاها مواليا لجميع ما أمر الله به معاديا لما نهى عنه من الأفعال والأقوال فهو من أهل لا إله إلا الله ، ومن قالها ولم يعرف معناها ولم يعمل بمقتضاها ولا أحب ما احتوت عليه من الخير وأبغض ونفى ما نهت عنه من الشر من الأقوال والأفعال فليس هو من أهل لا إله إلا الله ، فهو كالأنعام بل هو أضل. وتعرفون بارك الله فيكم لو أنني أريد أن أتمادى فيما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من الآيات الكريمة المحكمة والأحاديث الصحيحة فيما تثبت من الأعمال الطيبة وتنكر من الأعمال السيئة لطال الكلام .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٧٩)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

ويتابع الملك عبد العزيز رحمه الله نصيحته لشعبه قائلا :

والمقصد من ذلك إتمام الفائدة واتباع ما أمر الله به وهو قوله سبحانه وتعالى :﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾ ، وقوله ﷺ ''الدين النصيحة.. الدين النصيحة..'' قالوا : لمن يا رسول الله؟.. قال : ''لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم''، وشرح ذلك مفهوم، وهو أن النصح لله أن تعبد الله وحده، وتبرأ مما سواه من قول وعمل، وتحب ما أمرك به، وتتجنب ما نهاك عنه ، والنصح لكتاب الله أن تعمل بمحكمه، وتؤمن بمتشابهه ، والنصح لرسوله ﷺ أن تجزم أنه أفضل الأولين والآخرين ، وأنه الصادق المصدوق، وأنه لا ينطق عن الهوى وأنه المعصوم ، وأنه من لا يحب الله وكتابه ورسوله أحب من نفسه وماله وولده فلا آمن بالله ولا عرف ما جاء في كتاب الله، ومن فرق أو شك في كتاب الله ويخالف ما جاء به رسوله ﷺ أو ما جاء به رسول الله ﷺ يخالف كتاب الله ، أو أول في كتاب الله وكذب على كتاب الله وسنة رسوله فقد كفر ، ومن أنكر شفاعته ﷺ إذا أذن الله له ولم يرج ذلك وقال نؤمن بكتاب الله ولا نؤمن بمحمد ﷺ فقد كفر .

فإذا فهمنا ذلك ووقر في قلوبنا، وصحت العقيدة بذلك ، فيجب علينا أن نفكر ونتدبر القرآن وسنة الرسول ﷺ وما كان عليه مذهب السلف الصالح، ونعمل بما فيه ، ونقوم بالواجب وننكر ما أنكره كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وما أنكره السلف الصالح .

هذا الذي حملني على هذه النصيحة هو مارأيت في هذا الزمان من الفساد ، وما اقترفناه من الذنوب كبيرنا وصغيرنا ، نستغفر الله ونتوب إليه ، وما عليه الحالة اليوم ، فالناس في هذا الزمان قد انقسموا على أقسام شتى، منهم العارف بالله وبكتابه ، والذين يعتقدون عقيدة السلف الصالح ، قصروا في العمل وتركوا النصيحة ولم يقوموا بالواجب، وفريق عرف أن الله ربه ، والإسلام دينه ، ومحمداﷺ نبيه ورسوله ، لكنهم لم يعرفوا ما هو الواجب عليهم في كونهم عرفوا الله، وما حق ذلك ، ولا عرفوا الإسلام وحقيقته ، ولاعرفوا ما أرسل به محمد ﷺ وجاهد عليه ، وآخرون اتخذوا أديانهم أهواءهم واتبعوا كل ناعق، فمنهم الملحد- والعياذ بالله- ومنهم المتبع لهواه ومبتدع للطرق والمضال التي نهانا الله ورسوله عنها، ومنهم من لم يعرف طريق الحق من الضلال ، وتمسك بقوله إنه مسلم ولم يفرق بين حق وباطل ، ومنهم من أحدث له الشيطان من الخيالات والمفاسد ما أضله به وادعى أنها الحياة الجديدة ، وأنها الحرية وأنها المدنية ، وعملها بنفسه وجد واجتهد في الدعوة إليها والإنكار على من خالفها ويقول ينبغي أن نتقدم قدام ولا نرجع إلى وراء ". ومعناه في التقدم هو "التمدن" و "الحرية " والتأخر هو اتباع كتاب الله وسنة رسولهﷺ ومذهب السلف الصالح والتعصب له .

فبهذه الحال وجبت علي النصيحة أولا : لكافة المسلمين ، وثانيا : لمن ولانا سبحانه وتعالى أمره ، فصار من الواجب علينا أن ننصح أنفسنا وننصح جميع المسلمين ، بأن نرجع إلى كتاب الله وسنة رسولهﷺ ، ونعتصم

بحبل الله جميعا ولا نتفرق فيأخذنا الشيطان إلى طرق الضلال، وأن نحذر من قوله تعالى : ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ ومعنى قوله تعالى : ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾ .

فأما الذنوب والمعاصي فنستغفر الله منها ونتوب إليه، فما عملنا من خير فهو من الله وبفضله وكرمه ونقول : اللهم ما أصبح بنا من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، وما عملنا من شر فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله ونتوب إليه والحمد لله الذي لما ابتلى عباده بالمعاصي وابتلاهم بالامتحان وابتلاهم بكيد الشيطان منَّ عليهم بالتوبة والاستغفار، وذلك من فضله وكرمه .

أما الحالة السابقة من الناس فهي من كيد الشيطان، ومن أسباب الذنوب، ومن التفرق في الدين ومقاومته بالطرق والضلالات التي ما أنزل الله بها من سلطان ، وإلا الطريقة واحدة والمحجة واضحة ، وهي ما جاء في معنى (لا إله إلا الله) المحتوية على ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومذهب السلف الصالح ، مع أننا لا ننكر ولا نعترض على المذاهب الأربعة التي أئمتها حق ولم يقصدوا إلا الحق ولا ينطقون إلا بما يرونه حقا وبما ظهر لهم من الحق ، وإلا فالزلل لم يعصم منه إلا محمد ﷺ ، مع أننا ننكر أن تكون المذاهب الأربعة مللا أو أن يعتقد أحد في أن الأئمة الأربعة ومن تبعهم اجتهادا غير موافق لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ بتضليل أو مخالفة للحق ، وهذا غير ما ظهر في هذا الزمان من المدعين بالتجدد وعلى أنهم شبيبة يقومون بواجب بلادهم وشعبهم ويجب عليهم التقدم والتمدن والحرية على غير مفهوم هذه الكلمات .

فهذه النزغة التي تقود هذه الشبيبة إلى الضلال هي نزغة شيطان، وصدمة للدين وللعرب ولجميع من تمسك بالسمت ومكارم الأخلاق لأنه ﷺ ، يقول '' إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق '' فما من أمر فيه خير وحفظ للسمت والشرف سواء أتى من عربي أو عجمي ولا يخالف الكتاب والسنة إلا وقد جاء فيما أمر به صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه ، وزاد عليه بتعليم الخير كما عمل ذلك مع بعض الوفود الذين وفدوا عليه وسألهم عن بعض ما هم عليه وزادهم عليه، والآن فأي مسلم يعرف الإسلام وينسب إليه ويقر ما أقره هؤلاء الغواة من لزوم الرجوع عن الدين وإبداله بما رأوه موافقا للشهوات الدنيئة التي لا يقرها دين ولا مذهب ولا يقرها أصحاب مكارم الأخلاق في الجاهلية ولا صلحاء أي ملة تعرف الشرف والعقل فهو ضال عن طريق الصواب .

ويقول رحمه الله :

وإني أرى من واجبي بصفتي مسلما ، وبحسب عربيتي وإخلاصي لأبناء قومي، أن أقوم بهذه النصائح لمن ولاني المولى أمرهم مقتديا في عملي هذا بالنبي الكريم ﷺ الذي أرجو أن أكون تبعا له في أقوالي وأعمالي وفي محياي ومماتي صابرا على ما تقوله الناس من الانتقادات غير مبال ولا وجل منها كما قيل:

فليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

وذلك لأجل إعلاء كلمة الله ، ونصرة الدين، وإسعاد من ولاني المولى أمرهم ، راجيا أن نكون ممن قال فيهم صلوات الله وسلامه عليه : ''لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى أن يأتي أمر الله تبارك وتعالى وهم على ذلك'' .

وإني على ثقة تامة بأن يرى كل صاحب إنصاف أن واجبي يدعوني لأن أوجه هذه النصائح لشعبي المحبوب ، ولكل مسلم ، لأني مسلم محافظ على إسلاميته ، عربي غيور على عربيته ، متبع لما جاء به محمد ﷺ ، مقتد بمذهب السلف الصالح رضوان الله عليهم ، حريص على كل ما في تقاليدنا العربية من مكارم الأخلاق، آمر بما أمر به الإسلام، ناه عما نهى عنه الإسلام، غير منتصر لآبائي وأجدادي أو لنعرة جاهلية أو لمذهب من المذاهب غير الكتاب والسنة ، وإني بحول الله وقوته سأثابر على هذه الدعوة المباركة وأرجو المولى أن ينفع بها، فما كان فيها الصواب فمن الله، وما كان من الخطأ فمن نفسي ومن الشيطان، واستغفر الله من ذلك، كما أنني أعاهد الله بأنني سأقوم إن شاء الله بما أوجبه الله، وأن أسعى بإلزام من أطاعني بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومذهب السلف الصالح بيدي وقلبي ولساني على قدر الاستطاعة ، وأسأل الله التوفيق والتيسير لي ولإخواني المسلمين عامتهم وخاصتهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه .

وكان رحمه الله حريصا على ألا يهمل برقية تأتيه من ملك أو تاجر أو صعلوك من دون أن يجيب عنها هو بإمضائه الصريح عبد العزيز في جميع المناسبات وكذلك الرسائل .

ومن أقواله رحمه الله في درء الريبة والغيبة وتوضيح ما يشكل على الناس طبقا لفعل النبي ﷺ عندما كان واقفا مع صفية فمر به رجلان فقال لهما النبي ﷺ : ''على رسلكما إنها صفية '' فقالا : سبحان الله يارسول الله فقال : ''إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا'' :

عمدتنا في جميع أعمالنا على الله، وهو المدبر لكل ما في الوجود وعز الإنسان في دينه وشرفه ، وكل عمل خالف الدين والشرف فاسد، والإنسان إذا دعا بدعوى أو قصد مقصدا أو تكلم بكلام ، فعليه أن يوضح للناس الحقيقة ليكونوا على بينة من أمره، وهذا واجب على الإنسان لحفظ شرفه وحقه .

وكان الملك عبد العزيز في سفره يراعي ضعف من معه فكان إذا وصلت سيارته أوقفها وأمر جميع سيارات الموكب بالسير في مقدمته فتتقدم السيارات وتسير بسرعتها المعتادة ويبقى هو عند الركب ريثما ينظر في أمر

رعيته ، ثم يركب ويسير خلف السيارات عموما ، وكان كلما رأى عطلا في إحدى السيارات أوقف سيارته حتى يتم تصليحها ويسيرها في مقدمته ، ولما كانت السيارات ليست جميعا من طراز واحد كان قسم منها يقطع مسافات عظيمة والقسم الآخر مقصرا عنها بصورة متقطعة.

أما بلادك فهي ترفل غبطة في الأمن والنعماء والإسعاد
أما بلادك فهي في استقرارها بالراية الخضراء خير بلاد
جنبتها الأحداث حتى أصبحت رمز الهدوء وسورة الأخلاد
لم تقتنع إذ صنتها ورعيتها وحكمتها في نعمة وحياد
حتى أفضت لها الهناءة شاملا بالعطف كل ثنية ومهاد
ووسعتها بالصالحات وبالحجى وحبوتها بالأمن والإرشاد
هذا سبيل الملك إلا أنه وعر لغيرك ، بالغ الإبعاد
هل كل من قاد الشعوب محقق ماتشرئب له من الأمجاد ؟!

وعن أبي ذر قال : قلت : يا رسول الله ألا تستعملني ؟ قال : فضرب بيده على منكبي ثم قال : ''يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها''

وعن أبي موسى قال دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من قومي فقال أحد الرجلين : أمِّرنا يا رسول الله وقال الآخر مثله فقال : ''إنا لا نولي هذا من سأله ولا من حرص عليه''

وعن أبي موسى أن النبي ﷺ بعث معاذا وأبا موسى إلى اليمن قال : ''يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا''

ومن صور تطبيقات الملك عبد العزيز رحمه الله للتوجيهات النبوية في هذه الأحاديث أنه عزل أمير الطائف وقال له :

إننا لم نعزلك من منصبك لنقص في دينك أو شبهة في أمانتك ولكنا نحيناك لشدتك ونحن نريد اللين مع الناس فقال له الأمير : الحمد لله لقد ولاك الله على المسلمين وأنت أعلم بمصالحهم ولئن حرمت المنصب فإني أتمتع برؤيتكم صباحا ومساء وهذا لا يعادله شيء عندي في هذه الدنيا . ولم تمض أربعة أشهر حتى عين أميرا للمدينة بعد أن تلقن هذا الدرس العملي .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٨١)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

يقول التويجري :

كان إبراهيم بن عرفج أميرا لمنطقة سدير، ومقر إمارته المجمعة ، وكان رجلا صلبا ومهيبا، صامتا ، قليل الكلام ، حاد الطبع ، لا يساوم على واجبه ولا يتساهل فيه ، وقد عرفته شخصيا. ضاقت به أعداد كبيرة من الناس وكرهوه لشدته، فشكوه إلى الملك عبد العزيز ، فقرر الملك إرسال لجنة للتحقيق في الشكوى، إلا أن الصدف حولت هذا القرار إلى اتجاه آخر ، إذ نزل ضيفا على الملك عبد العزيز، رجل يثق به كل الثقة، وكان عامله ، فقال له الملك : سأرسل لجنة للتحقيق في شكوى ضد ابن عرفج ، فقيل إن هذا الشخص- رحمه الله – قال له : لا ترسل لجنة ، ما قيل لك أقل بكثير مما يؤاخذ عليه ابن عرفج من الشدة ، وقد نصحته كثيرا فلم يقبل نصيحتي ، وبراءة ذمتك في عزله...!

فغضب الملك عبد العزيز أشد الغضب ودعا رجاله الخاصين الذين يتولون أقسى المهمات وأخطرها، ثم دعا ماجد بن خثيلة وقال له : توجه إلى المجمعة حالا ومعك هؤلاء ، وبعد صلاة الجمعة ادخل به إلى الأسواق وناد عليه أهالي المجمعة : كل من له مظلمة عند هذا الرجل فليتقدم ، واستمع منهم . وإذا ثبت عندك أنه ظالم كما قيل لي فأبقه في الأسر واضربه أمام الناس ثم ارم به في السجن ، وحكم الشرع بينه وبين المظلومين...!! ثم أرسل أميرا بدله .

قام ماجد بن خثيلة والرجال الذين معه بما أمرهم به الملك عبد العزيز، لكن من حسن حظ المذكور أن قامت أعداد كبيرة من الناس وشهدت له بالنزاهة والخير، وتصدوا للتهم التي ألصقت به ، فأدرك ابن خثيلة بأن ما قيل عنه باطل ، فعاد به إلى الرياض ، وأدرك الملك عبد العزيز أن ما قيل غير صحيح ، فعين ابن عرفج أميرا في الدوادمي ردا لكرامته.

قال التويجري معلقا :

الملك عبد العزيز كان لا يضع الرجل ، مهما كان يثق به ، في مكان مسؤولية ويتركه وهذه الثقة دون رقابة عليه، ولكنه ينتقي لذلك أصدقاء لحمتهم وسداهم الولاء ، لا للنميمة والدس ، ولكن للمصلحة العليا، وللحق والعدل في ظل الحاكم والمحكوم .

وننقل هنا رسالة أبوية من الإمام عبد الرحمن لولده عبد العزيز يوصيه فيها في أمر الولاة فيقول :

سلمك الله :

ابن سويلم أرسل دراهم ابن معمر وأرسلناها له ، وأخذنا منها مقدار مصرف الرجال الذين رخص لهم وعددهم اثنا عشر رجلاً، وأعطيناها للرجال الذي مع النفيسي في القصر ، وهم من أهل (ضرما) وعارون من الكساء من أجل أن يجعلوها في ثياب ، وكذا في قهوة وإدام لهم وحطب .

من طرف ابن دغيثر بلغنا عنه أخبار غير مرضية ووبخناه . وكذا ابن شعلان قد بلغنا عنه أيضًا أخبار غير مرضية وكتبنا له ووبخناه وأمرناه أن يلزم القصر ، وقلنا له : ما روحت لتتسكع في الأسواق ، ما أرسلت إلا من أجل أن تحافظ على القصر ، وعاتبنا المعشوق في إرسال مثل هذا الشخص .

فالخدام يا عبد العزيز يخيف أمرهم . والعواقب يخشى منها ، ويتضرر الناس بسببها ، يذكرون عن ابن خميس وابن معمر أفعالاً شنيعة في بدوهم وحضرهم ، وكذا العتبان أخذوا منهم ذلولاً وأغنامًا وهو قادمون بأهلهم . كذلك رجال ابن سويلم المسؤولون في سدير يأمرون الناس في كل يوم أن يكون غداؤهم الجريش والعشاء لحمًا ، عموا بذلك جميع قرى سدير ، وكلما فرغوا من بلد راحوا للبلد الآخر . وأنتم ما قصرتم عنهم في شيء ولا جعلتموهم في حاجة إلى تكليف الناس ، وهذا الصنف من الناس – الله يسلمك – لا دين لهم ولا مذهب ، وكل ما يفعلونه من هذه الأمور الفاسدة لا يستغرب منهم . هؤلاء طبعهم رديء . وعلى ابن سويلم أن يحجزهم (أي يمنعهم من ذلك) . والذي يجب هو ألا يرسل للبلدان إلا رجالاً لهم دين وسلوك جيد يصونهم ويدرأ عنكم فساد القلوب ، ويحاذر من عواقب الأمور . والرجال الذين يعتمد عليهم – الله يسلمك – ليسوا هؤلاء ، بل هم الذين يسخرون الناس لكم ويحببون لكم الناس ، ولو يأتي إليهم طفلاً منكم أطاعوه وتحقق مقصودكم على يده . وأنا والله تؤلمني هذه الأمور خوفًا من الله سبحانه وبحمده ، وخوفًا من نفور الرعية ، وما وددت أن أكرر عليكم هذه الأمور ونزعجكم بها في هذا الوقت لكن أردت أن أنبهكم إليها ، آملاً أن تحطوا على البال ما يظهركم الله به .

قال التويجري معلقا على هذه الرسالة :

من تأمل هذه الرسالة سيرى فيها عظم الأخلاق والعدل ويرى فيها العوز في تلك الأيام والظروف القاسية في أمر المعيشة . يقول الإمام عبد الرحمن لابنه : حولنا المبلغ البسيط الذي أخذناه من ابن سويلم إلى المرابطين في القصر ، العارين من الكساء ليجعلوه في ثياب تسترهم وكذلك في قهوة وإدام لهم وحطب . أما ابن دغيثر فقد كتبنا له ووبخناه وابن شعلان كذلك لأن خروجهما من القصر فيه أذى على الناس . ما أرسلتهم يا عبد العزيز لكي يؤذوا الناس . الخدم يا عبد العزيز أمرهم يخيف ، والعواقب يخشى منها وربما يعاقب العرب بسببها. قيل لي إنهم يؤذون البدو والحضر ويأخذون منهم إبلاً وأغنامًا .

وفي هذا الملحق نرى روح الإمام عبد الرحمن الفيصل تتجلى بالعدل والخوف من الله ، نراه يقول لابنه عن بعض المسؤولين الذين يذهبون إلى بعض المناطق أن منهم من ليس له دين ولا خلق ، وكل ما يفعلونه من الأمور الفاسدة هم أهلها ، والذي ينصح به ابنه ألاَّ يرسل إلى البلدان إلاَّ رجلاً له دين وله خلق وسلوك حسن يدرأ عنكم ويحاذر عواقب الأمور ، فالناس الذين ليس لهم دين ولا مروءة يسيئون إليكم. ثم يقول لابنه : إن المسؤولين في سدير من قبلكم يأمرون الناس أن يكون الغداء عندهم جريشًا والعشاء لحمًا ، عامين قرى سدير ، كلما فرغوا من بلدة راحوا للأخرى ، وأنتم لم تقصروا عليهم في شيء ولا أجبرتم الناس بهم ، إلى آخر ما نصح به – رحمه الله .

وابن عظيم تلقى هذه التربية الصالحة من هذا الأب التقي ، وفقه الله وأعانه ومكنه في الأرض ، خرج من الدنيا بعد أن أعاد دولة آبائه وأجداده المبددة وقال للعالم العربي والإسلامي ، بل للعالم أجمع : ها أنذا أقمت دولة على العدل والخلق والبر .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٨٢)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

ومن رسالة من رسائل الملك عبد العزيز وجهها لأهل الدخنة يبين لهم أمر الإمارة وما تستقيم به يقول :

ولكن نريد أن نعرفكم بالشروط التي ما تستقيم الإمارة على أحد كائنا من كان إلا بمقوماتها :

أولا إنكم إن شاء الله تعالى تتيقنون أن هذه الشروط متوفرة فيمن يقع عليه الخيار وهو يدري بها فنحن نرضاه وهي:

الأول : تقويم أمر الشرع على كائن من كان بلا تعوق ولا تثبيط.

الثاني : مواساة الناس وتوليفهم وعدم الموافقة لأحد دون أحد دون أمر الشرع .

الثالث : أن يكون مستقيما على ذلك وملازما لطالب العلم الذي عنده فإذا حصلت هذه الثلاث فهذه زينة الحياة والرجاء في الآخرة .

ثم تفهمون بارك الله فيكم أن كل إنسان ما بين غايته ومحبته ووثوقه من صديقة إلا كونه يعطيه غايته ويقبل نصيحته وتعرفون اليوم أنه ليس أحرى أو أوثق في أمر الدين والدنيا من طلبة العلم فإن وثقتم بهم واستنصحتم بهم وأعطيتموهم غايتكم فأنتم أديتم اللازم والأمل تصيرون أقرب للنجاة والتوفيق ، فإن صار ضد ذلك فلا أظن بل أتيقن أن لا أحد سيوفق للخير ما لم يكن قدوته كتاب الله وسنة رسوله ثم طلبة العلم .

ومن نصائحه رحمه الله للموظفين :

في يوم ١ ربيع الأول سنة ١٣٤٦ هـ جمع كبار الموظفين في الدولة وخطب فيهم خطابًا رائعًا ومما جاء فيه :

تعلمون أن أفضل الأعمال كلمة حق تقال ، وأن أفضل الأعمال معرفة الحق واستعماله ، والمجالس يجب أن تكون للنصيحة والإرشاد .

نحن نريد أن نسير إلى الأمام ، ولكن بأقدام ثابتة وعلى وضوء النهار، أن رأينا واعتقادنا وآمالنا في السير إلى الأمام يجب أن يكون وفق ما كان عليه نبينا عليه الصلاة والسلام ، وما كان عليه للسلف الصالح ، فما كان موافقًا للدين في أمور الدنيا سرنا عليه وما كان مخالفًا للدين نبذناه ، والموظفون هم المكلفون بتبيان هذه الحقائق ، يد أن ذلك لا يكفي وإنما يجب أن يقرن القول بالعمل . يجب أن يعمل الموظفون بما أمر الله ورسوله ﷺ به دون أن يخشوا في الحق لومة لائم ولا ارتياب مريب .

هنا محاكم شرعية ولجان الأمر بالمعروف أسست لإظهار الحق ، وأنتم أيها القوم أمناء لهذا الدين ، ولهذا البلد الأمين ، وأنتم مسؤولون عنه ، وأنتم خدامه ، فالأوامر التي تطبق على أهل البلد يجب أن تطبق عليكم ولا يجوز في أية حال تطبيق الأوامر على فريق دون آخر.

نحن نطلب منكم :

أولا : إقامة الصلاة في أوقاتها ولا يجوز التخلف عنها قط .

ثانيًا : اجتناب جميع المحرمات والابتعاد عن مجالسة الأشخاص الأشرار ومخالطتهم وعدم الجلوس في مجالس السوء والريب .

ثالثا : عدم تقليد الأغيار بما يخالف آداب الشريعة السمحاء .

وصفوة القول أنه يجب عليكم اتباع أوامر الحكومة والعمل بها على شرط أن لا تكون مخالفة للشرع ، وما عهدنا بها أنها أصدرت أمرا يخالف الشرع قط . وثقوا بأننا سنتولى أمر التفتيش عن ذلك بأنفسنا ، ونقسم بالله أننا سنهاجمكم حين غرة ، فإذا رأيت أحدكم حاد عن الطريق السوي وقام بأعمال تلزم أدنته أنا ... بدون هوادة ولا شفقة ، وأعلمكم أن الجزاء والقصاص لا يكون إلا صارما .

وقد كان من حنكة الملك عبد العزيز في مجال نشر الدعوة السلفية خارج المملكة أنه كان يختار للمناصب السياسية في المفوضية السعودية في البلدان المختلفة الشخصيات الصالحة حيث كانت هذه الشخصيات تدعو إلى الإسلام بما تحلت به من أخلاق فاضلة وفكر سديد .

هذا منهج الملك عبد العزيز في اختيار الولاة وموظفي الدولة أما بعد اختياره لهم فقد كان يهتم بمشورتهم تطبيقا للنصوص الشرعية في ذلك:

قال تعالى : ﴿ فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله﴾ آل عمران ١٥٩

وقال : ﴿ وأمرهم شورى بينهم﴾ الشورى ٣٨

وعن عائشة قالت: ما رأيت رجلا أكثر استشارة للرجال من رسول الله ﷺ .

يقول العقاد :

والواقع أن الشورى في تدبير أمر الدولة نظام معمول به في الحكومة السعودية منذ قيامها ....

ومن ذلك الحين يجتمع مجلس الشورى وتعرض عليه الشئون الخاصة بالبلدية والمحاكم الشرعية والأوقاف وتعميم التعليم وحفظ الأمن وترقية التجارة وحل المشكلات الداخلية التي ترجع إلى العرف ولا تخالف أصلا من أصول الشريعة .

ويقول كشك عن الملك عبد العزيز :

وهو أول حاكم عربي لجأ إلى أسلوب المؤتمرات العامة لمناقشة القضايا العامة للدولة والخلافات الداخلية ، قبله كان الملوك يصدر عنهم ، نطق ملكي كريم كأن مجرد نطقهم هو الحدث الأكبر .

وإذا كانت المؤتمرات الحزبية والشعبية قد تفشت من بعده ، فقد بقي فضله أنه كان يبيح المعارضة والمناقشة فيها ، ويطلب من المؤتمرين أن يواجهوه باعتراضاتهم ، ومازال الشوط بعيدا حتى نرى ذلك في مؤتمراتنا.

يقول الزركلي :

كان دستور الملك عبدالعزيز :﴿ وأمرهم شورى بينهم﴾

يعن له الأمر أو يرفع إليه فيجيل فيه فكرته وينتهي إلى حل له في نفسه يرضاه ، ويجتمع مستشاروه فيطرحه عليهم ، ويدرسونه . فإذا اتجهوا إلى البت فيه لما يتفق مع ماوصل إليه هو ، أخذ بقولهم وأمضاه . وإلا ناقشهم – وأفضلهم عنده من يعترض ويناقش – ثم يعمل بما يستقر عليه الرأي .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٨٣)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

ومن كلامه رحمه الله في تكوين مجلس الشورى قوله :

أريد منكم أن تعينوا وقتا تجتمع فيه نخبة من العلماء والأعيان والتجار، وينتخب كل صنف من هؤلاء عددا معينا ، كما ترتضون وتقررون . وذلك بأوراق تمضونها من المجتمعين بأنهم ارتضوا أولئك النفر لإدارة مصالحهم العامة ، والنظر في شؤونهم . ثم يستلم هؤلاء الأشخاص زمام الأمر . فيعينون لأنفسهم أوقاتا يجتمعون فيها ، ويقررون ما فيه المصلحة للبلد . وجميع شكايات الناس ومطالبهم يجب أن يكون مرجعها هؤلاء النخبة من الناس ويكونون أيضا الواسطة بين الأهلين وبيني . فهم عيون لي وآذان للناس يسمعون شكاويهم وينظرون فيها ، ثم يراجعونني .

إنني أريد ممن سيجتمعون لانتخاب الأشخاص المطلوبين ، أن يتحروا المصلحة العامة ويقدمونها على كل شيء فينتخبوا أهل الجدارة واللياقة الذين يغارون على المصالح العامة ، ولا يقدمون عليها مصالحهم الخاصة ، ويكونون من أهل الغيرة والحمية والتقوى .

تجدون بعض الحكومات تجعل لها مجالس للاستشارة ، ولكن كثيرا من تلك المجالس وهمية أكثر منها حقيقية . تشكل ليقال إن هناك مجالس وهيآت ، ويكون العمل في يد شخص واحد وينسب العمل إلى العموم. أما أنا فلا أريد من هذا المجلس الذي أدعوكم لانتخابه أشكالا وأوهاما وإنما أريد شكلا حقيقيا يجتمع فيه رجال حقيقيون يعملون جهدهم في تحري المصلحة العامة .

ومن كلامه رحمه الله في إحدى الجلسات الافتتاحية لمجلس الشورى قال :

لقد قضت حكمة الله باجتماع المسلمين للنظر في مصالحهم باتباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه، وأمرنا بالتعاون على البر والتقوى ، والتشاور والتناصح في مصالح البلاد والعباد، حيث قال في محكم كتابه ﴿وشاورهم في الأمر﴾. وقال عليه الصلاة والسلام " الدين النصيحة " ولذلك حرصنا منذ الساعة الأولى لتأسيس مجلسكم الموقر ليكون همزة الوصل بين الراعي والرعية، والترجمان الصادق بين الحاكم والمحكوم.

وفي كلامه رحمه الله لمجلس الشورى المنعقد في السابع من ربيع الأول سنة ١٣٤٩ هـ قال :

لقد أمرت ألا يسن نظام في البلاد ويجري العمل به قبل أن يعرض على مجلسكم من قبل النيابة العامة وتنقحوه بمنتهى حرية الرأي على الشكل الذي يكون منه الفائدة لهذه البلاد وقاصديها من حجاج بيت الله الحرام .

وإنكم تعلمون أن أساس أحكامنا ونظمنا هو الشرع الإسلامي، وأنتم في تلك الدائرة أحرار في سن كل نظام وإقرار العمل الذي ترونه موافقا لصالح البلاد على شرط ألا يكون مخالفا للشريعة الإسلامية، لأن العمل الذي يخالف الشرع لن يكون مفيدا لأحد ، والضرر كل الضرر هو السير على غير الأساس الذي جاء به نبينا محمدﷺ .

ولا أحتاج في هذا الموقف أن أذكركم بأن هذا البلد المقدس يتطلب النظر فيما يحفظ حقوق أهله ، وما يؤمن الراحة لحجاج بيت الله الحرام، ولذلك فإنكم تتحملون مسئولية عظيمة إزاء ما يعرض عليكم من النظم والمشاريع سواء كانت تتعلق بالبلاد أو بوفود الحجاج من حيث اتخاذ النظم التي تحفظ راحتهم واطمئنانهم في هذا البلد المقدس.

قال الأمير سلمان :

فالملك عبد العزيز يلجأ إلى ربه في كل الأوقات.. ويستخير الله ، وبعد ذلك الملك عبد العزيز يستشير.. ولذا فهو في كل حياته – من أول يوم إلى آخر يوم في حياته – وهو محاط بالمستشارين ، ويستشير من فيه سداد في رأيه من المواطنين أو غيرهم . وأنا أعجب من بعض الناس الذين يقولون إنه يشاور المستشارين ويعصاهم ، لا هذا ليس صحيحا، الملك عبد العزيز ذو رأي ويأخذ الرأي ، وهذا الرجل الكامل، والكمال لله على كل حال ، فيستعين الرجل بالرأي ، يستعين بأصحاب الرأي والمشورة.. ولذلك والحمد لله وصلنا إلى ما وصلنا إليه .

وكان الملك عبد العزيز كما قال الزركلي :

موفقا ملهما محبوبا عمر ما بينه وبين ربه وما بينه وبين شعبه شجاعا بطلا انتهى به عهد الفروسية في شبه الجزيرة ، كريما لا يجارى خطيبا حِدِّيثا لا يبرم أمرا قبل إعمال الروية فيه يستشير ويناقش ويكره الملق والرياء .

ومن كلامه رحمه الله :

إني أريد أن أتحدث إليكم في هذا الاجتماع في أمور متعددة ومقاصد جمة، والغاية من هذا الاجتماع هي :

١- اتباع ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام، تنفيذا لما أمر الله به نبيه ﷺ بقوله : ﴿وشاورهم في الأمر﴾ وللمشاورة فوائد جمة لا تحصى، ولو لم يكن من مصالحها إلا تقويم السنة لكفى ، لأنه إذا أقيمت السنة زالت البدع .

٢- إن الإنسان أحب ما إليه في حياته أن يجتمع مع صديقه، وأن يتجاذب وإياه أطراف الحديث ، وبهذا يحصل التعارف وتظهر الحقائق ويقع التناصح، وقد كان السلف الصالح يسير على هذا الطريق في أعمالهم، فقد كان أمرهم شورى بينهم، وكان من أمرهم ما كان ، وكانوا على ضعف فصاروا إلى قوة .

٣- إن الناس الذين لا نشك أن الله عالم بقلوبهم وأنهم أعداء بعضهم البعض، كما قال الله تعالى: ﴿تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى﴾ قد بلغوا بالشورى مراتب عالية في الدنيا، ونحن المسلمين أمرنا الله تعالى بالمشورة والمشورة لها أساس وهو النصح بالتزام الحق، ولها مزية ورونق، تحصل بهما الفائدة ، أما السير على غير مشورة فهو مجلبة للنقص ، مجلبة للهوى- هوى النفس- ونحن نريد المشورة أن تجمع بين السنة وبين ما أمرنا الله به في قوله: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ وأعظم القوى التناصح والنية الصالحة لأن كل شيء أساسه الإخلاص والنصح.. هذا هو اجتهادنا في المسألة.. ونسأله تعالى العناية والتوفيق وإصلاح النية، وأن يوفقنا إلى ما فيه الخير والفلاح .

ومما قاله أيضا لمجلس الشورى :

فالغرض من هذا الاجتماع – مثلما ذكرت – هو أن سعادة الإنسان وحياته في الاجتماع مع إخوانه ، وإنما أحب أن أجتمع مع إخواننا في كل وقت للاطلاع على أحوالهم .

أنا أعرف أن الجميع مشغولون بمصالحي، أقول مصالحي لأن أشغالي وأشغالهم واحدة ، ومصلحتي ومصلحتهم سواسية ، فما كان في صالحهم فهو في صالحي ، وأنا أشعر بجذل وسرور كلما رأيت الجميع موفقين في أعمالهم وأشغالهم..

يجب أن يعلم كل فرد أن كل جماعة لا يكون لها عاقلة لا تجد الراحة والهناء ، وبما أن الحكومه جعلت غرة شهر محرم الحرام مبدأ لأعمالها السنوية والمالية فقد أحببت أن يكون لنا هذا الاجتماع في هذا الوقت على أن يكون الاجتماع أيضا في شهر محرم من كل عام ، للنظر في المصلحة العامة وللاطلاع على الأمور التي تمت والنظر في الأمور المقبلة، وكذلك للاطلاع على الاقتراحات التي تقدم وهناك لابد من مسائل نقدمها للبحث فيها ودرسها كي تحصل نتائج مفيدة من ورائها..

وقال أيضا :

وكذلك نطلب منكم النظر في المسائل الاقتصادية ، ويجب في هذا الشأن إمعان النظر في الحالة الوسطى والبحث في مصلحة البلاد والمشاريع التي يمكن تطبيقها فيها والتي يرجى منها الفائدة للبلاد والعباد..

وكذلك مسألة السيارات ، فلها أضرار ومنافع ، وقد كنا فكرنا في توحيدها وجعلها شركة واحدة اعتقادا منا أن ذلك فيه المصلحة العامة، ولكننا وجدنا أن ذلك ليس منه مصلحة، فنطلب إليكم وضع طريقة مثلى لهذه القضية يكون من ورائها النفع العام..

هذه هي الأمور التي نرجو البحث فيها، وانتم أحرار في أبحاثكم ومذاكراتكم ولكم الحق أن تسألوا الحكومة عما تبغون، ومجلس الشورى كذلك يمكنه أن يعطيكم التفاصيل الكافية التي تطلبونها، فماكان عند المجلس فأعضاؤه معكم، اسألوهم يقدمون لكم ماتريدون ، وماكان عند الحكومة فتطلبون منها ما تريدون وهي تقدم لكم المستندات..

وقد انتدبت من قبلي عبد الله الفضل وعبد الله علي رضا، والآن ألفت نظركم إلى أنكم أنتم المسئولون عند الله ثم عندي وعند الأمة فيجب أن تقدروا هذه المهمة حق قدرها وتعملوا لها بما فيه النفع .

ومن مواضع اهتمامه بالشورى قول محمد رشيد رضا في مسألة عرضه مشروع التحالف بين أمراء الجزيرة :

وأما الإمام عبد العزيز السعود فرغب إلي أن أرسل إليه رسولا بصيرا عارفا ليشرح له هذا المشروع من الوجهة الشرعية والسياسية لإقناع أهل الحل والعقد من قومه به– وقد أرسلت إليه رسولا وحملته صندوقا من الكتب الدينية وغيرها هدية للإمام . وفي أثناء ذلك استعرت نار الحرب العامة الكبرى فتعذر وصول الرسول إلى نجد،

وأخذ منه صندوق الكتب في (بمبي) من ثغور الهند، أخذ لأجل تفتيشه، ثم لم يعرف عنه شيء ، ولعلهم أحرقوه .

ومن مواقف الاستشارة الشهيرة في حياته رحمه الله مؤتمر الشورى المعقود في الرياض بشأن الغزو والحج وقد حضره من العلماء الشيخ سعد بن عتيق والشيخ محمد بن عبد اللطيف والشيخ سليمان بن سحمان والشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف والشيخ صالح بن عبد العزيز والشيخ عبدالله بن حسن ومن رؤساء الأجناد والأمراء جماعة منهم سلطان بن بجاد وفيصل الدويش وجماعة وفيه :

قال السلطان عبد العزيز: إن جميع ما كتبتموه قد وصل إلي ، وإن شكاياتكم كلها من تعدي بعض المعتدين قد أحطت بها علما، وإني لم أحل دون غرضكم من الغزو إلا حقنا لدمائكم ودماء الأمة العربية العزيزة ، على أن كل شيء له نهاية، والصبر له حد لا يتجاوزه ، والأمور مرهونة بأوقاتها، والفرص لا تتهيأ في كل وقت .

سلطان بن بجاد : أيها الإمام ، إننا نريد الحج لا محالة، ولا نستطيع أن نصبر على ترك ركن من أركان الإسلام مع قدرتنا عليه، إن مكة ليست ملكا لأحد، ولا يحق لأحد أن يمنع مسلما أو يصد مؤمنا عن أداء فريضة الحج . إننا نريد أن نحج، فإن منعنا شريف مكة دخلنا مكة بالقوة ، وإن لم يصدنا عن سبيل الله أو يلحق بنا أذى فنحن نحج ولا شأن لنا به، وإذا كنتم ترون من المصلحة تأخير فريضة الحج فلا بد من غزو الحجاز، وتخليص البيت من سيطرة طاغية مكة، الذي أرهق العباد، وضرب من المكوس والرسوم على قاصدي بيته ما تبرأ منه الشريعة الطاهرة .

السلطان عبد العزيز : إن مسألة الحج هي من أهم المسائل التي يرجع الفصل فيها إلى علمائنا حفظهم الله ، وها هم حاضرون ، فيتكلموا ونحن نتبع خطاهم .

الشيخ سعد بن عتيق : إن الحج من أركان الإسلام ومسلمو نجد والحمد لله يستطيعون أن يؤدوا هذا الركن على الوجه الأتم ، بالرضا أو القوة، ولكن من الأصول الشرعية النظر إلى المصالح أو المفاسد فالأمر الذي قد يؤدي إلى ضرر أو مفسدة يدفع ، فهل هنالك من مفسدة أو مضرة قد تنتج من الترخيص لمسلمي نجد بالذهاب إلى بيت الله ؟ ذلك ما نريد أن نقف عليه من الواقفين على السياسة .

السلطان عبد العزيز : أيها العلماء والإخوان ، لقد سعيت من مدة طويلة في بسط السلام والأمان داخل الجزيرة، فنحن لا نود أن نحارب من يسالمنا ولا نمتنع عن مصافاة من يصافينا . لقد أحببت أن نعيش مع أشراف الحجاز كما يعيش الجيران ، على المودة والمحبة ، ولكن شريف مكة كما تعلمون يسعى دائما لبث الدسائس ، وإلقاء بذور الخلاف بين عشائرنا ، ولكنه كان دائما يبوء بالخسران ، والله لايترك الحق يصرعه الباطل ، إن شريف مكة ورث من أسلافه بغضكم ، فهو لا يفتأ يطعن في طريقكم السوي وسيرتكم المحمدية ، ولا يألوا جهدا في الافتراء علينا ، والطعن على علمائنا ، ولكن أهل الحق لا يضرهم من ناوأهم، ولينصرنهم الله ما نصروا دينه ، وظاهروا شريعته ، إن شريف مكة لم يكفه ادعاؤه الزعامة على العرب ، مع أنه أضعفهم ، بل قام يلقب نفسه بإمارة المؤمنين، مع أنه يعلم أن الأقطار الإسلامية كلها تبغضه، وإن علماءكم قد أرسلوا

التلغرافات إلى مصر والهند، ينكرون عليه هذه الدعوى التي لا نراه كفؤا لها ، ولابد من وضع حد لأكاذيبه وإفساداته . أما الحج هذه السنة فلا أراه من مصلحتكم .

ويتابع الملك عبد العزيز كلامه في مجلس الشورى الشهير المنعقد بشأن الحج :

أنا لا أقبل أن تحجوا وبكم شيء من الضعف ، أو يلحق بكم نوع من الأذى والضرر ، وإني علي يقين أن أخذ مكة والمدينة لا يحتاج إلى أكبر مجهود، ولكن مكة ليست لنا وحدنا بل هي للمسلمين كافة ، وما دمنا لم نضع خطة بالاشتراك مع المسلمين فأنا لا أجيز لكم الاستيلاء على إحدى المدن المقدسة .

إن شريف مكة قد لا يمكنكم من الدخول إلى مكة ، ولكن الرجل لا يعدم وسائل الشر، فقد يدس من يتحرش بكم ، لتحدث فتنة في مكة في موسم الحج ، وفيه المسلمون من كل جنس، وإني أكاد أجزم أن هذه خير فرصة له ليهيج علينا العالم الإسلامي ، الذي أخذ يفهمنا ويقترب منا ونقترب منه واعلموا أن الأمر لا يطول، فاصبروا إن الله مع الصابرين .

عندئذ قال العلماء بصوت واحد : إنه لا حرج عليكم من تأخير الفريضة هذا العام ، ما دام أن أداءها قد يؤدي إلى فتنة في بلد الله الحرام .

فيصل الدويش : لقد وردت إلي كتب كثيرة من عشائر مطير الفارة من العراق تطلب العفو والأمان لترجع إلى أماكنها .

أحد العلماء : إن هؤلاء الأشقياء قد خرجوا على ولي أمرهم وعاثوا في الأرض فسادا، ولكن بما أنهم قد ندموا على فعلتهم وثابوا إلى رشدهم ، فالعفو خير ، وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ، ولكن أرى أن الواجب يقضي بأنهم يردون ما نهبوا وما سلبوا إلى أهله .

رؤساء عتيبة : إذا كان الحجاز معاديا لنا ، ولا يبتغي إلا إلحاق الأذى بنا فلم لا تبيحوا لنا غزو عشائره التي لا تزال خاضعة .

سلطان نجد والعلماء : إن هذه أشهر حرم ، اتركوا الغزو فيها حتى تمضي، فإذا مضت فلا بد من النظر إلى ما فيه المصلحة .

ثم انفض الاجتماع ، وسافر كل زعيم إلى هجرته ، ليخبر قومه بما وقع من البحث ، وما حدث من النتائج في المفاوضة .

وكان من تعليق جمعية الخلافة بالهند على ذلك المؤتمر ما نصه :

قرأنا خطابكم الذي ألقيتموه في غرة ذي القعدة في مؤتمر رياض عاصمتكم ، فألفينا خطابكم مملوءا حكمة وأخلاقا وسياسة . قل أن توجد هذه المقدرة بأمثالكم . ولقد طلب القواد منكم أن تغزوا مكة وتستخلصوها من الحسين فأبيتم أن تحتلوا بلدا مقدسا قبل الاتفاق على احتلاله مع جميع المسلمين، واعتبرتم أن البلاد المقدسة للمسلمين عامة، ولا تجرون عملا قبل مشاورتهم في الأمر ، فهذا برهان صادق على اتباعكم سبيل الشريعة السمحة ، بنفس مرضية ، وديمقراطية إسلامية .

والهند ترى التريث ضروريا ، ريثما يرد الحسين على الجواب الذي أرسلته إليه قبل تاريخه بعشرة أيام ، فإذا انقاد للانضمام إلى الحلف العربي ، ووقع معكم ، ومع جيرانه، محالفات دفاعية هجومية ، ضد كل عدو وأجنبي ، فلا حاجة لسفك الدماء ولا ضرورة تسيغ احتلال بلاده. كما قال الله تعالى﴿ وكفى الله المؤمنين القتال﴾ وعسى الله أن يهديه إلى الطريق القويم بعد أن خانه حلفاؤه ، وتسلط على الممالك العربية أهل وداده ، وإن لله وإنا إليه راجعون . وإذا رفض الحسين اقتراحاتنا جميعها، فنرى أن مهاجمته واحتلال بلاده لازمين كي يستطاع أن توحد كلمة العرب في شبه جزيرتهم ، ويكون الحلف العربي متينا وشوكة الجماعة الإسلامية قوية . هذا (أي الهجوم عليه) لا نجيزه حتى يصلنا الجواب منه. أو يذهب خمسة عشر يوما عن ميعاد ورود الجواب . لأن الحق قال في كتابه ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾

ومسلمو الهند يسرهم أن تنظم حكومة نجد إدارتها وداخليتها وترسل سفراءها إلى جميع الدول ، وتعرض عليهم استقلالها ، فيعترفون لها به، وتنتظم مع التوازن الدولي الجديد، وتوقع المحالفات الحبية الدفاعية معهم . ولقد استبشر مسلمو الهند بالنجاح عندما فتح سلطان نجد أبواب بلاده إلى أحرار سوريا والعراق وفلسطين ، ولا جرم أن هؤلاء واقفون على سبيل الحضارة والتمدن الحديث ، وأفكارهم ثاقبة ، فسوف تستفيد الأمة النجدية الفتاة منهم فوائد كبيرة ، تكون إن شاء الله سببا لرفاهية مجدها ، ورفع شأنها إلى صفوف الدول الحية .

وإن مسلمي الهند يقترحون على دولتكم أن تجلبوا للرياض معامل للأسلحة من بلاد الغرب ، وأن ترسلوا بعثات علمية من الطلبة النجديين إلى بلاد الغرب ، يتعلمون كيف تصنع المخترعات الحديثة، والآلات الحربية والمواد الكيماوية . ويأمل مسلمو الهند أن يوقع سلطان نجد محالفات حربية دفاعية هجومية مع الإمام يحيى والإدريسي وباقي أمراء الجزيرة وأن يعرض علينا شروط الاتفاقيات لتطمئن قلوبنا، ويهدأ روعنا على آخر قوات عربية إسلامية مستقلة مسلحة بقيت لحماية العرب، والانضمام مع الأتراك والأفغان وإيران وباقي ملوك وأمراء الإسلام المسلحين لحماية الإسلام . ووفق الله العاملين . وإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٨٦)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

أما مؤتمر الشورى الشهير بنجد فننقل حديث الشيخ محمد رشيد رضا عنه بشيء من الاختصار قال :

ولما نقض العراق عهوده مع المملكة واتخذ حصونا ومعاقل في المناطق المشتركة على الحدود واعتدى على أهل نجد الآمنين بالطائرات وغيرها ردا على غيرة البعض من تلك التصرفات ، حاول الملك عبد العزيز التفاوض مع الجبهة العراقية فلم يجد إلا الإصرار والعناد ، ووجد أنه بين خيارين كلاهما مر إما أن يوقد النار أو يغمض العين على قذى ، فلم تقبل نفسه أن يتحمل مسئولية ذلك وحده ورأى أن يكون واحدا من أفراد شعبه يتحمل ما يتحمله أدناهم ، فلما وصل إلى نجد من مجلس التفاوض بعث لكافة أهل نجد بكتاب يستقيلهم بيعتهم ، ويدعوهم للاجتماع لانتخاب ولي أمر لهم ، يسير بهم حسبما يجمعون عليه أمرهم في الخطة التي يرونها ، وإن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل واحد من أولئك الجمع من العرب المسلمين، يرى في ولي الأمر أو الإمام ما تراه الجماعة .

وسارت النجائب بصور من الكتاب الرهيب شرقا ومغربا، وجنوبا وشمالا، تخبر البادية والحاضرة ، حتى جاب النبأ نجدا بكامله في أقل من شهر، فضجت نجد للهول ، ولم يكن ما أصابها من سماع ذلك النبأ من ألم وحزن ، ليوازيه حزن أو ألم لحادث من حوادث الزمان . إذ أنهم يعلمون أن الله بعبد العزيز قد أعطاهم كل ما يتمتعون به من استقلال، وبلاد، وأمن ، وراحة ، وكانوا قبله شيعا وقبائل، يعدو بعضهم على بعض ، ويتخطفهم الناس من كل مكان، فمهما فقدوا فهم يرجون من الله أن يرده لهم بفضله ثم بسعي عبد العزيز ، ولكنهم إن ترك عبد العزيز أمرهم ضاعت ريحهم، وفقدوا كل شيء .

سمع الناس النبأ فأصابتهم السكرة منه ، ثم أخذوا يشدون الرحال للرياض ، وقلوبهم تطير فزعا، وقدم أكثرهم النجائب أمامه تنهب الأرض نهبا، لتخبر من في الرياض أن النفوس طارت خوفا وفرقا لنبأ الأنباء ، وأننا قادمون طائعين ، راجين ، مستغفرين ، ولو أن المجال يتسع لنشر ما ورد من الكتب من جميع أنحاء نجد لرأى الناس حقيقة الروعة التي أصابت النجديين من ذلك الخبر العظيم .

لقد حاسب كل من تلقى الدعوة العامة نفسه ، وحادثها في سره : ماذا؟ لعل الإمام نقد علي شيئا ؟ أو تأثر من عمل حتى عزم على ما عزم عليه، أو لعله متألم من أحد ! حيرة ودهشة تدع الحليم حيران، وكيف لا يحتار الحليم ، ولو سمع أهل نجد هذا النبأ في أحلامهم لنهضوا منه فزعين ؟ فكيف بهم وهم يسمعونه مستيقظين؟

سارت نجد إلى سيدها ، وكل واحد من رجالها قد وطن العزيمة في قلبه، أنه إن كان ما أغضب الإمام عمل من أعمالي، فإني أستغفر الله وأتوب إليه، وإني طائع مستسلم ، وإن كان ما أغضبه عمل قريب أو بعيد فهذه النفوس والأموال والعيلات كلها تفدي دونه . ذلك هو الشعور العام الذي استولى على جميع من وفد إلى الرياض في هذا الاجتماع العظيم.

قبيل المؤتمر :

وصل الناس للرياض وفدا وفدا ، وكان كل وفد حين يقابل الإمام يقص له ما كان للخبر من وقع أليم لديه ، وكانت دموع الكثيرين تسبق ألسنتهم ، إذ ما كانوا يظنون أن يسمعوا تخلي إمامهم عنهم . وكان الإمام يطمئنهم بأنه على كل حال نازل على رأي الجماعة في هذا الأمر .

وقد بلغ ببعضهم أن أرسل الكتب معلنا السمع والطاعة ، ولكنه غلظ الأيمان بأنه لا يحضر مجلسا يذكر فيه خبر تنازل الإمام عن إمامته . ولم يكن سعي المؤتمرين في مجالسهم الخاصة قبيل المؤتمر ليتناول معالجة شيء أهم من هذا الأمر حتى تمكنوا في النتيجة من حمل جلالة الملك على عدوله عن رأيه في هذه القضية .

ونظرا لأن موعد اجتماع المؤتمر كان في منتصف ربيع الثاني وتأجل إلى منتصف جمادى الأولى ريثما تصل بقية الوفود، فقد كان لدى الوفود التي وصلت الرياض متسع في الوقت لدرس المواضيع التي يمكن أن تكون موضوع المناقشة في المؤتمر.

وقد شارك في هذا الاجتماع الذي كان بمثابة جمعية عمومية ٣٤٧ من العلماء، والزعماء ورؤساء الحواضر والبوادي ، وقد أوردت جريدة أم القرى ، بالعدد ٢٠٨ بأسمائهم و ذلك بخلاف العامة الذين بلغوا عدة ألوف...

وقد عقد لذلك مجالس متعددة خاصة ، وتبادل أكثر الزعماء الرأي مع جلالته في كثير من الشؤون الداخلية والخارجية ، حتى أصبح هناك رأي عام متحد في مواضيع البحث، ونضوج في الأفكار توفر من أوقات المناقشات داخل المؤتمر. ولم يدخل الناس المؤتمر حتى كادوا يكونون مجمعين على قرار واحد ، سواء في ذلك الأمراء أو العلماء أو الزعماء أو القادة .

وإن العربي الناظر لهذه الاجتماعات، والسامع لتلك المحاورات لتأخذه أريحية، ويخامره سرور لهذا التبدل الذي يراه في التطور الفكري في قلب هذه الجزيرة العربية، إذ يرى أن أولئك البداة الحفاة الذين لم يكن الرجل منهم يدرك وينظر لأبعد من الوصول لشهواته البدنية من مأكل ونكاح ، أخذت تبدو عليه علائم الجد والنشاط ، للبحث والتفكير بحماسة واهتمام، في أمور دينية لها علاقة عظيمة بأمور الاجتماع والعمران والسياسة ، ويناقش كل موضوع بما فطر عليه من ذكاء وفطنة فتسمع كلاما جميلا وقولا سديدا .

نظام المؤتمر :

لقد كان الوافدون يدعون بالألوف، ولذلك كان من المتعذر أن يدعى الجميع للحضور والاشتراك في الكلام، فاختير من بين هذه الجموع العلماء والأمراء والرؤساء والقادة، فبلغ الثمانمائة أو يزيدون، وقد عرضت أسماؤهم بقائمة خاصة على جلالة الملك، فأمر بدعوتهم فردا فردا ، وأخبروا أن موعد الاجتماع سيكون الساعة الثانية من صباح يوم الاثنين الواقع في ٢٢ جمادى الأولى .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٨٧)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

يواصل الشيخ رشيد حديثه عن مؤتمر الشورى بنجد فيقول :

وقبيل الوقت المضروب بنصف ساعة تقريبا شرف جلالة الملك مكان المؤتمر، وجلس في مجلسه المعد له، وكان حوله أصحاب السمو الأمراء من رجال العائلة المالكة، وجلسوا بين يديه يتحدث إليهم ببعض الشؤون، ولما لم يبق للموعد غير دقائق معدودات أمر بصاحب الضيوف: إبراهيم بن جميعة، فحضر وسأله هل تكامل جميع المدعوين؟ فأخبر بأسماء بعض من تأخر، فأمر بتأخير الاجتماع بضع دقائق حتى وصل الخبر لجلالته باستكمال عدد المجتمعين، فنادى ببعض رجال حاشيته، وعين مواقع كل فريق من المؤتمرين، فجعل العلماء في الصف الأول عن يمينه وشماله، وكان الشيخ سعد بن عتيق ثم الشيخ محمد بن عبد اللطيف عن يمينه، والشيخ عبد الله بن بليهد، والشيخ عمربن سليم، والشيخ العنقري عن يساره، وتبعهم بقية العلماء عن اليمين وعن الشمال. فلما استقر بالعلماء المجلس نودي أهل حواضر المدن، فجلسوا بعد العلماء عن اليمين والشمال، فملأ الجميع محيط الرواق من جوانبه الأربع، ثم نودي برؤساء الهجر من قبائل العرب، فدخلوا هجرة هجرة، وقبيلة قبيلة، وجلسوا صفا صفا مقبلين على جلالة الملك بوجوههم، وقد احتمل هذا الترتيب وعمله ما يقرب من ١٥ دقيقة إلى أن غص المكان بالمدعوين .

مكان المؤتمر :

لم يكن المؤتمر الذي اجتمع فيه المؤتمرون ذا أبهة وفخار، ولكنه كان يمثل البساطة العربية والديمقراطية الإسلامية العربية، التي يتساوى فيها الكبير والصغير. لقد كان المجتمعون كما يرى القارئ لا يقل عددهم عن ثمانمائة مندوب، بين أمير وعالم ورئيس، وإيجاد مكان فسيح في بلد مثل الرياض يسع مثل هذا العدد ليس من الهينات ، لذلك أمر جلالة الملك باختيار أكبر مكان يوجد في قصر جلالته، فاختير لذلك رواق في بيته الكبير، ولم يتميز مقعد جلالة الملك في ذلك المؤتمر الحافل بغير وسادة وضعت عن يمينه، كان يسند يده إليها في بعض الأحيان، وقد كان الرواق مكشوفا للسماء، فنصبت في مشرق الشمس منه بعض أقمشة من (الشراع) لصد الشمس عن المجتمعين .

أحاديث المؤتمر :

فلما استقر بالوافدين المجلس، وأخذ كل مكانه ، أمر جلالة الملك بالقهوة فأديرت على الحاضرين، ولم تمر إلا هنيهة حتى تناول الجميع القهوة ، ثم أقبل جلالته على الجالسين ، فحمد الله ، ثم قال ما خلاصته :

أيها الإخوان : تعلمون عظم المنة التي من الله بها علينا بدين الإسلام، إذ جمعنا به بعد الفرقة ، وأعزنا به بعد الذلة ، واذكروا قوله سبحانه : ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ﴾

إن شفقتي عليكم وعلى ما من الله به علينا، وخوفي من تحذيره سبحانه بقوله: ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ ، كل هذا دعاني لأن أجمعكم في هذا المكان، لتتذكروا أولا : ما أنعم الله به علينا، فنرى

ما يجب عمله لشكران هذه النعمة، وثانيا : لأمر بدا في نفسي وهو أنني خشيت أن يكون في صدر أحد شيء يشكوه مني ، أو من أحد نوابي وأمرائي بإساءة كانت عليه ، أو بمنعه حقا من حقوقه، فأردت أن أعرف ذلك منكم ، لأخرج أمام الله بمعذرة من ذلك، وأكون قد أديت ما علي من واجب ، وثالثا: لأسألكم عما في خواطركم وما لديكم من الآراء مما ترونه يصلحكم في أمر دينكم ودنياكم .

إن القوة لله وحده ، وكلكم يذكر أنني يوم خرجت عليكم كنتم فرقا وأحزابا، يقتل بعضكم بعضا، وينهب بعضكم بعضا، وجميع من ولاه الله أمركم من عربي أو أجنبي ، كانوا يدسون لكم الدسائس ، لتفريق كلمتكم وإنقاص قوتكم ، لذهاب أمركم . ويوم خرجت كنت محل الضعف ، وليس لي من عضد وساعد إلا الله وحده ، ولا أملك من القوة غير أربعين رجلا تعلمونهم . ولا أريد أن أقص عليكم ما من الله به علي من فتوح ، ولا بما فعل من أعمال معكم ، كانت لخيركم، لأن تاريخ ذلك منقوش في صدر كل واحد منكم ، وأنتم تعلمونها جميعا، وكما قيل السيرة تبين السريرة .

إنني لم أجمعكم اليوم في هذا المكان خوفا أو رهبا من أحد منكم، فقد كنت وحدي من قبل وليس لي مساعد إلا الله، فما باليت بالجموع، والله هو الذي نصرني، وإنما جمعتكم كما قلت لكم خوفا من ربي، ومخافة من نفسي أن يصيبها زهو أو استكبار. جمعتكم هنا في هذا المكان لأمر واحد ، ولا أجيز لأحد أن يتكلم هنا في غيره ، ذلك هو النظر في أمر شخصي وحدي ، فينبغي أن تجتنبوا في هذا المجلس الشذوذ عن هذا الموضوع . ولا أبيح لأحد أن يخاصم في هذا المجلس أحدا في رأيه ولو أخطأ ، فالجميع أحرار فيما يتكلمون به في هذا الموضوع . أما الأشياء الخارجة عن هذا فسأعين لكم اجتماعات خاصة وعامة في غير هذا الاجتماع العلني ، ننظر فيها بجميع الشؤون التي ينبغي النظر فيها من سائر شؤوننا.

أريد منكم أن تنظروا- أولا – فيمن يتولى أمركم غيري ، وهؤلاء أفراد العائلة أمامكم ، فاختاروا واحدا منهم، ومن اتفقتم عليه فأنا أقره وأساعده ، وأحب أن تكونوا على يقين، بأنني لم أقل هذا القول استخبارا أو استمزاجا ، لأنني ولله الحمد لا أرى لأحد منكم منة علي في مقامي هذا ، بل المنة لله وحده ، ولست في شيء من مواقف الضعف حتى أترك الأمر لمنازع بقوة ، سواء كان المنازع ضعيفا أو قويا، وسواء كنت في كثر أو قل .

وما يحملني على هذا القول- في هذا الموقف ، الذي لا فضل لأحد في وقوفي فيه إلا لله وحده الذي نصرني وأيدني- إلا أمران ، الأول : محبة لراحتي في ديني ودنياي ، والثاني: إني أعوذ بالله أن أتولى قوما وهم لي كارهون، فإن أجبتموني إلى هذا، فذلك مطلبي ، ولكم أمان الله، أنه من يتكلم في هذا فهو آمن ، ولا أعاتبه لا عاجلا ولا آجلا. فإن قبلتم طلبي هذا فالحمد لله ، وإن كنتم لا تزالون مصرين على ما كلمتموني به ، على إثر دعوتي لكم ، فإني أبرأ إلى الله أن أخالف أمر الشرع في اتباع ما تجمعون عليه، مما يؤيد شرع الله .

(أصوات : كلنا مصرون على آرائنا ولا نريد بك بديلا).

ويرد الملك عبد العزيز كما ينقل الشيخ رشيد قائلا :

فإذا لم يحصل ذلك منكم أن تبحثوا في أمر آخر . ذلك هو شخصي وأعمالي فمن كان له علي – أنا يا عبد العزيز– شكوى أو حق أو انتقاد في أمر دين أو دنيا فليبينه ، ولكل من أراد الكلام عهد الله وميثاق وأمانة ، أنه حر في كل نقد يبينه ، وأنه لا مسؤولية عليه ، وإني لا أبيح إنسانا من العلماء ولا من غيرهم أن يكتم شيئا من النقد في صدره، وكل من كان عنده شيء فليبينه ، ولكم علي أن كل نقد تذكرونه أسمعه، فما كان واقعا أقررت به ، وبينت سببه ، وأحلت حكمه للشرع يحكم فيه ، وما كان غير بين وهو عندكم من قبيل الظنون، فلكم علي عهد الله وميثاقه أنني أبينه ، ولا أكتم عليكم منه شيئا ، وأما الذي تظنونه مما لم يقع فأنا أنفيه .

لذلك فأنتم أيها الجماعة : أبدوا ما بدا لكم، وتكلموا بما سمعتموه ، وبما يقوله الناس من نقد ولي أمركم ، أو من نقد موظفيه المسؤول عنهم ، وأنتم أيها العلماء : اذكروا أن الله سيوفقكم يوم العرض وستسألون عما سئلتم عنه اليوم ، وعما ائتمنكم عليه المسلمون، فأبدوا الحق في كل ما تسألون عنه ، ولا تبالوا بكبير ولا صغير ، وبينوا ما أوجب الله للرعية على الراعي ، وما أوجب للراعي على الرعية في أمر الدين والدنيا، وما تجب فيه طاعة ولي الأمر، وما تجب فيه معصيته ، وإياكم وكتمان ما في صدوركم في أمر من الأمور التي تسألون عنها، فمن كتم مافي صدره فالله حسبه يوم القيامة ، ولكل من تكلم بالحق منكم عهد الله وميثاقه أنني لا أعاتبه ، وأكون ممنونا منه، وأني أنفذ قوله الذي يجمع عليه العلماء ، فإنني أعمل فيه عمل السلف الصالح ، إذ أقبل منه ما كان أقرب إلى الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، أو قول لأحد العلماء الأعلام المعتمد عليهم عند أهل السنة والجماعة. إياكم أيها العلماء أن تكتموا شيئا من الحق، تبتغون بذلك مرضاة وجهي ، فمن كتم أمرا يعتقد أنه يخالف الشرع فعليه من الله اللعنة . أظهروا الحق وبينوه ، وتكلموا بما عندكم .

كلام العلماء :

ثم تكلم بعض العلماء ، وخلاصة ما قالوه : إننا نبرأ الى الله أن نكتم ما ظهر لنا من الحق ، أو أن تأخذنا في الله لومة لائم ، وحاشا لله ؟ فما علمنا أنه منذ ولاك الله أمرنا أننا نصحناك في أمر من الأمور وخالفتنا فيه ، ونبرأ إلى الله أن نكون قد رأينا في عملك عملا يخالف الشرع وسكتنا عنه، اللهم إلا أن يكون في بعض أمور يجب علينا أن ننصحك عنها فقط ، ولا يجوز لنا الخروج عليك من أجلها ، كما أنه لا يجوز للرعية الخروج عليك فيها ، ذلك لأنه ما معصوم إلا محمد ﷺ، فهو المعصوم من الخطأ والذنوب، أما الأمر الذي يوجب مخالفتك ، أو يوجب حض الرعية على مخالفتك فيه فيأبى الله ، ووالله إننا ما رأينا ما يوجبه فيك وسكتنا عنه، ولا علمنا من سيرتك وأعمالك إلا حرصك على إقامة شعائر الإسلام ، واتباع ما أمر الله به ورسوله في أعمالك .

كلام رجال المؤتمر :

إنه كما يرى القراء أن المجتمعين كانوا حول الثمانمائة نفر ، وإذا كان كل إنسان سيتكلم ، فسيضيع الوقت بغير الوصول إلى نتيجة ، وحيث إن الموضوع محصور ومعلوم ما بخاطر كل فريق من الناس ، فقد ناب عن الحاضرين بالتعبير عما في نفوسهم فريق من كبار الحاضرين ، منهم: الدويش من أمراء مطير والبهيمة والفرم والدويبي وابن نحيت من رؤساء حرب ، وابن ربيعان من رؤساء عتيبة ، وابن عمر وابن حشر من رؤساء قحطان .

وقد تكلم هؤلاء بعد أن استأذنوا الإمام بالكلام ، واستأذنوا الإخوان بالتعبير عن آرائهم ، وكان خلاصة ما قالوه ينحصر فيما يأتي :

يا عبد العزيز: ما يخفاك أننا كنا بالأول بادية ، نعمل جميع الأعمال المخالفة للشرع والسمت والشرف ، وكنا نقمة في طغياننا ، فلما من الله علينا بهدايتنا للرجوع إلى هذا الدين كان بفضل الله ، ثم بسعي آبائك وأجدادك في أول الأمر، وفي الأيام الأخيرة كانت هدايتنا بفضل الله، ثم بمساعيك، فلقد تركنا عشائرنا وأموالنا وهاجرنا لوجه الله، ولا نبتغي إلا مرضاته، ووقفنا أموالنا وأنفسنا للجهاد في سبيل الله، لا نريد بذلك عرضا من أعراض الدنيا، وما نريد إلا أن تكون كلمة الله هي العليا، ودينه الظاهر، وأن يكون رأسنا في هذا الأمر أنت ، ثم أحد أولادك وأحفادك .

وأعمالنا ما تخفى عليك، ونبرأ إلى الله أن نعتدي في القول عليك، وما نقول إلا جزاك الله عنا خير الجزاء، لقد علمتنا ما يجب علينا في ديننا، فأعنتنا على هجرتنا، وبنيت لنا المساجد، وقدمت لنا العلماء، وأشركتنا في بيت المال ، ورحمت ضعيفنا ووقرت كبيرنا، ونبرأ إلى الله أن ننازعك الأمر، أو أن نترك من ينازعك، ما أقمت فينا الصلاة، ومازلت لم تفعل كفرا بواحا معنا من الله عليه برهان ، وإننا نسمع ونطيع ما دمت فينا كذلك، ولو ضربت الظهر وأخذت المال ، نبرأ إلى الله أن نركن إليك لدنيا لديك، كما نبرأ إليه- إن شاء الله- أن نكون ممن قال فيهم: ﴿ فإن أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها إذا هم يسخطون ﴾ فأنت جزاك الله عنا خيرا لم تقصر علينا في شيء ، فهؤلاء طلبة العلم الذين أقمتهم فينا نسألهم ما يعرض لنا في أمر ديننا . وما قصروا فيه رجعنا لأكابر علمائنا الأعلام فاستفتيناهم وأجابونا وامتثلنا أمر الله ، أما وقد ألححت علينا في القول ، فإن كان هناك إشكال لدينا ففي بعض أمور نسردها أمامك وأمام العلماء، لأن لبعض الناس في بعضها شبها، وبعضها في نفوس الناس من أمرها الشيء الكثير، ونحن نعرضها على مسامع الجميع إذا سمحت بذكرها.

فقال جلالة الملك : كل ما بدا لكم في أمر أعمالي فلا تكتموا منه شيئا ، وقولوه .

فقالوا : أولا مسألتان ؟ واحدة منها سأل عنها بعض الإخوان وأجيب عنها،وقنع بها، وبعضهم لا يزال يذكرها، ولابد من سماع قول العلماء فيها، لينتهي مشكلها على وجه صريح ، تلك هي مسألة (الأتيال) (يعنون الهاتف) فإنه يقال : إنها سحر، ولا يخفى حكم السحر والسحرة في الإسلام .

ويوجه الحاضرون في مؤتمر الشورى ثاني الانتقادات فيقولون :

وأما المسألة الثانية : فهي من الواجبات، ونخشى أنك إن لم تقم بها كما يجب ، نخاف أن يسلط الله علينا أعداءنا بسبب تركنا لها، وهي المرادة بقوله تعالى﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾ تلك هي تعاليم الدين على وجهه الصحيح، فإنا رأيناك في الأطراف التي توليتها قد منعت أهلها من السرق والنهب، وأخذت منهم الزكاة ، ولكننا لم نعلم أنك أرسلت إليهم من يعلمهم أمر دينهم، ونحن نخشى من سخط الله عليك، وعلى علمائنا، إن كان في هذا الأمر تهاون .

هذا أولا، وثانيا هنا أمر عفنا فيه الأموال والأرواح والبنين، وليس لنا من مقصد فيه إلا مخافة أن يلحقنا في ديننا منه حرج، ولا يمكن أن نأمن على أوطاننا منه، ولا تستقيم لنا حياة بوجوده ، أو وجود أمثاله، وفيه كل الخطر على أوطاننا ، بل الخطر منه على رأسك أنت بنفسك يا عبد العزيز، ونحن نتمنى أن يقبض الله أرواحنا ، ولا نرى فيك أو في عائلتك ما يسوؤنا. وأنت وحدك المقصود في ذلك من دون سائر الناس، إننا – نحن الرعية – إذا أصاب هذه البلاد ضرر ، فالطيب في دينه يأوي إلى الكهوف والجبال، والخائب يكون كما كان في السابق، ذلك هو الأمر الذي أمرضنا من زمن، ووضع في أكبادنا غصة ، ولا نستطيع الصبر عليه ، وهو أمر يستوي في التأثر منه – يا عبد العزيز – الكبير والصغير، والأمير والوضيع ، حتى النساء في خدورهن ، وفي جميع الناس تأثر منه حمية دينية وطنية : تلك هي القصور، القصور التي قدمها وبناها أعداؤنا في أوطان ، هي أوطاننا ومراتعنا ، فماذا يريدون منها غير الاعتداء علينا ؟ إنك تعلم أن البادية كلها باديتنا نحن أهل نجد، وتذكر احتجاجنا عليك يوم جعلت لهم حدودا في البادية بغير حق ، وهل يجيز لك دينك وضع مثل تلك الحدود لهم في بلادنا ؟ فأجبتنا إذ ذاك إن تحديد الحدود ليس معناه تملكا لهم، وإنما الحدود لأجل بعض المنازعات التي قد تقع بين البادية، وإننا أحرار في مراعينا حيث نشاء من هذه البادية، وأخبرتنا أنه بناء على معاهدتك معهم في العقير ، أنهم لا يبينون في تلك الأراضي أبنية ، ولا يعملون معسكرات لا على الآبار ولا على المياه ، فالصبر على هذه لا يقنعنا فيه غير أمرين: أولا : أن تحكم الشريعة في أننا إذا سكتنا وتركنا هذه المسألة ، فليس علينا حرج من قبل الله ، ولو كان في سكوتنا ضرر على الإسلام والمسلمين ، والثاني : أن تقسم لنا أنت بالله ، إنه لا يوجد علينا من هذه القصور ضرر في ديننا ، ولا في أوطاننا ، لا في العاجل ولا في الآجل . وبغير ذلك – فلا والله – ما نتركها قائمة، وفينا عرق ينبض، أو في أحد منا نسمة من حياة ، فكوننا نموت أو نقتل عن بكرة أبينا ، هو أفضل بكثير من أن نرى الخطر على ديننا ، وأوطاننا، ونرضى به . هذا أمر لا يمكن يا عبد العزيز أن نتحول عنه.

وهناك مسألة في خواطرنا غير هذه ، ونحب أن نبديها لك لتبرأ ذمتنا منها.

إننا لا نريد أن نعترض في أمر من أمورك السياسية ، ونحن وأثقون بالله، ثم بك ، في هذا الأمر، وعلى كل حال علينا السمع والطاعة لك في الأمر الذي نبديه ، ذلك هو منع الناس من الجهاد ، وعدم السماح به، لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر، فهذه مسألة نذكرك بها، لتعلم أنه لو تلفت النفوس، ونفدت الأموال فليس ذلك بشيء بجانب الله ، من الجزاء للمجاهد في سبيله ، وعلى كل حال فنحن نسمع ونطيع لك ، فيما تأمرنا به في هذا .

وأما مسألة القصور ، فوالله ما يرضى ببقائها، ويقرها إلا إنسان يقر محرمة على الفساد . يا عبد العزيز ، أدبك وقتلك لنا ، وغضبك كله أهون من غضب الله، وأن تهتك محارمنا ونحن ننظر، فاتق الله في أمرنا وأمرك، ومحارمنا ومحارمك، واتق الله في أوطاننا . هذا الذي عندنا أبديناه ، ولم نخف في صدورنا شيئا .

ولما فرغ المتكلمون، ووصلوا لهذا الحد، وأنصت المجلس قليلا نادى جلالة الملك في الحاضرين : هل أحد عنده شيء يقال في أعمالي ، أو علي غير هذا ؟ فما أجاب أحد، ثم كرر السؤال ثانيا، وثالثا، فأجابوا ليس لدينا شيء غير ما تقدم .

فالتفت جلالة الملك إلى العلماء وقال : ليتكلم العلماء بما عندهم في شبهة البعض مسألة (الأتيال) أولا . فتلا أحدهم فتوى للعلماء في شأنها، وخلاصة ما جاء فيها: إننا لم نعلم دليلا في تحريمها من كتاب أو سنة ، ولا من أقوال أحد من العلماء، ولا من أخيار من رواها من الثقات ، ونبرأ إلى الله أن نقول شيئا بتحريمها ، وأن من يقول بتحريمها مفتر على الله الكذب ، ونبرأ إلى الله من حاله .

فقال جلالة الملك : أما مسألة الأمر بالمعروف ، وتعليم الناس دينهم ، فإننا قد عينا في جميع البلدان التي توليناها دعاة إلى الله ماعدا بعض عربان في شمال الحجاز، وما عدا العرب الذين قضى الله عليهم هذه الأيام (يعني قبيلة بني مالك ، جماعة بن فاضل) فهؤلاء أسعى اليوم في إرسال دعاة لهم ، وإذا كان المشايخ يعلمون تقصيرا في هذا السبيل فليخبروني، وأنا أنفذ ما يقولون .

فقال العلماء : إن أمر الرعايا بإقامة دين الإسلام ونفي ضده واجب، وأبدى من كل شيء، وهو من الفرائض التي أوجبها الله على الناس عامة، وعلى ولاة الأمور خاصة، والذي نعلمه من الإمام أنه مهتم بهذا الأمر، وهو عامل فيه بكل جهده .

فقال جلالة الملك : أما مسألة القصور فإن القوم يدعون أنكم أنتم الذين بدأتموهم بالعدوان، وذلك بقتل السرية التي أرسلها الدويش لأهل بصية ، ثم غزوات الدويش التي تبعتها ، في حين أنني- أنا يا ابن سعود- ما قمت بذلك ، وأنتم يا أهل نجد ما حميتم ذمة ولي أمركم، وإنهم يزعمون أن هذه القصور ما بنيت إلا مخافة من الخطر منكم .

ويرد الإخوان على كلامه رحمه الله : نعم إنا نبرأ إلى الله من عمل الدويش ، وتعلم أننا قاطعنا الدويش ، ومن غزا معه، وحرمنا ما حرم مشايخنا من كسبهم ، وتذكر أننا أتينا إليك ، وأخبرناك أننا على استعداد لمهاجمة الدويش ومجازاته، ولكن بضمانة شرطين ، الأول : أن تهدم القصور المحدثة التي لا نرى لنا حياة بوجودها . والثاني : أن يتعهدوا بأنهم لا يحولون بيننا وبين من نؤدبه ، كما فعلوا مع جماعة يوسف السعدون ، ولم تجبنا إلى ذلك إلا بعد أشهر ، حيث أخبرتنا أنهم يقولون بأنهم لا يأوون الدويش إذا فر إليهم، ولكن القلاع ما زالت قائمة، وهم يزيدونها تحصينا، وما دامت هذه القلاع موجودة فنقول لك بالصراحة إن ديننا وحياتنا على خطر، وهم الذين بدءونا بالشر، وليس نحن الذين بدأناهم.

فقال العلماء : إن مسألة القصور، وإحداثها أمر نبرأ إلى الله منه، ونشهد الله أن ضررها على الإسلام عامة، وعلى العرب خاصة، وعلى أهل نجد بصورة أخص، عظيم جدا، وما نراها إلا عدوا نازلا بساحتنا، وإنه ليس لك يا عبد العزيز إلا أن تجتهد في إزالتها، فإذا أزيلت فأمر الصلح والسياسة إليك، وليس لنا، ولا لأحد من الرعية أن يتداخل فيه، إلا في صلح يخل على المسلمين في دينهم أو في وطنهم . وأما مسألة القصور خاصة، فإن كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويرضى بهذه القصور ، فنبرأ إلى الله من حاله، ونقول : إن العمل لإزالة هذه القصور ليس جهادا ، بل هو دفاع عن الدين والمحارم.

فقال الإخوان : لقد سمعت يا عبد العزيز ما قاله العلماء فنسألك بالله ما تقول في هذه القصور .

فقال جلالة الملك : أقول إن ما قاله علماء المسلمين في هذا الأمر حق، وهذا الذي أدين به ، وإن ضرر هذه القصور علينا ظاهر وباطن، وأبرأ إلى الله أن أقول غير هذا ، وإن ضررها الدنيوي في العاجل والآجل، ولكن أمر هذه القضية وإنهاءها ومسألة الجهاد أحب أن يكون الحديث فيها في غير هذا المجلس ، وأريد أن تنتخبوا من بينكم مقدار خمسين رجلا اجتمع معهم ، وأبين لهم جميع ما عندي في هذه المسألة، لنقرر ما يختاره الله لنا، وأما الذي أقوله على ملئكم ، ويسمعه صغيركم وكبيركم ، أني لا أرى لنا حياة كاملة إلا في صلح يثبت حقوقنا كاملة في الدفاع عن حقوقنا ، لنصل منه إما للظفر أو نموت مدافعين عن حمانا وأوطاننا، هذا الذي أدين الله به، وهذا الذي أعاهدكم عليه .

وكانت دموع الخشوع والإخلاص تسيل على الخدود، ثم قام المجتمعون جماعة جماعة يجددون البيعة لإمامهم ، وهم يقولون : نبايعك يا عبد العزيز على السمع والطاعة ، وأن نقاتل من تشاء عن يمينك وشمالك، ولو دفعتنا إلى البحر لقطعناه ، وإنا نبايعك على أن نقاتل من ينازعك، ونعادي من عاداك، ونقوم معك ما أقمت فينا هذه الشريعة الطاهرة .

وقد جلس جلالة الملك ما يقرب من الساعة والوفود تتقدم إليه وفدا وفدا تبايعه على ذلك ، وبين يديه أكبر أنجاله سمو الأمير سعود، يقدم الناس إلى أبيه ويرتبهم .

ولما انتهت البيعة أمر بجفان الطعام ، وكانت مهيأة ، فجيء بها، وجلس الناس حولها حلقا حلقا ، وجلس جلالة الملك في إحدى تلك الحلقات، يأكل مع رجال المؤتمر من تلك الجفان المترعات ، وهو يؤانسهم بأحاديثه إلى أن فرغوا من طعامهم وانصرفوا .

الاجتماعات التي تلت المؤتمر :

قال صاحب المنار : وفي المساء علمنا أن خمسين من الجمع اختلوا بجلالة الملك ودام اجتماعهم من الساعة الثانية إلى الساعة السادسة ليلا، وكانت أحاديث لم ينتشر شيء من أخبارها ، ولكن الذي علمناه أن الجميع خرجوا متفقين على خطة واحدة ، ورأي واحد . وعلمنا أنه أعقب ذلك اجتماعات خصوصية، تعددت غير مرة، وجميع ما دار في تلك الاجتماعات من أبحاث، وما اتخذ من مقررات، لم ينتشر شيء منه أيضا .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٩١)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقي من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ البقرة ٢٧٨-٢٧٩

وقال تعالى ﴿ يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم ﴾ البقرة ٢٧٦

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : '' اجتنبوا السبع الموبقات'' قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : ''الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات ''

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : ''الربا ثلاثة وسبعون بابا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه''.

ومن الأعمال التي أنجزت في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله إنشاء مؤسسة النقد العربي السعودي وتكون وظائفها دعم النقد الرسمي للدولة ومعاونة وزارة المالية ولا تتقاضى المؤسسة ولا تدفع أي فائدة على ما تقبضه أو تصرفه ولا تباشر أي عمل يتعارض مع قواعد الشريعة الإسلامية السمحة .

ومن حرص الملك عبد العزيز رحمه الله على البعد عن الربا أصدر البيان التالي بخصوص العملات :

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود...

إلى كافة من يراه من أهالي الحجاز ونجد وملحقاتها سلمهم الله تعالى...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

وبعد، بارك الله فيكم ، تعلمون ما من الله تعالى به علينا وعليكم من نعمة الإسلام ، وحصول الراحة والأمان، فيجب علينا جميعا أن نشكر ما أنعم الله به علينا، وأن نتحرى لما يرضيه جل شأنه، من ترك استعمال المحرمات والنصح للإسلام والمسلمين ، فيما فيه صلاح لدينهم ودنياهم .

وبموجب ما هو حاصل ، من اتصال البلاد ببعضها بعضا، في الأخذ والعطاء والبيع والشراء ، ولدخول جميع عمل المسكوكات بالبلاد، اجتهدت الحكومة أن تقوم بسك عملة تريح بها البلاد وأهلها، وتحفظ بها مصالحها الدنيوية، وفعلا سكت ريالا عربيا من الفضة ، وقرشا من النيكل ، وكل ذلك حرصا على راحة البلاد ليكون لها صلة تستند إليها وبوجودها انقطعت من الحجاز وغيره عملة الأتراك السابقة وهي " المجيدي " و " الهلل ".

وإن الحكومة ساعية وعازمة على تعميم عملتها في جميع بلادها ولكن الظروف لم تساعد في الحالة الحاضرة بسبب الأزمة الاقتصادية الواقعة في كل بلاد العالم .

لهذا أرجأت الحكومة ذلك إلى وقت آخر ، ولكن وقع أمر أهمها، وإن كانت بذوره متقدمة ، وهو الربا الواقع في بعض المملكة ، وسببه أن الناس صاروا يشترون بالريال ويدفعون روبية ، ثم إن ما وقع في بعض المملكة وقع بالحجاز ، حيث صار غالب الناس يبيع ويشتري بريال عربي ، ويدفع ريالا فرنسيا وبالعكس، يشتري بالريال الفرنسي ويدفع ريالا عربيا حسب التراضي في الأقيام ، كما أنه إذا صرفت رواتب الجنود ، والغالب منهم من

أهل نجد، يريد أن يخرج شيئا من راتبه لأهله ، ولعدم تداول الريال العربي في نجد، وعدم وجود ذهب بأيديهم يضطرون إلى تبديل ما عندهم من الريالات العربية بريالات فرنسية، فلما رأت الحكومة انهماك الناس في هذين الأمرين، الأول- وهو أكبرها- وقوع الناس في الربا، والثاني اضطرابهم بالعملة، والبلاد بلاد واحدة مرتبطة بعضها ببعض، وليست الحكومة مقتدرة في الوقت الحاضر على جمع الريالات الفرنسية وإخراجها من البلاد وتوحيد عملتها فيها. ومع هذا فهي مضطرة إلى تعميم تداول عملتها في بقية بلادها ، لهذا رأت أن تعلن بذلك لجميع رعاياها حتى يكونوا مستعدين لما تأمرهم به، وتأمر جميع أمراءها ومأموريها بالعمل فيه وتنفيذه بدون تردد، ويكون ذلك من انسلاخ شهر صفر الآتي وأمرها هو:

أن جميع المعاملات في البيع والشراء إلا بعض ما نذكره في آخره ، تكون كلها بالقرش الدارج، فإذا صار البيع والشراء بالقروش الدارجة جاز لكل إنسان أن يسلم كل عملة لديه ، سواء كانت ريالات عربية أو ريالات فرنسية :

إما أن يكون البيع والشراء حاضرا مع المشتري قيمته من أي عملة كانت ويعقد البيع عل هذه العملة، ويكون التسليم منها على ما عقد عليه البيع .

إما أن يكون البيع والشراء دفعه ليس نقدا ، يدا بيد، ساعة العقد ومحله، فلا يكون ذلك إلا بالقروش الدارجة منعا لدخول الربا في البيع والشراء .

والأمر الثاني، وهو البيع والشراء بالعملات والعقارات التي تكون أقيامها مؤجلة إلى مدة معلومة، فهذه تكون بعملة معلومة، ويكون الدفع كما صار العقد عليه من أي مسكوكات كانت .

ومن تبين أنه دفع خلاف ما كان عليه العقد، فعلى البائع والشاري الجزاء الصارم ونقض البيع، والقصد من ذلك كله هو السلامة من الربا وتمشية جميع مسكوكات الحكومة في جميع ممالكها، وألا يحق لأحد أن يردها أو يطلب غيرها وهي موجودة بين يديه، فمن ردها واشترط عند البيع طلب غيرها فعليه الجزاء والنكال العظيم الذي لابد أن تقرره الحكومة لدى أمرائها ومأموريها ، وتؤكد عليهم القيام بتنفيذه . كما أنها تؤكد على كافة المسلمين بامتثال ما ذكر وعدم مخالفته .

أما أسعار العملة بالقروش فهي كما يأتي : ..... (فذكرها)

وقد أذعنا هذا لتكونوا على بينة من الأمر والسلام عليكم .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٩٢)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

قال تعالى : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ الأنعام ٨٢

وعن عبد الله بن مسعود قال : لما نزلت ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ قلنا : يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه ؟ قال : ''ليس كما تقولون ﴿ لم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ : بشرك ، أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه ﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾؟''

وعن عبيد الله بن محصن الخطمي وكانت له صحبة قال قال رسول الله ﷺ : ''من أصبح منكم آمنا في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا ''

وقال محيي الدين رضا :

إن مزية واحدة من المزايا التي يمتاز بها جلالة الملك عبد العزيز كافية لرفعة الرجل وجعله موضع تجلة واحترام العالم فما بالك بهذا الملك الهمام الذي سار ذكره مسير الشمس ، وتحلى بمكارم هي غرة في جبين الدهر ، فعقدت له تاجا ساطعا متلألئا ، ولقد زانه التواضع فهو يقابل الصغير والكبير ويهش لكليهما ويكرم كل قادم عليه وحسبه فخرا أنه أمن البلاد ..... والكل يعتقد كأنما عليه رقيب روحي لا يراه .....

وقال :

هذه لمحة سريعة عن ملك المملكة العربية السعودية الذي جعل بلاد العرب في درجة من الأمان والهدوء يغبطها عليهما سائر ممالك العالم .

وقال : حرسه الله وأبقاه عمرا طويلا ممتعا بدوام العز والتأييد ، فقد خضع لله عز وجل وجرد نفسه من كل فضل بإرجاع كل عمل جليل لتوفيق الله والله يتولى الصالحين بعين رعايته الصمدانية .

وقال : ذلك الملك العظيم الذي جعل العرب والمسلمين جميعا يفاخرون بالأمن في الحجاز ويتيهون عجبا وفخرا لأنه فاق فيه أعظم البلاد علما ومالا وحضارة واستعدادا ، وإذا خوطب في ذلك قال : إنه لا فضل له وإنما الفضل لله عز وجل .

وقد تقدم محاربته رحمه الله للشرك في أمته وسده الأبواب المؤدية إليه قولا وفعلا فجزاه الله خير الجزاء .

ومن أظهر الأدلة على البون الشاسع بين الحالة الدينية في الجزيرة قبل عهده رحمه الله وبعده ما قاله الشيخ سعد بن عتيق وبعض العلماء في وصف الوضع قبيل الملك عبد العزيز ، وذلك في رسالة إلى زعماء الإخوان نشرت بينهم مذكرين إياهم بنعمة الله في تحسين الحالة الدينية في عهد الملك عبد العزيز قالوا :

اعرفوا نعمة ربكم واشكروه عليها فإنكم كنتم أولا في جاهلية عريضة وحالة عن الحق بعيدة ، رؤساؤكم أكثرهم طواغيت كبار ، وعوامكم جفاة أشرار لا تعرفون حقائق دين الإسلام ولا تعملون من الحق إلا بما تهوى نفوسكم ، مع ما كان بينكم من سفك الدماء ونهب الأموال وقطيعة الأرحام وتعدي حدود الله وغير ذلك

من المحرمات وعظيم المنكرات ، ثم هداكم الله لمعرفة دينه والعمل بتوحيده وسلوك مسلك أهل الإسلام والتوحيد ، وانتشرت بينكم كتب السنة والآثار ومصنفات علماء الإسلام .

قال الشاعر :

وأنقذ العرب العربـاء من فتن كالسيل في جنح ليل ماله قـمر
كانت لعمرك لاتنفك ثائـرة في كل ناحية من نارها شـرر
ويقتل البعض بعضا من حميتـها تعصبا وتمادى بينـها الوتر
حتى تداعت إلى الغارات وارتكبت لما به سـخط (الجبار) والسقر
فلم يزل كالأب الحنان يحضنـها ويحمل الكل عنها وهو مصطبر
وضم أطرافها ضـما به التأمت صدوعها وانجلى عن وجهها القتر
وبث فيها الهدى بالذكر موعـظة ومن أبى فبسـيف صار ينزجر
وحاطها بذمـار لاتـزايله عنها الليالي ولا يجتازها الخطـر
هانحن في عصره الزاهي على دعة وصفو عيش رغيـد مابه كدر
فالدار عامرة ، والسـحب ماطرة والأرض زاهرة ، والدين منتشر
والناس في ظل أمن أصبحت معه هذي الحصون كلاشيء ولا القصر
يأوي الغريب إذا ما الليل أدركه في مهمه ما به نبت ولا شـجر
كأنما القفر دار والخلا وطـن لابن السبيل ومن قد ضمه السفر
وحوله سـيف عدل لايفارقه يدور حيث تحل البدو والحضـر
ومن يكن هكـذا أيام دولته يطيب للناس في أخباره السـمر

والأمن بين الرعية قد سبق أيضا ما يدلل عليه في أبهى حلله عند الكلام عن الحج والحرمين ، وذكرنا في مبحث الفتن الداخلية ما يتعلق بالأمن فلينظر في محله .

ومن أقواله رحمه الله في محاربة كل ما يزعزع الأمن :

إن الشياطين والاسترسال وراء الأهواء التي ينتج عنها إفساد الأمن في البلاد لا يصلحها غير الأمن والسكون ، لذلك أطلب من الجميع أن يخلدوا إلى الراحة والطمأنينة ، وإني أحذر الجميع من نزغات هذه الديار، فإني لا أراعي في هذا الباب صغيرا ولا كبيرا ، وليحذر كل إنسان أن تكون العبرة فيه لغيره .

إسلاميات الملك عبد العزيز (٩٣)

بقلم : محمد بن رزق بن طرهوني

وقد سهرت فنام الشعب في دعة وخاف من كان منه الشر مرتقبا

يقول عبد القدوس الأنصاري :

ولعل من الملائم في هذه المناسبة أن أورد هنا نبذة من حديث أفضل به الملك عبد العزيز في مؤتمر عقده بالقصر الملكي بمكة المكرمة بضحوة أحد الأيام بمناسبة إخماده لفتنة كادت تشتعل ، قال الملك عبد العزيز — وكان كاتب هذه الحروف أحد الحاضرين حيث كنت أشغل رئاسة تحرير جريدة أم القرى الشبيهة بالرسمية آنذاك :

إنكم تنامون ملء عيونكم مرتاحين سعداء ، وأما أنا فوالله ثم والله إني لأبيت على فراشي سهران لا يغمض لي جفن في سبيل المحافظة على أمنكم وراحتكم وإنني لذلك مجهد ، ووالله ثم والله إن تأسيس الملك على ما فيه من متاعب كبيرة أهون من المحافظة عليه .

وبعد أن كان الناس يسمعون أشنع الأخبار عن الإجرام أصبحوا يسمعون أعجب الأخبار عن استتباب الأمن والنظام

وبعد أن كان الأمن يعجز عن حفظه والسيطرة عليه قوة عسكرية عظيمة أصبح الأمن محفوظا بقليل من الشرطيين .

وقد تقدم الكلام عدة مرات عن الأمن الذي شهدته المنطقة تحت حكمه رحمه الله وهناك قصص كثيرة عن الأمن في ربوع المملكة ذكرها غير واحد من المؤلفين ومنهم الريحاني في كتابه ملوك العرب ، وأمين محمد سعيد في كتابه ملوك المسلمين ، وشكيب أرسلان في كتابه الارتسامات اللطاف ، ومحمد علوبة باشا في تقريظه لكتاب مصطفى الحناوي ، والكاتب آرمسترونج وغير ذلك كثير جدا سوى المقالات المنشورة ، وقد أفرده بالتأليف عبد الحي قزاز في كتابه الأمن الذي نعيشه .

ومن ذلك ماقصه التويجري قائلا :

وهنا أسرد قصة أرويها عن شاهد عيان، وهو نافع بن فضلة، من رجال قبيلة حرب ، وأحد الأشخاص الذين يلازمون الملك عبد العزيز في أسفاره في الصحراء، ومكانه الدائم في سيارته، قال:

خرج الملك عبد العزيز إلى الصحراء لتفقد أحوال رعاياه من القبائل، فرغب في أن يأخذ مسارا وحده في الصحراء، فصادفنا راعية غنم شابة، تقارب الثالثة والعشرين، جميلة تمشي وحيدة في رأس الفلاة مع غنمها، وقفنا بحيث ترانا وناديناها أقبلي ، فردت : لا حاجة لي فيكم، ما الذي جعلكم تقفون عندي وتدعونني؟ إن كنتم ضيوفا فهناك بيوت أهلي ، وأشارت إلى مكان بعيد... أأنتم بحاجة إلى ذبيحة؟ خذوا من الغنم ذبيحتكم وانصرفوا...!! نهرناها بشدة أن تعالي، فأبت في كبرياء ودون خوف، وطبعا هي لا تعرفنا... سألها

الملك عبد العزيز: ألست خائفة في وحدتك هذه في قلب الصحراء؟ قالت: ممن أخاف؟ فقال لها: من ذئب الرجال لا لص الغنم... فردت قائلة: من أي البلاد أنت؟ ألست من المملكة؟ هل هناك أحد يخاف أحدا اليوم ؟ إني في هذا المكان آمنة برجلي ، فسألها الملك عبد العزيز : من رجلك؟ قالت: رجلي ليس أخي أو أبي ، ولكن رجلي في الرياض عبد العزيز ابن الرحمن ، أعطاني الأمان وكسر أنياب الذئب... خذوا طريقكم...!! عندئذ نزل الملك عبد العزيز ومشى إليها وقال : لا تخافي يا ابنتي ، أنا أبوك عبد العزيز ، أنا رجلك عبد العزيز فسقطت على يديه تقبلهما وتبكى، وأقسمت عليه أن يمر بأهلها وقالت هذه مي، خذها ضيافة لك...!! وقد مر الملك عبد العزيز بأهلها وأكرمهم وأثنى على ابنتهم .

يقول التويجري :

حالة أخرى من الحالات التي تشير إلى مواقف إنسانية عظيمة مع الناس البسطاء الذين أمنوا في ظل دولة الملك عبد العزيز، أوردها هنا...

عندما توفي الملك عبد العزيز، رحمه الله ، حصل أن صادف وجودي في إحدى القرى، وكان لي صديق كبير السن ، بسيط ، لكنه إنسان مؤنس وفيه روح الأدب، مهنته النجارة البسيطة، وجدته يبكي بكاء بشكل لا تنساه الذاكرة، بدموع غزار، ويترحم على الملك عبد العزيز، فسألته: ماذا أعطاك عبد العزيز حتى تبكيه هذا البكاء؟ هل رآك ورأيته؟ قال: لا لم أره، ولكنه رآني ورأيته في أمني على نفسي وعلى أهلي وعلى رزقي ، أنت تعرف أن مثلي ومثل والدي لا عصبية لنا. كان والدي فقيرا ، لا يملك غير مهنته التي يعيش منها وتعيش أسرته، وهي النجارة. مثلنا لا يجد الأمن إلا عند صاحب السلطة . وكان أمير هذه القرية ، قبل الملك عبد العزيز ، هو السلطة وما عرفنا في يوم من الأيام إلا ورجال هذا الأمير يقتحمون علينا بيتنا، ويصادرون أثمن ما فيه. وعندما ذهب والدي يتظلم، أتدري ماذا كان رد أمير القرية عليه؟ قال له: إن عندك بنات جميلات..!! فدعا والدي عليه ، وخرج كسير النفس ، أتعرف كيف كانت نهاية هذا الظالم؟ بعد أن جاء الملك عبدالعزيز قطع دابره، ودابر ظلمه وأمثاله . وكان عمري آنذاك عشر سنوات .

من لا يبكي على عبد العزيز؟

لا يبكيه الرجل الظالم ... أما أمثالنا من البسطاء ، فنبكيه وندعو له بالرحمة.